محاضرات

في

منهج البحث التاريخي

« تاريخ قديم »

د . ابراهيم الجندي

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد : منهج البحث التاريخي منهج علمي :

ان التاريخ هو الينبوع والسفر الخالد للمعرفة الانسانية، ويبدأ تاريخ الانسان منذ اللحظة التي خلف فيها آثاره وأدواته، ويبحث التاريخ في أحوال وتطور وشئون المجتمعات الانسانية، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية، من حيث بدايتها إلى بلوغها كما لها، ومن ضعفها إلى قوتها، ومن قوتها إلى ضعفها واضمحلالها وانهيارها ثم نهوضها من جديد.

والتاريخ لا يكتب عفوا ولا يكتب بشكل اعتباطي وليس كل من يكتب التاريخ مؤرخا، لأن من يكتب التاريخ بشكل منهجي وعلمي ينبغي ان تكون له صفات معينة وقدرات علمية، فطرية ومكتسبة تجعله قادراً على أن يكون نافذ البصيرة في التمييز بين الغث والسمين والصادق والكاذب من المادة التاريخية التي يتناولها بالدرس والبحث سواء كانت وثائق أو مصادر أدبية وروايات فيأخذ ما يستحق أخذه وينحي جانبا ما ينبغي عليه تنحيته وان لم يتفق مع أهوائه الشخصية أو القومية أو الدينية . ولكي يصل المرء إلى هذا المستوى ويطلق عليه مؤرخ، فهو يحتاج إلى اعداد علمي رصين بجانب استعداده الفطري .

والتاريخ هو غاية الباحث عن الحقيقة من أحوال وتطور الأمم الماضية، فلاغنى للإنسان عن دراسة ماضيه بما يفيده في حياته اليومية، وغاية كل مناحي التاريخ هي تعليمنا والهامنا، عن طريق درس الماضي، الحكمة التي قد توجه أعمالنا ورغباتنا مما يجنبنا الذلل والسير إلى المستقبل بخطى ثابتة .

وقد دار جدل بين الباحثين حول هل التاريخ فن من فنون الأدب أم أنه علم من العلوم، وانقسموا إلى مدارس : أولها مدرسة الفلاسفة الطبيعيين التى ترى انه لا يمكن أن يكون علما لعجزه عن اخضاع الوقائع التاريخية لما يخضعها له العلم من المعاينة والمشاهدة والفحص والأختبار والتجربة وتبعا لذلك فلن يستخلص من دراسته قوانين علمية يقينية ثابتة، على نحو ما هو موجود فى علمى الطبيعة والكيمياء، كما يبعد عن التاريخ صفة العلم قيام المصادفة، ووجود عنصر الشخصية الانسانية وحرية الارادة مما يهدم الجهود الرامية إلى إقامة التاريخ على أسس علمية، على نحو ما يفعل علماء الطبيعة وغيرهم من اعتمادهم على الاختبار والتجربة وتكرارها وهما أمران غير ممكنين فى دراسة التاريخ فلا يمكن لحادثة تاريخيه أن تتكرر مرة أخرى، كما انهم رأوا أن منهج المؤرخ غير منهجهم العلمى فهو لا يلاحظ الظواهر التى يدرسها بطريقة مباشرة وانما عن طريق السمع والنقل عن الآخرين، أو الأخذ من بعض الوثائق التى كتبها اشخاص شاهدوا هذه الحوادث أو سمعوا عنها، ومن هنا يرون ضرورة التعامل مع هذه الطريقة بحذر فضلاً عن الشك فى تناولها، ذلك لأن كثيرا ما يشوه البعض الحقائق عند نقلها، خاصة تلك الحقائق التى تضرب بأغوار بعيدة فى الزمان والمكان . كما أن المؤرخ لا يمكنه التنبؤ بالمستقبل واستخلاص بعض القوانين العامة التى يمكن تطبيقها على الأحداث مهما اختلفت أزمانها وأماكنها : أو بعبارة أخرى لا يمكنه التنبؤ بالأحداث قبل وقوعها .

وكان رائد هذا الاتجاه « رانكه »، الذى عمل على استبعاد كل الاختراعات والخيالات من مؤلفاته، وعمل على التزام الحقيقة التزاما كليا،

وقام رانكه بتفسير ما شعر به استاذه نيبور تفسيرا قويا بأن ذكر انه عندما يلقى المؤرخ بقلمه عند انتهائه من الكتابة فعليه ان يكون قادراً على أن يشهد امام الله بأنه لم يكتب الا ما كان حقيقيا، اى أفضل ما يمكن كتابته اعتماداً على معرفته، وبعد أكثر الأبحاث اخلاصاً . وهكذا فالشئ الوحيد الذى أصبح يعترف به هو سيطرة الموضوعية الصارمة وقد أصر مثل نيبور على انه ينبغى على المؤرخ الا يضيف لمادته شيئاً بهدف زيادة سحرها الجمالى . أو سعيا وراء احداث تأثير بلاغى براق .

وسايره فى نفس الاتجاه همبولت اذ يقول ان مشكلة المؤرخ هى أن يذكر ما حدث فعلاً، وكلما نجح فى ذلك نجاحا كبيراً وواضحاً أمكنه أن يحل هذه المشكلة حلاً موفقاً، وان الوصف المباشر هو المطلب الأول والجوهرى الذى يطلب منه، كما أنه أسمى ما يستطيع أن يحققه .

وثانيها : مدرسة رجالات الأدب التى رأت أن التاريخ فن من فنون الأدب، وأنه فوق العلم بكثير، وان العلم لا يعطينا من التاريخ سوى العظام المعروقة واليابسة، وانه لا مندوحة عن خيال الكاتب إذا أريد نشر تلك العظام من جديد وبعث الحياة فيها، وإذا ما احياها الخيال، فهى بحاجة إلى براعة الكاتب وبلاغته، وعموما فان كل من العالم الطبيعى والمؤرخ يشرح الحادث بطريقته وكل منهما يكمل الآخر وكلاهما ضرورى لتقدم المعرفة التاريخية .

وثالثها : مدرسة رأت التاريخ علم مثل العلوم وليس فنا من فنون الأدب حسب أقوال اتباعها، إذ يقول « بيورى » أن التاريخ قد عانى من كونه جزءاً من الأدب، بينما التاريخ علم لا أكثر ولا أقل، وأن وقائعه يمكن

أن تدرس موضوعيا كوقائع الچيولوچيا والفلك، أى تدرس على انها اشياء خارج الذات، إذ لا يتسنى قيام علم على أساس ذاتى وأن الوقائع التاريخية يمكن أن تجمع وتصنف وتفسر، كما هو الحال فى أى علم.، ثم يسطرد قائلا ما بقى التاريخ يعد أدبا فليس فى الامكان التثبت جديا من الصدق ومن الدقة، وانه يذكر أن التاريخ ليس فرعاً من الأدب . ويقول « هرنشو » انه على الرغم من أننا لا يمكننا أن نستخلص من دراسة التاريخ قوانين علمية ثابتة على غرار ما يحدث فى العلوم الطبيعية، فإنه لا يجوز أن نحرره من صفة العلم، وصفة العلم هى أن يمضى الباحث فى دراسته مع سعيه إلى توخى الحقيقة، وأن يؤسس بحثه على حكم ناقد اطرح منه هوى النفس وباعد نفسه من كل افتراض سابق، مع امكان التصنيف والتبويب، ولكنه يستطرد قائلاً إن التاريخ ليس علم تجربة واختبار ولكنه علم نقد وتحقيق وأن أقرب العلوم الطبيعية شبها به هو علم الچيولوچيا، فكل من الچيولوچى، والمؤرخ يدرس آثار الماضى ومخلفاته، كى يستخلص ما يمكن استخلاصه عن الماضى والحاضر على السواء، ويزيد عمل المؤرخ عن الچيولوچى من حيث اضطرار الأول إلى أن يدرس ويفسر العامل البشرى الارادى الانفعالى، حتى يقترب بقدر المستطاع من الحقائق التاريخية .

ويرى لويس جوتشلك Louis Gotochalk انه من المؤكد أن التاريخ علمى فى منهجه، وأن ملايين الحقائق التاريخية يمكن أن تقرر بحيث تقنع غير المختصين والخبراء سواء بسواء، والمنهج التاريخى علمى فى حدود، أى أن نتائجه تخضع للتحقيق والاتفاق بين الخبراء وعدم الاتفاق

بينهم، عن فهم وادراك، ويقول كارل هامبل Carl Hampel إن التاريخ يمكن أن يستوعب فردية وقائع لا تقل ولا تزيد عن الطبيعة والكيمياء، وأن المؤرخ يستطيع أن يفسر اغتيال القيصر تماما، كما يفسر الچيولوچى زلزالاً، إذ يبين أن الحادثة لم تقع مصادفة وانما وفقا لظروف معينة، فمنطق التفسير واحد فى جوهره فى كل من التاريخ والعلوم الطبيعية، وليست النبوءة فى التاريخ تكهنية، ولكنها تنبؤ علمى قائم على افتراض قوانين عامة لا غنى للمؤرخ عنها، وإن كانت هذه القوانين لا تعنى الحتمية وانما تدع مجالاً للإمكان والاحتمال .

وفى ضوء ما سبق عرضه من أقوال يمكن القول أن للتاريخ منهجه العلمى فأصبح يعتمد على قواعد وأصول وأسس ومقاييس متعارف عليها بين الباحثين فيه والمشتغلين به، فقد أرسيت قواعد البحث فيه على أسس علمية من النقد والتحقيق والتحليل الدقيق للمصادر واعتماد هذه المصادر بعضها المصدر الأول بين مصادر المعرفة التاريخية والبحث عنها إن وجدت، وقد زادت النظرة إلى التاريخ على انه علم أصبح أكثر شمولاً بالاستعانة بنتائج دراسات عدد من علوم العصر مثل الآثار والاقتصاد والسياسة والنفس والاجتماع والانثروبولوچيا وأصبح تعريف منهج البحث التاريخى العلمى هو الخطوات المتتالية المنتظمة التى يتخذها الباحث فى موضوع تاريخى بذاته ابتداء من اللحظة التى يختار فيها موضوعه لبيان وجه الحقيقة فيه والإجابة عن سؤال مجهول يراد ان يكون معلوماً . أو إلى أن يبلغ بقدر الاستطاعة ما يتسنى من الحقيقة التاريخية فيه والتى يتولى تقديمها إلى القارئ بعد ذلك بطريقة مرتبة ومنظمة بشكل معقول ومقبول،

وبعد اختياره لموضوعه تبدأ رحلته في البحث عن المصادر الخاصة ببحثه وجمعها وحصرها، ويلي ذلك تجميع واستخلاص مادة بحثه منها، مع نقد وتفسير ما جمع لاثبات الحقائق واعادة ترتيبها وتنسيقها مع تعليلها وتحليلها وعرضها عرضاً تاريخياً بخطوات مرتبة متتالية وبشكل منطقي معقول . وبهذا يكون المؤرخ قد سعى إلى طلب الحقيقة مجردة بقدر ما يستطيع طارحا عن نفسه كل افتراض مسبق وكل هوى شخصي وانتماء طبقي أو حزبي أو عرقي، أو ايدلوجي مستخدما أسلوباً موضوعياً خالصاً. مبنيا على النقد والتحقيق وهي أمور قد تكفي لاسناد صفة العلمية إلى دراسة بذاتها .

وإذا كان قد دار جدل بين المؤرخين المحدثين حول طبيعة التاريخ، فإن اليونان القدامى ومن بعدهم المؤرخين المسلمين، قد وعوا طبيعة دراسة التاريخ، فقد استخدم هيرودوت اللفظة هيستوريا Historia عنوانا لبحثه واللفظة تعني البحث والتحري أو التعلم عن طريق البحث أو المعرفة التي يتوصل إليها البحث وتبعا لهذه المعاني يكون للتاريخ عند اليونان خاصيتان أولاها يتعلق بغايتها وهي طلب الحقيقة وثانيتها تتعلق بوسيلتها وهي الاستقصاء والبحث، وفي ضوء ذلك تكون دراسة التاريخ علماً بهدفها لأن هذا الهدف هو السعي وراء الحقيقة، كما تبدو علما بمنهجها من أجل الوصول إلى هذه الحقيقة . وهكذا يكون التاريخ علما مثل سائر العلوم ولكن علينا ان نقر أنه يختلف عن العلوم الطبيعية، فهو يدرس أفعال وانجازات الانسان وبالتالي فمنهج المؤرخ غير منهج العلماء الطبيعيين، وكما أن عالم الكيمياء مثلا يعتمد على التجريب والاختبار، وعالم الفيزياء يعتمد في

منهجه مع المعاينة المباشرة والمشاهدة والفحص، فإن المؤرخ له منهجه الذى يلائم موضوع بحثه وهو منهج يقوم على النقد والتحقيق والاستقراء، ويخضع لذات القوانين الفكرية التى يخضع لها العلماء الطبيعيون فى دراستهم . كما زادت المنهجية العلمية للتاريخ بفضل الاستعانة والاستفادة من نتائج ومعطيات علوم أخرى مثل علم الآثار والاقتصاد والاجتماع والانثربولوچيا والنفس والاحصاء والكمبيوتر والنبات والطبيعة والكيمياء فى تحديد أعمار الوثائق والآثار . وهذا زاد من اعتبار التاريخ علماً مثل سائر العلوم مع خصوصيته كعلم ويا حبذا لو ألبسناه ثوباً أدبياً قشيبا فالمؤرخ الناجح هو الذى يجعل كتابته مشربة بروح الأدب حتى تقرأ كما لو كانت مقطوعات ادبية سامية غرضها مساعدة القراء للتعايش مع القدماء والتعرف على أحوالهم .

وإذا كان منهج البحث التاريخى فى العصر الحديث منهجاً واحداً فى أساسه يستخدمه مورخو العصور القديمة والوسيطة والاسلامية والحديثة فإن هناك أموراً يواجهها كل فرع من تلك الفروع، فدارس التاريخ القديم يواجه مشاكل تتعلق بالتحديد الزمنى للوقائع والأحداث مثل متى ولد السيد المسيح ؟ وتأريخ الوثائق التى لا تاريخ لها ويلقى بعض الصعوبات فى المصادر أو فى العلوم المساعدة مما يعوق ويؤخر الباحث فى اعداد دراسته . وسنعرض لتلك المشاكل فيما بعد .

ثقافة المؤرخ : ومؤهلاته الشخصية والعلمية :

أ - المؤهلات الشخصية :

تتطلب دراسة التاريخ ممن يتصدى لذلك ان يتصف بصفات منها :

١ - الجلد والصبر والكرم : فعلى الباحث فى التاريخ عموما والتاريخ القديم خصوصا أن يكون جلداً صبوراً، فلا تمنعه صعوبات البحث وعقباته عن مواصلة العمل، ولا شحه وندرة المصادر وغموضها عن مواصلة البحث والدراسة، وينبغى أن يقضى الشهور والسنوات فى محبة بحثه وعمله ويترحل من بلد لآخر سواء في وطنه أو خارجه حيث يمكن أن يعثر به على ما يفيده من مصادر أو دراسات، خاصة وأن شبكة المعلومات الدولية (الأنترنت) لا تقدم كل المعلومات التى يبتغيها الباحث على الرغم مما تقدمه من خدمات، فلا توجد عليها كل الدوريات العلمية ولا الرسائل والكتب الاكاديمية، وما يوجد بها قد يكون قوائم بأسماء الكتب وأسعارها وأماكن نشرها . ومن ثم فلا ينبغى للباحث ان يتعجل ولا يتسرع لنيل منفعة أو درجة علمية لأن هذا سيكون على حساب العلم والحقيقة .

وكما ينبغى على الباحث فى التاريخ القديم أن يكون كريما وقادراً على الانفاق على شراء ما تتطلبه الدراسة من كتب أكاديمية وإن كانت أسعارها تفوق الامكانات وأن يسعى ما وسعه لحصر كل ما يتعلق ببحثه والحصول عليه مهما كلفه ذلك من مال . وإذا لم يفعل ذلك فقد تأتى دراسته دون المستوى العلمى المطلوب .

٢ - الأمانة والشجاعة :-

ينبغى على دراس التاريخ أن يكون أمينا شجاعاً مخلصاً ورقيقا فلا يكذب ولا ينتحل ولا ينافق أصحاب الجاه والسلطان، ولا يخفى الوقائع والحقائق التى لا يعرفها غيره فى بعض الأحيان ، والتى قد لا ترضيه أو لا ترضى جماعته إما لأسباب قومية أو دينية ... الخ فلا رقيب عليه غير ضميره، ومن يحد عن ذلك لا يمكن ان يكون مؤرخاً منزهاً عن الهوى، ومما لا جدال فيه ان الكشف عن عورات وعيوب واخطاء الزمن المنصرم يفيد بصورة كبيرة فى العمل على تجنب عوامل الخطأ فى الحاضر والمستقبل، وعدم ايضاحها وكشفها قد يعتبره البعض عملاً وطنياً يخدم الوطن فى أمنه ويدرأ عنه الأخطار كما تفعل كل الأمم . ولكن لابد من إظهار الحقيقة بعد زوال الضرورة التى دعت إلى اخفائها حتى يمكن إستخلاص والوصول إلى أكبر قدر من الحقيقة التاريخية، ولا يمكن كتابة التاريخ الا بعد التوصل إلى الوقائع الصحيحة ما استطاع الباحث إلى ذلك سبيلا، وبعبارة أخرى عليه أن يغربل المعلومات الواصلة اليه غربلة دقيقة حتى يصل إلى الحقيقة منها ويضع جانبا غير المؤكد وغير الحقيقى، كما ينبغى على المؤرخ أن يكتب بأسلوب جلى ومحدد لا غموض فيه ولا ايهام عند عرضه للقضايا محل الجدل والنقاش هذا من جهة ومن جهة ينبغى على المؤرخ أن يبعد عنه صفة التميز سواء بالاعجاب أو الكراهية لظاهرة ما أو لعصر ما فهو بمثابة القاضى الذى لا يكون حكمه اقرب الى العدل الا بقدر المستوى الذى يصل اليه من البعض عن التميز وطرحه للهوى جانبا .

٣ - ملكة الشك والنقد :-

يحتاج المؤرخ فى التاريخ القديم أن تتوفر عنده ملكة ناقدة، وكذلك الشك بغير اسراف فى صحة ما يعرض عليه من المصادر والوثائق، فلا يجوز له أن يقبل بصدق كل وثيقة أو مصدر الا بعد الدرس والفحص والاستقراء فيأخذ الصادق منها أو الأقرب ما يكون إلى الصدق، ويطرح جانبا ما ليس صادقاً، وإذا ما كان المؤرخ تعوزه ملكة النقد تزول عنه صفته، ويصبح مجرد راوية لما يصل إلى سمعه على أنه حقيقة .

٤ - الترتيب والنظام :

يحتاج المؤرخ أيضا أن يكون ذا عقل واع وذهن متوقد ومرتب ومنظم حتى يتسنى له التمييز بين الحوادث، وتنسيق أنواع الحقائق، والافادة منها فى مختلف المواضع فى نقاط بحثه . ولكى يكون له القدرة على تحديد العلاقة بين حوادث التاريخ زمانا ومكانا والربط بينها على نحو متسق، وبدون ذلك تختلط الحوادث أمام المؤرخ وتضطرب تفصيلاتها ويعجز عن الربط بينها ومن ثم يفقد صفته كمؤرخ، كما لابد وأن يكون صاحب خيال خصب للربط بين الحوادث .

٥ - تقبل النقد والتسامح والخيال الخصب :

وينبغى على المؤرخ أن يكون صاحب حس مرهف وذوق سليم وتسامح وعقل مفتوح فيقبل آراء الآخرين أو يرفضها فى ضوء تمثله للظروف والأوضاع التى وجد فيها الشخص أو وقعت فيها الحادثة . وإذا ما كان يتمتع بذلك يمكنه أن يتلمس سياسة وأفعال كل من الأسكندر

وبطلميوس الأول، هينبال، قيصر، دقليديانوس .. الخ ويفهم الدوافع المحركة لهم للقيام بعمل معين، وعليه أن يعايش رجالات الأمس في ساعات التاريخ الفاصلة، في فترات الانقلاب، وفي عهود المقاومة وفي ظروف النصر والهزيمة فيجد في ثناياها صدى الناس وصدى نفسه، وتتجلى فيه روح العلم والفن، ويبعث التاريخ حياً وفي ثوب قشيب ويحيا في التاريخ ويعيش للتاريخ .

ب : المؤهلات العلمية :

لما كانت العلوم متداخلة متشابكة فلا يمكن للمؤرخ أن يدرس التاريخ بمعزل عن سائر العلوم والمعارف، فينبغي على المؤرخ أن يكون واسع الثقافة عالماً وعارفاً بالعلوم المتصلة بدراسة التاريخ وكتابته والتي تختلف باختلاف العصر والموضوع الذي يرغب في بحثه ودراسته والكتابة عنه، فالعلوم المساعدة التي يحتاجها دارس تاريخ اليونان القديم تختلف عن العلوم المساعدة لدراسة حضارات الهند وبلاد الرافدين والحضارة المصرية أو حضارة الجزيرة العربية، وأهم ما يحتاجه دراس التاريخ عموما والقديم خصوصاً العلوم المساعدة الآتية :

١ - دراسة اللغة وفقهها وخطوطها :-

إن أهم ما يحتاجه المؤرخ هنا هو دراسة لغة الجماعة التي يقوم بدراستها واللغات المتصلة بها لأن الترجمات مهما بلغت من دقتها لا تفي حاجة المؤرخ للتوفر على تفهم الناحية التي يريد تناولها، فدارس التاريخ اليوناني القديم لابد له من دراسة ومعرفة اللغة اليونانية بلهجاتها القديمة،

والراغب فى الكتابة عن تاريخ الرومان بحاجة إلى معرفة اليونانية واللاتينية، والراغب فى دراسة الحضارة المصرية يحتاج فى المقام الأول انى دراسة اللغة المصرية بخطوطها الثلاثة، الهيروغليفية والهراطية والديموطية، هذا فضلاً عن اللغة اليونانية بالاضافة للآرامية ودارس تاريخ مصر ابان العصر الرومانى بحاجة إلى دراسة اللغات اليونانية واللاتينية والمصرية بخطوطها المختلفة هذا فضلاً عن القبطية فى عصرها المتأخر، وكلما تعددت اللغات القديمة التى يلم بها المؤرخ اتسع أمامه أفق البحث والاستقصاء، ومن ثم فعلى المؤرخ أن يكون حريصا على دراسة ما يلزمه منها مهما كانت قديمة أو صعبة أو نادرة حتى يتسنى له الرجوع إلى الأصول والمصادر الأصلية كما يجدر التنويه إلى أن حضارات الشرق القديم جميعها قد كان للغرب قصب السبق فيها فقد قام بدراستها فى المقام الأول من مختلف الاتجاهات، العلماء الغربيون، والذين يعتبرونها الآن جزءاً من تراثهم، وفى ضوء ذلك يحتاج دارس حضارات الشرق القديم، إلى دراسة اللغات الأوربية الحديثة للاضطلاع على ما يمطرنا به الباحثون الغربيون من دراسات وبحوث عميقة وجادة وذلك للوقوف على كل جديد وحتى نتجنب التكرار .

كما يحتاج الباحث فى التاريخ القديم دراسة فقه اللغة (Philology) أو اللغات القديمة بلهجاتها وتطورها وتغيرها تبعا للزمان والمكان ولتغير الانسان واختلاط الثقافات، فبعض الألفاظ محددة المعنى، وبعضها الآخر يحمل معانى متعددة متفاوتة متعارضة، وقد تدل كلمة واحدة على معان متفاوتة أو مختلفة باختلاف استخدامها عند كاتب بعينه، فلابد من معرفة

اللغة وما نال ألفاظها من الاختلاف حتى لا يفسر ما يقرأ على غير حقيقته. كما يحتاج المؤرخ إلى الالمام والمعرفة بقراءة الخطوط (Paleography) حتى يتسنى له دراسة المصادر والوثائق غير المؤرخة أو التى فقد تاريخها ووضعها فى تاريخها الاقرب إلى الصحة، والخطوط تنمو وتتطور وتختلف من عصر إلى عصر، كما يحتاج الباحث إلى معرفة نوع المداد المستعمل فى الكتابة وتركيبته والأقلام، ويستخدم المؤرخ العلم الحديث الآن لمعرفة عمر الورق أو المواد العضوية، كما يستخدم الباحثون الآن المجهر كل من الأشعة الحمراء والبنفسجية لاظهار الخطوط غير الواضحة أو المطموسة أو المحرفة عمداً، وكل هذه العمليات تساعد الباحث على التثبت من صحة أو بطلان الوثائق التى تقع تحت يده ويؤرخها بشكل أقرب إلى الدقة .

٢ - الجغرافيا :

إذا كان علم التاريخ علم الزمان فان علم الجغرافيا هو علم المكان الذى يؤثر في توجيه احداث الزمان، فلا مندوحة لدارس التاريخ القديم عن دراسة المكان لفهم أثره على أحداث الزمان فالبقاع تؤثر فى الطباع. والأرض هى المسرح الذى حدثت عليه وقائع التاريخ، وفى العصور القديمة كانت الظواهر الجغرافية المختلفة تؤثر بشكل كبير مع غيرها من المؤثرات على الانسان وبالتالى على أفعاله وسلوكه وتفاعله مع بيئته ومواجهته بظروفها، ويرى بشكل جلى أثر البيئة فى نشاط السكان العملى والفكرى وتبعا لذلك تاريخهم وتحديد مساره - وسنعود للحديث عن ذلك فيما بعد .

٣ - الاقتصاد :

ينبغي على المؤرخ ان يلم بعلم الاقتصاد حتى يتسنى له الوقوف على مدى تأثير العوامل الاقتصادية على مسار الأحداث التاريخية، إذ يجد المؤرخ أثر توزيع الثروة فى بلاد اليونان فى العصر الأرخى على ترتيب طبقات السكان وتحديد نوع الحكم، وتطور النظم السياسية تبعا لتطور مصادر وموارد تلك الثروة، والتى دفعت اليونان إلى الخروج فى هجرات دائمة إلى مناطق مختلفة من حوضى البحرين المتوسط والأسود . وكان أثر ذلك جلياً فى العلاقات المتوترة بين الأترووريين والقرطاجيين من جهة وبين اليونان فى بلاد اليونان الكبرى، خاصة أن قرطاجه كانت تفرض احتكارها فى الحوض الغربى للبحر المتوسط. ويرى بعض المؤرخين أنه من الأسباب الهامة لضياع الأمبراطورية المصرية بعد عهد رمسيس الثالث (١١٨٢ - ١١٥١ ق.م) أن مصر لم تكن مصدراً لمعدن الحديد، ومن ثم فبينما دخل العالم القديم فى عصر الحديد، بقيت مصر فى عصر البرونز، وهكذا استطاع العالم القديم أن يتيح لقرون عدة أسلحة الحديد، وأن يطور وسائله الحربية والزراعية والصناعية طبقا لذلك مما جعل من الصعب على مصر أن تحتفظ بامبراطوريتها ضد المنافسة الهائلة .

كما يفسر البعض أن من أهم أسباب الحروب الفينيقية الرومانية السبب الاقتصادى إذ كانت فئات التجار ورجال الأعمال فى الطرفين هم المحرك لهذا الصدام، كما أن الهجرات العربية . الهجرة تلو الهجرة إلى منطقة الهلال الخصب ومصر وإيران ... الخ كان سببها قلة الموارد الاقتصادية فى الجزيرة العربية .

كما نرى أثر تنوع مصادر الثروة فى بلاد اليونان عقب موجه الهجرات الكبرى فى تغيير نظام الحكم فى بلاد اليونان من الحكم الارستقراطى إلى الحكم التيموقراطى (ارستقراطية الأرض الزراعية وكبار التجار والصناع) . كما أدت فى المرحلة التالية العوامل الاقتصادية فى الطغاة، وعموما ليس هناك شك من أن معظم الثورات، فضلاً عن الحروب، انما كانت لها أسباب اقتصادية، مثلما حدث فى الثورة الاجتماعية الأولى فى مصر الفرعونية فى أعقاب الأسرة السادسة . وأيضاً فى اضراب العمال فى عهد رمسيس الثالث وهو أول اضراب فى التاريخ، كما نجد ان الصراع بين الأشراف والعامة كان من أسبابه سبب اقتصادى سواء فى مسألة الديون وتوزيع الأراضى، أو فى التطور الاقتصادى وأثره فى خلق طبقة كبار التجار والصناع وتطلعهم للمشاركة فى الحياة السياسية والاندماج الاجتماعى .

٤ - علم النفس :

صارت دراسة علم النفس ضرورة للمؤرخ، فدراسة العوامل النفسية والنوازع البشرية، ومحاولة التوصل إلى المكونات النفسية للحكام ولشعب من الشعوب، تساعد فى فهم وتفسير كثير من الأحداث التاريخية، فمما لا ريب فيه أن قرارات مهمة اتخذها بعض هؤلاء الحكام جاءت متأثرة بمشاعر الكراهية والحقد أو حتى مركبات النقص، فدراستنا لسير وسبر أغوار العظماء مثل الاسكندر وهانيبال وأغسطس تكشف لنا أسباب وعلات أفعالهم .

٥ - علم الاجتماع :

لما كان علم الاجتماع يركز على الأفعال والعلاقات الانسانية ويدرس المجتمع وبنائه ووظائفه وأطواره وعلم التاريخ يهتم بالتغيير الاجتماعى فإن البعض يرى أن علم التاريخ يشمل ميدان علم الاجتماع، وقد نشأ نوع من البحث يهتم بالتاريخ الاجتماعى، فمن واجب المؤرخ أن يدرس فى فترة بحثه الطبقات الاجتماعية وحراكها الاجتماعى وأثر ذلك فى الأنشطة والنظم السياسية للدولة .

الأدب :-

الأداب القديمة وثيقة الصلة بالتاريخ القديم فهى مرآة لعصور التاريخ القديم فهى تعبر عن أفكار الناس وعن دخائلهم وتصور أحلامهم وأمانيهم وترسم نواحى عديدة من حياتهم الواقعية، للأفراد والجماعات، وفى الحضر والريف، وكذلك أحوالهم الاقتصادية، وتعرض لأنواع من علومهم ومعارفهم وفنونهم، وتصور الحرب والسلام والمعتقدات الدينية، والجدير بالتنويه أن هناك عصور نعتمد فيها على الأدب فى المقام الأول لنرسم منها صورة لحياة المجتمع وذلك نظراً لنقص المصادر الأدبية والوثائقية ومن هذه العصور عصر الثورة الاجتماعية المصرية الأولى، فنعتمد على مصادر أدبية أكثر منها اثريه فهذا العصر على الرغم من شحة ما قدمه من اثار الا انه قدم الكثير من الأعمال الأدبية والتى تكاد تعطينا صورة شبه كاملة عن الحياة الاجتماعية فى تلك الفترة من تاريخ مصر القديم، كما أن الأدب اليونانى، من الشعر الملاحمى لكل من هوميروس

وهيسيودوس يقدم لنا معلومات نفيسة حول حياة اليونان السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية فقصائد هوميروس (الالياذه والاوديسة) وقصيدة هيسيودوس انساب الآلهة، تعد المعين والسفر الذى نعرف منه ديانة اليونان، كما أن المسرحيات والتسالى والمآسى تقدم لنا مادة سياسية عن أحوال المجتمع اليونانى فى زمن الحرب والسلام، وتعالج قضايا المجتمع والتى لا نجد لها صدى فى المصادر الأخرى . كما تقدم لنا الإنيادة للشاعر فرجيل قصة نشأة روما، هذا فضلاً عن المسرحيات الرومانية وتصويرها لأحوال المجتمع الرومانى . كما أن الشعر الجاهلى يعد مصدراً لتاريخ العرب القديم. فهو يصور لنا حياة العرب قبل الإسلام، والحرب والسلام بينهم وبين غيرهم من الدول المجاورة، كما يقدم لنا الأدب الرافدى القديم معلومات قيمة عن أفكار أهل الرافدين وحياتهم ومعتقداتهم، ومع ذلك ينبغى أن نتذكر أن الشعراء والأدباء ليسوا بمؤرخين ومن ثم فعلينا أن نأخذ كتاباتهم بحذر واحتراس .

الفلسفة والمنطق :

يمثل فلاسفة الفكر السياسى القديم مصدراً غنيا للمؤرخ، والفليسوف اما انه ينظر للتجارب السياسية فى مجتمعه والمجتمعات المجاورة، وأما لأنه يرسم صورة يتمنى أن يكون عليها مجتمعه وقد يستقيها من تجارب الأمم المجاورة فضلاً عن تجارب أمته، ولدينا أفلاطون بمحاوراته المختلفة مثل: الجمهورية، ورجل الدولة، والقوانين، ولدينا أرسطو بدساتيره حول المدن اليونانية المختلفة وكتابه « السياسة » . ولدينا آراء الفلسفة الكلبية والأبيقورية الرواقية فى السياسة وكلها تكشف لنا ما كان يجرى من نظم

ومدى قبولها ورفضها ومحاولة اصلاحها فى المجتمع اليونانى والرومانى من بعد من قبال كبار الفلاسفة والمفكرين.

ويحتاج الباحث فى التاريخ القديم دراسة المنطق لما له من أهمية فى تنظيم وترتيب وتنقية الفكر .

القانون :

إن دراسة القانون القديم تكشف لنا ما كان يجرى فى المجتمعات من أعمال، ويكشف لنا علاقات الزواج، والبيع والإيجارات، والتبنى، وكيفية الفصل فى المنازعات، والعقوبات والغرامات، ويمكن القول ان المجتمع كلما نمى وتطور كلما تطور قانونه كى يواكبه فقد ترك لنا المصريون القدماء مجموعات قانونية امتدت ابان العصر اليونانى الرومانى وان اصابها التأثر بالقوانين اليونانية الرومانية لائحة هوموبوليس ماجتا) ، كما ترك أهل الرافدين مجموعات قانونية تكشف لنا أحوال المجتمع هناك وقيمه، كما أن دراسة القانون الرومانى ضرورية لفهم الكثير من القضايا والمشاكل فى الحياة الرومانية، وتأثيرها على المجتمعات الشرقية . وعموما فالقانون القديم يقدم لنا الكثير من المعلومات عن حياة الشعوب والتى لا يوجد لنا مصدر عنها سواه .

وقصارى القول ان مؤرخ التاريخ القديم بحاجة إلى علوم مساعدة كثيرة ومنها دراسة الچيولوچيا وعلم الاحصاء والرياضة والفلك والنبات والحيوان والكيمياء والفزياء، فكلما ازدادت معارف المؤرخ كلما اتسع أفقه وكان أقدر على تفسير الأحداث تفسيراً منطقياً وعلمياً .

التاريخ القديم
وحدوده الزمنية

على الرغم من أن التاريخ أحداثه متتالية مترابطة متداخلة مع بعضها البعض وأنه حصيلة النشاط الانسانى الذى يجمع فيه بين خبراته القديمة والجديدة منذ سعيه على الأرض إلا أن المؤرخين المحدثين قد عملوا على تقسيم التاريخ وكان على رأسهم ورائدهم سيلاريوس الذى قسم فى القرن السابع عشر التاريخ إلى حقب ، وسار على نهجه من بعده المؤرخون المحدثون فى تقسيمه التاريخ إلى حقب متتالية، وذلك بغرض تسهيل دراسته وهى على النحو الآتى : قديمة (Ancient) ووسيطة (Medieval) وحديثة (Modern) ومعاصرة (Contemparary) واستندوا فى هذا التقسيم على أحداث شكلت منعطفات فى حياة البشرية أدخلت العالم بشكل كلى أو جزئى فى حقبة جديدة من مسيرته السياسية والحضارية .

وفى الواقع منذ أن قام سيلاريوس بهذا التقسيم قام جدل ودار البحث حول بداية ونهاية كل عصر من هذه العصور لكى يسهل استرداد أحداثها فى حدودها الزمنية الصحيحة، وهو أمر لابد أن يختلف عليه المؤرخون نظراً لأن وضع حدود محددة ودقيقة صحيحة تبدو مسألة نسبية، لأن عصور التاريخ لا يمكن أن تحدد بدايتها ونهايتها بسنوات معينة وأحداث معينة، كما أن هذه السنوات والأحداث لابد أن تختلف أهميتها من مؤرخ لآخر، ومن هنا كان الاختلاف فى تحديد بداية العصور القديمة ونهايتها أو بداية العصور الوسطى .

فمتى يبدأ التاريخ القديم ؟ يرى نفر من الباحثين أن بداية العصور التاريخية القديمة تبدأ ببداية معرفة الانسان للكتابة، فالتاريخ عندهم يبدأ، بالمعنى الحرفى للكلمة، عندما توجد الوثيقة المكتوبة، ومعنى ذلك أن الفترة التاريخية لأى قطر من الأقطار تبدأ فقط عندما يبدأ هذا البلد يجود بسجلات مكتوبة من أى نوع يكون مواطنوه قد دونوا فيها جانبا من نشاطهم، بحيث يعتمد الباحث على هذه السجلات فى رصد الحقائق والوقائع التاريخية وجملة القول أن هذا الرأى يقصر المعرفة التاريخية ببداية معرفة الكتابة وهذا هو المعنى الحرفى للتاريخ .

ولكن هذا الرأى قد تغير وتبدل فى ضوء تطور علم الآثار وعلم الأنثربولوچى، وفى ضوء معطياتهما الرائعة، فقد تغيرت هذه النظرة للتاريخ وأصبحت دراسته تشمل كل ما أنجزه الانسان من أعمال وتطور ورقى حضارى قبل معرفته للكتابة، فقد أزالت الاكتشافات الأثرية الكبيرة الغموض والابهام عن مراحل معينة فى حياة الانسان الأولى مما جعلها أكثر وضوحاً من المراحل الأحدث منها، والتى استقينا معلوماتنا عنها من الأدلة المدونة، وفى ضوء ذلك ليس من الصحيح استخدامنا اصطلاح «ما قبل التاريخ» الا إذا كنا نعنى تلك الفترة الغامضة التى يفترض وجودها فى البداية المبكرة جداً للتطور البشرى والتى لا يوجد لها مادة مكتوبة أو غير مكتوبة، ولذا فان الفترات التى تكون غنية باللقى الاثرية يمكن وصفها باصطلاح «ما قبل الكتابة» بدلاً من اصطلاح ما قبل التاريخ فالاصطلاح الأخير يحوى كثيراً من التناقض والبعد عن الحقيقة إذا ما استخدم فى وصف أية فترة وجد لها سجل غنى، سواء اتخذ هذا السجل شكل كتابة أو

أحجار مصنعة أو عظام، أو أدوات معينة، مما كانت تستخدم فى الحياة اليومية – وفى ضوء هذا المفهوم فان مفهوم التاريخ قد اتسع، وأصبح يشمل نشاط الانسان فى ضوء ما خلفه لنا من آثار، وقد شهدت فترة ما قبل الكتابة مكتشفات كبرى كانت بمثابة ثورات فى حياة الانسان وتمثل ذلك فى ارتضاء كل جماعة لغة للتخاطب، واكتشاف الانسان للنار وما نتج عنها من تغير كبير فى حياته نتيجة لهذا الكشف، ثم اكتشافه للزراعة وتحوله من الجمع والالتقاط والصيد والتنقل والترحال وسكنى الكهوف إلى حياة الاستقرار بجانب زراعاته وأقلمة وتدجين الحيوانات، والتحول من المجتمع الأموى إلى المجتمع الأبوى، كما أن معرفته للمعادن وتشكيلها كان يمثل ثورة أخرى، نظراً لاستخدامه لها فى تسهيل سبل حياته . وبدأت تتشكل القرى والمدن والدول . مما اقتضى ضرورة وجود وسيلة تيسر حسن تسيير أعمالها وادارتها، هذا وقد أدى إلى معرفة الكتابة، ولكن يعن لنا التساؤل الآتى، هل أنتهت عصور ما قبل الكتابة فى وقت واحد فى المسكونة .؟

فى ضوء دراستنا لمعطيات علمى الآثار والانثربولوجيا يمكن القول ان انتهاء عصور ما قبل الكتابة يختلف من قطر إلى قطر ويوجد بينها فترات طويلة للغاية، فعلى سبيل المثال تبدأ الفترة التاريخية فى مصر فى القرن الثانى والثلاثين قبل الميلاد وان كان البعض يرجعه إلى تاريخ اسبق من ذلك، وفى بلاد اليونان تبدأ الفترة التاريخية بشكل واضح فى حوالى القرن التاسع قبل الميلاد عندما تبنى اليونان الابجدية السامية، وان كان البعض يرى وهم على حق أن اليونان أو عالم بحر إيجة قد عرف الكتابة

قبل ذلك فقد عرفوا الكتابة المقطعية ابتداء من حوالى ١٧٠٠ قبل الميلاد على الأقل وتطورت فى المجموعة الخطية الأولى (Linear A) والمجموعة الخطية الثانية (Linear B) .

وفى ضوء ما سبق يمكن القول أن عصور الكتابة تتبدل وتتغير بالنسبة لبلد من البلاد فى ضوء ما يتم كشفه من أثار ووثائق مكتوبة ومن ثم فانه لا توجد حدود فاصلة بين عصور ما قبل الكتابة وما بعدها .

ويعن لنا التساؤل الآتى كيف يمكن دراسة فترات ما قبل الكتابة والتأريخ لها ؟ .

استفاد الباحثون من منهج الچيولوچيا فى تقدير عمر تتابع طبقات الأرض وهو ما نسميه بمنهج التأريخ الچيولوچى ومنهج علم الآثار فى التاريخ ومن ثم تم تقسيم عصور ما قبل الكتابة إلى عصور حضارية فى بعض المناطق التى لم تعرف الكتابة وهى : حضارة العصر الحجرى القديم وحضارة العصر الحجرى الوسيط وحضارة العصر الحجرى الحديث وحضارة العصر الحجرى النحاسى وحضارة العصر النحاسى وحضارة العصر البرنزى وحضارة عصر الحديد .، ويلاحظ تتابع و تداخل هذه العصور مع بعضها البعض والمثال على ذلك فى مصر وبلاد اليونان ، وشبه الجزيرة الايطالية ويستخدم المؤرخ منهج علم الآثار فى عملية تأريخ وتفسير القرائن التى يعالجها، أى البقايا الحجرية والعظمية والمعدنية التى يتم العثور عليها، وذلك بوضعها فى ترتيب زمنى طبقاً لما يتبينه فيها من تطور، ويعاونه فى ذلك الچيولوچى الذى يقوم بوضع تواريخ تقريبية لكل من هذه البقايا عن طريق تقديرعمر الطبقة التى وجدت بها البقايا العظمية

للنقاش حول تحديد نهاية عصوره أو نطرح السؤال الآتى متى تنتهى عصور التاريخ القديم وتبدأ بالتالى العصور الوسطى ؟

يبدو أن الاجابة على هذا التساؤل ليست سهلة، فإذا كانت بعض المناطق يمكن أن نحدد نهاية العصور القديمة بها مثل تاريخ الجزيرة العربية القديم الذى ينتهى بظهور الرسالة المحمدية وبالمثل تاريخ ايران الذى انتهى حكم الساسانيين بها على يد العرب المسلمين الفاتحين.ولكن محاولة التعرف وتحديد مسألة انتهاء العصور القديمة فيما يخص الامبراطورية الرومانية يبدو صعب المنال، فقد دار جدل بين الباحثين منذ القرن السادس عشر «ماكيا فيلى»، وسيلاريوس فى القرن السابع عشر واستمر بعدهما الباحثون منذ القرن الثامن عشر فى مناقشة هذا الموضوع فقد طرح الدارسون احداثاً عديدة وتواريخ شتى لنهاية العصور القديمة وبداية العصور الوسطى، وتراوحت هذه الأحداث والتواريخ حسب وجهات النظر الخاصة بين عام ٢٨٤ (تقسيم الامبراطورية) وعام ٣١٢م وهو عام اعتناق قسطنطين للمسيحية، واتفاق قسطنطين ليكينيؤس فى ميلانو على حرية العقيدة عام ٣١٣م، وتولى قسطنطين الحكم عام ٣٢٤م، وانعقاد المجمع المسكونى فى نقية عام ٣٢٥م، وتأسيس القسطنطينية عام ٣٣٠م، واجتياح الهون لشرق اوربا فى عام ٣٧٥م. وانتصار القوط الغربيين على الامبراطور فالنز والقضاء عليه فى موقعة أدرنة فى عام ٣٨٧م. والغاء الامبراطور ثيودوسيوس الأول لقب الكاهن الأول الوثنى فى عام ٣٨١م*،

* والحقيقة أن الامبراطور فلافيوس جراتيانوس (٣٦٧ – ٣٨٣م) كان أول من استبعد لقب الكاهن الأعظم من القابة وليس ثيودوسيوس .

وقيام ثيودوسيوس بالاقرار بأن الديانة المسيحية هى الدين الرسمى للأمبراطورية فى عام ٣٩١م، ووفاة ثيودوسيوس فى عام ٣٩٥م وغزو القوط الغربيين لروما تحت قيادة ألاريس فى عام ٤١٠م ، ووفاة الامبراطورالغربى فالنتنيانوس الثالث (Velentenianios) ٤٢٥-٤٥٤م، ونهاية حكم الأسرة الثيودوسية فى عام ٤٥٤م، وعزل الجرمانى أودوفاكر الاسكيرى لآخر الاباطرة الرومان الغربيين رومولوس أوجسطلوس الصغير فى عام ٤٧٦م، وتولى اشلودفيج الأول (cllagveig) الجرمانى ملك الفرنجة وتثبيت حكمه ٤٨١م، واعتناقه للدين المسيحى ، على المذهب الكاثوليكى فى عام ٤٩٦(؟) واغلاق الامبراطور جوستنيان لاكاديمية العلوم الإنسانية فى اثينا سنة ٥٢٩م، وتول البابا جريجوريوس الأول لأسقفية روما فى عام ٥٩٠م، وتتويج البابا ليو الثالث لملك الفرنجة شارلمان امبراطوراً على الغرب فى عام ٨٠٠م . وعند بيورى تنتهى الأمبراطورية عام ١٤٥٣م.

ويرى بعض المؤرخين ان الفترة ما بين ٣١٢م و ٨٠٠ م، أى على مدى فترة تقرب من خمسة قرون ، تعتبر فى رأى هذا البعض فترة إنتقال بين العصور القديمة والعصور الوسطى لأن الوحدة التى تربط بين عصور هذه الفترة تجعل منها عصوراً قائمة بذاتها وظاهرة خاصة بين ظواهر التاريخ ، والجدير بالقول أن هذه التواريخ المفردة المطروحة وغيرها سابقا لاتبين بحال من الأحوال أنها تدل على نهاية عصر وبداية عصر آخر لأنها إن فعلت فإنما تدل بذلك على انقطاع فى التقدم التاريخى، وهذا أمر لا يقبله العقل بل هو ضرب من المستحيل. وبناء على ذلك فإن البحث عن

حد فاصل بين العصور القديمة والعصور الوسطى فى تأريخ بعينه أو حدث بعينه إنما هو تقدير تاريخى قد يفتقر إلى الصواب ، وما يمكن قوله هنا هو تداخل الفترات بين خواتيم العصر القديم وبدايات العصر الوسيط، وما يمكن قوله وفقاً لرأى بيورى بالنسبة للرأى القائل ان عام ٤٧٦م، هو عام بداية العصور الوسطى فى أوربا، وهو عام تخلى روميلوس أوجسطلوس عن الحكم فى روما، ولكن الامبراطورية الرومانية لم تسقط فيه، بل ان هذه السنة تعتبر بداية مرحلة جديدة فى عملية التفكك التى كانت تجرى طوال هذا القرن وان ما حدث من تخلى روميلوس اوجسطلوس عن الحكم لم يهز كيان الامبراطورية الرومانية ولم يؤد تبعاً لذلك إلى سقوطها، ويرى بيورى أن الأمبراطورية الرومانية مستمرة منذ القرن الأول إلى القرن الخامس عشر، غير انه يصح أن يطلق عليها منذ عام ٨٠٠م الامبراطورية الرومانية الشرقية، وذلك لأن أمبراطورية رومانية قامت فى الغرب فى ذلك الوقت، وفى ضوء ما سبق عرضه فان تاريخ بلاد الشام ومصر ظل ضمن اطار الامبراطورية الرومانية المتأخرة حتى فتحها العرب فى الربع الثانى من القرن السابع وإذا كانت قضية نهاية العصور القديمة لم تحسم بعد، فان لدينا مسألة أخرى تخص تاريخ مصر وحقبها التاريخية، فهناك من يقول من الباحثين وهم كثر، مصر فى العصر اليونانى الرومانى ويمتد هذا العصر فى رأيه من فتح الاسكندر إلى الفتح العربى، مع تقسيم الفترة إلى ثلاث فترات، بطلمية، رومانية، بيزنطية، وهناك من يتناول أحداثها كوحدة واحدة دون تمييز بين فتراتها، كما أن العصور البطلمية يتم تقسيمها الآن إلى فترات وبالمثل العصر الرومانى الفترة الباكرة والفترة

المتأخرة و يتم تقسيمه إلى فترات – القرنين الأول والثانى فترة، والقرنين الثالث والرابع فترة والبعض مدها إلى منتصف القرن الخامس، ومن منتصف القرن الخامس و السادس وبقية القرن السابع فترة، والبعض أسماها مصر فى العصر الرومانى المتأخر ويرى أن الفترة ما بين القرنين الرابع والسابع هى فترة التحول الكبير فى مجرى التاريخ من العصر الرومانى إلى العصر البيزنطى وقد اصطلح على تسميتها بالعصر الرومانى المتأخر ، فنحن حتى قرب نهاية القرن السادس الميلادى نقول إن جوستنيان قد كان آخر الاباطرة الرومان ولم يصبح بعد بيزنطيا ! والواقع أن التاريخ البيزنطى ليس إلا مرحلة جديدة من التاريخ الرومانى كما ان الدولة البيزنطية ليست إلا امتدادا للامبراطورية الرومانية وعموماً فان مصطلح بيزنطى ما هو إلا مصطلح جرى اطلاقه حديثاً ولم يكن معروفاً عند الذين نسميهم بيزنطيين، أو أن هؤلاء كانوا ينعتون انفسهم بأنهم رومان. واعتبر الامبراطور نفسه حاكماً رومانياً؛ وخليفة القياصرة الرومان وورثهم فى ملكهم، وظل البيزنطيون يحرصون على الاحتفاظ باسم روما، طالما عاشت امبراطوريتهم ، يضاف إلى ذلك ان تقاليد الحكومة الرومانية ظلت تسيطر على أفكارهم واغراضهم السياسية حتى نهاية عمرها واذا كان البعض يرى ان الفكر الرومانى صار باهت فى تلك الفترة فانه يمكن الرد عليه بأن حركة الرومنة للقوانين كانت على قدم وساق فى الامبراطورية وبدأت القوانين الرومانية يتزايد استعمالها ابتداء من منح كاركلا المواطنة الرومانية لكل سكان الامبراطورية عدا المستسلمين.

واذا كان البعض يعارض اطلاق اصطلاح على مصر إبان العصر

اليونانى الرومانى» . فيرى البعض أنه هناك ظواهر فى الادارة اختفت من العصر البطلمى قابلها ظواهر جديدة ظهرت إبان العصر الرومانى ، ولكن الجدير بالذكر ان بعض ما اختفى من وظائف ادارية ومالية عاد للظهور فى العصر الرومانى ، وما يمكننا قوله هنا أن المظاهر المشتركة والمتطورة كان اكثر من الظواهر الفارقة بين العصرين الهلينستى والرومانى.

الفصل الثانى

مبادئ أساسية فى منهج دراسة التاريخ القديم «الزمان، المكان»

تقوم دراسة الظاهرة التاريخية من أقدم العصور إلى الآن على ثلاثة أسس هى الإنسان والزمان والمكان، فلا يمكن تصور فعل تاريخى أو ظاهرة تاريخية خارج حدود هذه الأسس الثلاثة فالإنسان باعتبار أن تسجيل أعماله ومنجزاته هو موضوع التاريخ ذاته والزمان باعتبار أن التاريخ يجرى فى مجال من الأبعاد الزمنية، والمكان الذى يشكل ساحة ومسرحاً للاحداث، وباعتبار ما يكون للظروف الطبيعية فى كثير من الاحيان من آثار فى توجيه الأحداث وجهة بعينها.

واذا كان منهج البحث فى التاريخ القديم يشارك مناهج البحث فى التاريخ الإسلامى والوسيط والحديث فى تلك الأسس الثلاثة السابقة الذكر، إلا اننا ينبغى أن نلاحظ أن هناك قضايا خاصة فى التاريخ القديم ينبغى التأكيد عليها فى الأسس الثلاثة خاصة وأن بعضها يمثل فى الواقع قضايا حقيقية تتطلب منا الحذر والانتباه.

١ - علم الإنسان (Anthropology)

أصبح علم الإنسان علماً بأدق معنى الكلمة، فقد صارت له قواعده الثابتة للدراسة ويهتم بالدراسات اللغوية والعرقية والانماط الثقافية المختلفة ... إلخ وبعبارة أخرى هو علم يدرس تطور وتسلسل الإنسان، وهذا العلم

يشترك مع علم الاثار والتاريخ فى البحث فى تطور الإنسان منذ أن بدأ يسعى على الارض؛ إذ يبدأ التاريخ فى شكله الجنينى منذ بدأ الإنسان نفسه يسجل شيئاً عن ماضيه بطريقة أو بأخرى مبتكراً بذلك معرفة جديدة تساهم فى بناء الفكر الإنسانى والحضارة الإنسانية، ذلك أن الإنسان سجل تاريخه حتى قبل أن يتوصل إلى الكتابة ، من خلال ما خلفه من رسوم ساذجة على جدران الكهوف التى عاش فيها، او ما حفظت لنا الأرض من أدواته الحجرية والمعدنية، واذا كنا قد رأينا أن التاريخ يرجع فى أصله إلى أى تسجيل كان، عن الوجود أو النشاط الإنسانى، فإن على المرء أن يبحث عن البدايات الأولى للتاريخ من خلال بقايا المواد ذات الشكل المختلف أو يستعين المؤرخ بمعطيات علم الإنسان .

وقد بدأت سمات هذا العلم كعلم فى العصر الحديث ومن ثم فان الشعوب القديمة لم تعرف علماً بهذا المعنى المحدد، وان كانت بعض الشعوب القديمة قد عرفت أن هناك بعض الفروق فيما بينما وقد وجدت بعض المحاولات لتصنيف البشر إلى جماعات، ففى سفر التكوين من العهد القديم، نجد تفسير سلالة سيدنا نوح عليه السلام على النحو الآتى: -

« أبناء سام وحام ويافت » ولكن نرى أن القدامى عموماً قد عدوا الصفات الجسمية بوصفها معايير لتصنيف اعراق البشر هى أقل أهمية من المعايير الاخرى فقد أدركت الشعوب القديمة وجود خلافات فيما بينها، والفروق بينها هى فى الخصائص القومية والعادات والمعتقدات خاصة الدينية منها، وقد أدى هذا الإحساس فى بعض الاحيان إلى صراعات وحروب، ومن الأمثلة على ذلك، التفرقة عند اليونان بينهم وبين البرابرة

Barboroi فالبرابرة عندهم يقصد بهم الاجانب المختلفون فى الحضارة وفى نظمهم السياسية، كما نجد أن اليهود ميزوا بينهم وبين غيرهم من الشعوب وأصحاب الديانات الأخرى فقد اسموهم بالأغيار، ومانحس به عند المؤرخ تاكيتوس Tacticus فى كتابه عن الجرمان عن الفرق بين الرومان والجرمان. وخير دليل على قولنا من أن الشعوب القديمة لم تلق بالآ للاختلافات العرقية فى المنازعات التى نشبت بينها فالصراع بين الرومان وحلفائهم الايطاليين من جهة والقرطاجيين من جهة أخرى، لم يكن بسبب العرق فالأولون هندو اربيون بينما الآخرون ساميون ، انما كان لاسباب أقتصادية واستراتيجية دفاعية. كما أن الصراع بين اليهود المكابيين من جهة وبين انطيوحونس الرابع من جهة اخرى فى أرض يهوذا (Gudaea) لم يكن علته عرقية أو عنصرية وانما كانت علته ان انطيوحونس أراد فرض الثقافة اليونانية على اليهود عنوة – كما أن صراع اليهود فى الاسكندرية مع الاسكندريين إبان العصر الرومانى كان لأسباب دينية ولدوافع سياسية وليس لأسباب عرقية.

وكما قلنا أن معطيات علم الإنسان أصبحت عوناً وسنداً أساسياً لمؤرخ عصور ما قبل الكتابة خصوصاً فى محاولته بناء نسيج تاريخى للانماط الثقافية والحضارية للشعوب القديمة، فمن خلال علم الإنسان يجد المؤرخ طريقة أيسر نحو ادراك النمط الثقافى الذى يعتبر فى كثير من الأحيان أمراً ضرورياً لفهم بعض الاتجاهات السياسية سواء فى مجال النظم الدستورية أو العلاقات الخارجية.

ويمكن أن يستفيد المؤرخ من معطيات علم الإنسان فى دراسته

للهياكل العظمية والجماجم البشرية التى اخرجتها معاول المنقبين فى معرفة الجنس الغالب فى منطقة من المناطق ومدى اختلاط هذا الجنس مع غيره من الاجناس، وأثر ذلك على المناطق التى حل بها هذا الجنس أو انتقل إليها مهاجراً فى نمو حضارتها أو تخلفها. وأيضاً معرفة ثقافة ومعتقدات هذه الشعوب ، فعلى سبيل المثال استخدم المؤرخون المحدثون هذه المعطيات خير استخدام فى التأكيد على قول هيرودت حول أصل الاترورييين الأسيوى، كما يمكن للمؤرخ الاستفادة مما خلفته الجماعات القديمة من الرسومات والتصاوير فى معرفة اعراقها، ولكن فى ضوء ما وصلنا منها، وهو قليل، لا تستطيع استخراج نتائج حاسمة دقيقة، هذا فضلاً عن أن الرسومات قد لا تعبر عن دقة الرسام فى التزامه بما يجرى حوله، ورسمه ملامح وجوه شعب أوجنس. وفى ضوء ذلك فعلى الباحث أن يحاول الاعتماد على معطيات علم اللغة المقارن فقد يقدم له هنا معلومات اكثر وضوحاً. وهذا ايضاً ما حاول الباحثون استخدامه لمعرفة أصل الأترورييين.

٢ - *التفسير الزمنى للوقائع* (Chronology)

الزمان هو أساس العملية التاريخية، فهو الذى يجعل للواقعة صفتها التاريخية، فمن غير الممكن العثورعلى أية واقعة تاريخية خارج نطاق الزمان ، والزمان الذى نقصده هنا هو الزمان الإنسانى أى عمر الجنس البشرى فوق الأرض، وهذه الفترة التاريخية من عمر الأرض هى موضوع التاريخ، فالفعل التاريخى فى حقيقته فعل إنسانى وقع داخل

حدود الزمان الإنسانى، وهذه الأفعال تتابع تتابعاً زمنياً ، وعلى أساسها تفسر الواقائع الأخرى فى تسلسل وترتيب زمنى متصل الحلقات.

وللتصنيف الزمنى وظيفتان : وهما على النحو الآتى : -

١ - ***التسلسل الزمنى النسبى*** Relative chien. : وهنا يقــوم المؤرخ بتقدير العلاقة الزمنية التى تحملها الحقائق التاريخية كل منها للأخرى وارتباط بعضها البعض، ولتصرب عدداً من الامثلة على ذلك، الصراع بين الفرس واليونان نجد أنه فى عام ٤٧٩ق.م وقعت معركتى بلاتيا (Plataea) وموكا لى (Mycale) ونتيجة لشعور اليونان بالخطر فقد كونوا حلفاً منهم بزعامة أثينا فى عام ٤٧٨ ق.م وهو حلف ديلوس ، ومن ثم فاننا نجد أن وقائع الحرب الفارسية اليونانية هى التى أدت إلى قيام الحلف والذى كان ضرورة ملحة لليونان، وبالمثل فاننا نجد أن الاسكندر الاكبر عندما دخل مصر غازياً حل محل الملك «دارا» كفرعون لمصر وسيداً للعالم، كما أن موت دارا جعل الاسكندر يصير ملكاً على آسيا وسيد الجهات الاربع، كما أن موته الماجئ فى عام ٣٢٣ ق.م قد نتج عنه تقسيم امبراطوريته الشاسعة بين قواده ليصببحوا ولاة عليها، كما أن قتل كل من فليب ارهيدايوس الاخ غير الشقيق للاسكندر والاسكندر بن الاسكندر وفراغ العرش المقدونى والصراع بين القواد أدى إلى اعلان هؤلاء القواد انفسهم ملوكاً على الولايات التى أسندت إليهم إدارتها. كما أن موقعة اكتيوم وموت كليوبترا جعل مصر ولاية رومانية . كذلك فإن دخول العرب لمصر سنة ٦٤٢ م يمثل نهاية للعصور القديمة وبداية للعصور الإسلامية الوسيطة.

٢ - التسلسل الزمنى المطلق (Absulute chien) :

وهنا يقوم المؤرخ بتقرير وتقدير بعد الواقعة التاريخية بالنسبة له بوصفه يقوم برصدها وتسجيلها، ومؤرخ التاريخ القديم يستخدم نظام التقويم الميلادى المعروف بالتقويم الجريجورى ، والذى يقوم على تقرير وحساب الزمان بالاعوام والأشهر والأسابيع والأيام ، ولكن تواجه مؤرخ التاريخ القديم مشكلة فى تطبيقه لهذا النظام فى حساباته لتأريخ وقائع حدثت فى التاريخ القديم، والسبب فى ذلك أن الشعوب القديمة لم يكن لها تقويم واحد، فكان لكل شعب من الشعوب تقويمه الخاص به لحساب وتقدير الزمان، وبعض الشعوب اعتمد على الدورة الشمسية ، وهم اقلية، بينما البعض الآخر وهم اكثرية، اعتمدوا على الدورة القمرية، ولحل هذه المعضلة فعلى مؤرخ العصور القديمة أن يقوم بدراسة تقاويم الشعوب المختلفة والتى هى محل دراسته وابحاثه حتى يتسنى له تحديد زمن الواقعة بشكل دقيق أو أقرب إلى الدقة من لحظة رصده لوقوعها.

واذا كان المؤرخ يستخدم طرقاً مختلفة تساعده فى التأريخ للوثائق والأحداث، سبق لنا الحديث عنها، فانه أيضاً يمكنه استخدام التوافق التاريخى (syncrronesms) لتحديد بعض الوقائع المجهولة التاريخ من وقائع عاصرتها معروفة التاريخ، أو أمكن تحديد تاريخها، فعلى سبيل المثال فقد اظهرت الرقم الطينية المكتوبة بالمسمارية، والتى عثر عليها فى مدينة مارى فى منطقة الفرات الأوسط، أن ملك بابل حمورابى المشرع كان متزامناً مع الملك الأشورى شامشأداد ومعنى ذلك انه حكم حوالى عام ١٧٠٠ق.م وليس فى القرن العشرين ق.م كما كان يظن من قبل، ومن

الامثلة الأخرى على التوافق الزمنى ما ذكره بوليبيوس من أن احراق روما على يد القبائل الكلتية «الغالية» قد حدث فى نفس السنة التى تم فيها صلح انتالكليداس (Antalcdas) بين الدولة الاخمينية واليونان وهو ما نعلم أنه قد حدث فى عام ٣٨٦ق.م ، ويروى لنا بولبييوس احداثاً قبل وبعد هذه السنة مثل استيلاء ديونيسيوس الأول ملك سيراكوز على مدينة ريجيوم فى جنوب ايطاليا بعد تسعة عشر عاما من واقعة ايجوس بوتاموس (٤٠٥ / ٤٠٤ ق.م) وقبل ستة عشر عاماً من واقعة ليوكتيرا ٣٧٦ ق.م وهذه التواريخ تشير عند تحديدها إلى عام ٣٨٧/٣٨٦ ق.م.

ونود أن ننوه هنا بأن علينا أحياناً الحذرعند تبنى مثل هذه الاخبار واعتبارها أكيدة، فاحياناً ما يكون التوافق فيه قدر من المبالغة وعدم الصحة أو الخيال ، ومن الأمثلة على ذلك الرواية التاريخية القائلة أو الزاعمة بأن معركتى سلاميس البحرية والتى كان النصر حليفاً لليونان فيها، قد وقعت فى عام ٣٨٠ق.م وهى نفس السنة التى وقعت فيها موقعة هيميرا (Himera) والتى انتصر فيها يونان صقيلة على القرطاجيين ليس هذا فحسب بل أيضاً أنهما وقعتا فى نفس اليوم، وهذه الرواية قد يكون الغرض من ذكرها هو إرضاء للزهو القومى عند اليونان.

كما يقوم علماء البردى والنقوش والشقافات باستخدام اسلوب التوافق التاريخى لمعرفة تاريخ بعض المصادر المجهولة التاريخ أو المهشمة التاريخ من الوثائق المعروف تاريخها . والتى اما تكون متزامنة معها أو سابقة عليها فى التاريخ.

ويستخدم مؤرخ التاريخ القديم أيضاً بعض الظواهر الفلكية والسماوية مثل خسوف القمر خسوفاً كلياً وهو ما يمكن حسابه حساباً فلكياً دقيقا، وهذا يساعد المؤرخ على تحديد دقيق لتاريخ وقوع الحدث على نحو دقيق ومن الامثلة على ذلك الخسوف الذى وقع ابان قيام الاثينيين بحملتهم على صقلية ابان حرب البلوبونيز فى عام ٤١٣ ق.م وهذا الخسوف يحدده الحساب الفلكى بيوم ٢٧ اغسطس عام مع ٤١٣ ق.م، وكان لهذا الخسوف اثره السلبى على الحملة الاثينية حيث انه قد أعاق حركة الاسطول الاثينى. كما تسجل المصادر خسوفاً آخر وقع قبل أحد عشر يوماً من معركة جاوجميلا Gaugamela بين الاسكندر ودارا أى فى ٢٠ سبتمبر من عام ٣٣١. ومن ثم فان تاريخ الموقعة هو أول اكتوبر سنة ٣٣١.

وإذا ما عدنا إلى الوراء فان لدينا وثيقة بردية من الفيوم والتى تسجل ظاهرة فلكية ألا وهى ظهور نجم الشعرى اليمانية «شدت» فى الصباح فى السنة السابعة من حكم ملك من ملوك الأسرة الثانية عشرة، وفى حساب بعض العلماء ونظرهم فى تواريخ هذه الأسرة الحاكمة أن هذه الظاهرة الفلكية تمثل لهم خير عون فى تحديد بداية حكم الأسرة الثانية عشرة بحوالى عام ١٩٩١ ق.م تقريباً.

ويستخدم المؤرخ لتاريخ مصر، بعض المصادر الوثائقية التى تدون فيها أهم الاحداث بتسلسل زمنى خاص بسنى الملوك والحكم فى شكل قوائم متصلة منقوشة على النصب الحجرية وجدارن المعابد وقوائم أخرى مخطوطة على صحاف البردى أحياناً ومن أهم ما عرف حتى الآن من هذه وتلك ما يسمى اصطلاحاً بأسماء قائمة حجر بالرمو من القرن ٢٥

ق.م، وقائمة الكرنك من القرن الخامس عشر ق. م وقائمة أبيدوس وبردية تورين من القرن الثالث عشر ق.م وقد اكتفى بعض هذه القوائم بتسجيل تتابع اسماء الملوك بينما اضاف بعضها إلى أسمائهم ذكر فترات حكمهم بالسنين والأشهر والأيام، كما تضمن بعضها الآخر وهو الأهم ما اشتهرت به عهودهم من منشآت خاصة وعامة وأعياد وحروب وبعثات تجارية ويستخدم مؤرخ الأشوريات قائمة الملوك التى عثر عليها فى بلدة خورسباد، وتتضمن سنوات حكم الملوك ابتداء من عام ١٤٣٠ ق.م وحتى نهاية الدولة الأشورية، ونقش باروس يستخدمه مؤرخ تاريخ اليونان كخير عون له فى معرفة تسلسل الأحداث فى التاريخ اليونانى، والنقش عبارة عن تسجيل لاحداث التاريخ اليونانى مرتباً منذ عهد كيروبس Ceerops الاثينى الاسطورى حتى عهد حاكمها ديوجنيس Deogines أى حتى عام ٢٦٣/٢٦٤ ق.م ويستعين مؤرخ تاريخ اليونان بقوائم الحكام الأراخنة فى اثينا ونقباء اسبرطة، بينما يستعين مؤرخ التاريخ الرومانى بقوائم القناصل، وهؤلاء واؤلئك كانت وظيفتهم سنوية.

وسنحاول الآن أن نعرض بإيجاز لأهم التقاويم عند الامم القديمة فقد بدأ الإنسان القديم يشعر بالفروق الزمنية بما يتكرر حدوثه من ظواهر طبيعية واختلافها مثل شروق الشمس وغروبها واختلاف الليل والنهار والدورة القمرية، ودورات الحيض الشهرية عند النساء ومواسم السنة ، (الحصاد، سقوط الجليد، تجدد براعم أوراق الشجر، بالإضافة إلى موسم المطر والجفاف وفيضان الأنهار وهجرة الطيور وماشاكل ذلك) وكذلك الظواهر الكونية، ونتيجة لهذا فقد تقدم وتعمق عند الإنسان مفهوم الزمن

وبدأ يشعر بحاجته إلى قياس الوقت و التفرقة بين الأيام اعتماداً على ظاهرة طبيعية معينة ومعروفة وتحديد الأيام المحرمة والمقدسة وايام السعد والنحس.

ومن ثم فقد ابتدع طرق لذلك رغبة منه فى تسجيل وتحديد ما يحدث من ظواهر طبيعية غير عادية، كان يعتقد فى العصور القديمة أن لها مغزى دينياً، وكانت ثمرة هذا كله أن عرفت الشعوب القديمة التقويم، أيا كان شكله ، وان اختلفت أطوال الشهور والسنة اختلافاً كبيراً ولعل اقصرها هى السنة المقسمة إلى ستة شهور وتلتزم بها بعض الشعوب الاستوائية وهذه السنة تحتوى على فصل مطير وفصل آخر جاف أى دورة واضحة. وعموماً فإن التقاويم القديمة اعتمد بعضها على الدورة الشمسية والبعض الآخر على الدورة القمرية فى عملية قياس الزمن، ولعل الشعوب القديمة جميعاً قد اعتمدت على التقويم القمرى فى بداية تأريخها ومنها المصريين، ولكن عدل المصرى القديم من تقويمه المعتمد على الدورة القمرية إلى الاعتماد على الدورة الشمسية، وبزا يكون المصريون هم أول الشعوب المستخدمة للدورة الشمسية والتقويم الشمسى بين الشعوب القديمة، كما عرفته شعوب المايا (Maya) والأزتك Aztecs فى امريكا الوسطى منذ حوالى عام ٣٠٠٠ ق.م، وكانت السنة الشمسية عندهم ٣٦٥ يوماً . مؤلفة من ثمانية عشر شهراً مسماة، يتكون كل منها من عشرين يوماً، بالاضافة إلى فترة نسئ تسمى (Uayel) وهى فترة نهاية السنة وتحتوى على خمسة أيام نحس. وقد تمكنت قبائل المايا من حساب الخطأ فى التقويم بين ٣٦٥ يوماً وبين السنة الفعلية لفترة تمتد حوالى أربعة آلاف سنة.

اما عن التقويم المصرى فهو أهم التقاويم الشمسية وأولها إذ يقول هيرودت أن المصريين كانوا أول من عرف السنة الشمسية ،وانهم قسموا فصولها اثنى عشر شهراً. وهذا التقويم هو أقرب التقاويم إلى التقويم الصحيح، فقد كان هذا التقويم ينقص عن السنة الشمسية الواقعية بمقدار ربع يوم، اى بواقع يوم كامل كل أربع سنوات، وترتب على هذا العيب فى التقويم المصرى أنه لم تعد شهور السنة متفقة مع الفصول الثلاثة التى كانت تمثل دورة زراعية فى مصر، وبقى هذا العيب فى التقويم المصرى حتى قام بطلميوس الثالث يؤرجتيس باصلاح هذا العيب وذلك باضافة يوم سادس إلى أيام النسئ كل اربع سنوات وهذا ما يوضحه قرار كانوب ٢٣٨ ق.م مما يعنى إنه لأول مرة فى التاريخ سوف يوجد عام من ٢٦٦ يوماً ، بيد ان هذا الاصلاح أصابه الإهمال عقب وفاة الملك، والسبب فى ذلك يعود إلى تمسك الكنهة الشديد وحفاظهم على التقاليد ، التى عمرها آلاف السنين حتى كان عهد اغسطس الذى فرض. التقويم اليوليانى على مصر فى عام ٢٢ ق.م وكان يوليوس قيصر قد قام باصلاح التقويم وأطلق على تقويمه التقويم اليوليانى، كما أنه قد استعان بسوسيجنيس Sosigenes وهو فلكى مصرى يونانى من مدينة الاسكندرية فى اعداد تقويمه الجديد لاستخدامه فى روما والاتحاد الايطالى وتوابعهما حتى يقضى على استغلال الساسة للدين والتلاعب بالتقويم وفقاً لصوالحهم، وقد أقام هذا اليونانى تقويمه على أساس التقويم المصرى القديم الذى كان الكهنة قد توصلوا إليه فى عام ٢٣٨ق.م وقام باصلاح العيب وهو ربع اليوم الناقص، والجدير بالتنويه أن التقويم الميلادى الحالى قد اعتمد على هذا التقويم اليوليانى، فقد أمر البابا جريجورى الثالث عشر باصلاح العيب البسيط فى

التقويم اليولياني الذى كان يحسب السنة ٣٦٥ يوماً مع إضافة يوم كل أربع سنوات ولكنه كان يسمح فى كل سنة بزيادة بسيطة من السنة الشمسية الواقعية وهى ١١دقيقة و ١٤ ثانية، فعلى الرغم من قلة هذه الزيادة سنوياً فإن تراكمها على مر السنين قد وصلت بالزيادة فى زمن جريجورى إلى عشرة أيام كاملة، ومن ثم كان اصلاحه للتقويم اليوليانى. وهكذا فقد اعتمد التقويم اليوليانى على التقويم المصرى واعتمد البابا جريجورى بدوره على التقويم اليوليانى فى اعداد تقويمه .

واعتمدت أغلبية الامم الأخرى على التقويم القمرى، فقد استخدم البابليون والأشوريون قديماً أنواعاً من التقاويم قبل على ١٩٠٠ق.م، واستخدم البابليون أولاً تقويماً سنته مؤلفة من ستة أشهر قائمة على الخسوفات القمرية، ثم توصلوا بعد ذلك إلى سنة مؤلفة من اثنى عشر شهراً قمرياً ٣٥٤ يوماً وأضافوا شهراً ثالث عشر (أدرج فى التقويم بين شهرين موجودين) من حين إلى آخر، كلما دعت الضرورة إلى ذلك، وشاعت أسماء مختلفة للشهور فى مناطق بلاد الرافدين المختلفة إلى ان توحدت، وكان للأشوريين نظامهم فى التقويم فى البداية اعتمد على مطالع الشمس ومغاربها، وكانت لديهم سنة (بحلول ١٩٠٠ق.م) تتألف من ٣٦٠يوماً مقسمة إلى اثنى عشر شهراً متساوية، أضيف إليها مدة مقدارها ١٥يوماً كبيساً كل ثلاث سنوات ثم تبنى الأشتوريون فيما بعد التقويم البابلى بعد أن غزوا بابل. واتبع اليهود نظام تقويم طرأت عليه تغييرات كبيرة فى الثلاثة أو الأربعة آلاف سنة الاخيرة واحتوى هذا النظام على سنوات متباينة الاطوال والأسس، وكان الحساب دائماً عملية معقدة بحيث يصعب الخوض

فـيـه هنا. وان كـان علينا التنويه بتبنى اليـهود لنظام ميـثون Meten، وسنتحدث عنه لاحقا واتبع اليونان التقويم القمرى وعدد أيام السنة عندهم ٣٥٤يوماً ، وابتدأت تقاويمهم على ما يبدو مع فترة حرب طرواده، وكان لكل مدينة دولة نظمها الخاصة وإن تماثلت اسماء الشهور فى كثير من الاحيان (ولكنها لم تكن تشير إلى الشهر نفسه) وتباينت نهايات السنة من ظهور أول هلال عقب الانقلاب الصيفى (اثينا) إلى الاعتدال الخريفى (مقدونيا واسبرطة) ، وقيل أن اليونان لم يعبأوا كثيراً بدقة تقاويمهم، ومع ذلك فمن المعروف أن كثيرين من اليونان اعتادوا الاحتفاظ تقاويمهم منصوبة على موائدهم (Parapegnata) التى تتيح للمرء معرفة مواقع الشهور القمرية، والاعتدالية، وما شايه ذلك ونجح ميتون الاثينى فى ايجاد نظام للتقويم سمى النظام الميتونى والخاص بحساب السنة الكبيسة فقد حاول فيه تحقيق الانسجام بين السنتين الشمسية والقمرية بادراج سبعة اشهر كل تسع عشرة سنة وكانت أسماء الشهور إما مجرد أعداد ترتيبية، أو اسماء آلهة أو اسماء الاعياد المحتفل بها وقد حسب اليونان عدد أيام الشهر على أنها ٢٩,٥ يوم ولتفادى الكسر فى العدد جعلها شهراً يتألف من ٢٩ يوماً والشهر الذى يليه يتألف من ٣٠يوماً على التتابع، وأطلقوا على الشهر الأول شهراً أجوف Koiles والشهرالتالى شهراً كاملاً pliris، وقسموا الشهر إلى ثلاثة عقود dekdes.

وعموماً قد نتج عن تعدد التقاويم اليونانية مشكلة فى تأريخ الوقائع ذات الصفة العامة فى التاريخ اليونانى؛ وننوه إلى أن المؤرخين اليونان قد شعروا بهذه الصعوبة ومن ثم فقد لجأوا إلى التأريخ بالدورات الأوليمبية التى كانت تعقد كل أربعة أعوام. وجعلوا بداية هذه الدورات فى تاريخ تقليدى متعارف عليه هو عام ٧٧٦ ق.م.

أما عن نظام التقويم عند الرومان فإنه يعتمد عل الدورة القمرية فيقال أن الملك نوما بومبيليوس هو أول من وضعه وظل مستخدماً حتى تم اصلاحه على يد يوليوس قيصر.، وتقول الروايات الرومانية أن الملك نوما بوبيليوس وضع تقويماً كان يبدأ فى شهر مارس وكانت السنة عشرة أشهر فقط، ولما وجد الملك نوما بومبيليوس أن التقويم ناقص اضاف شهرين هما شهر يناير وفبراير إلى أول العام القديم وليس إلى آخره، ولايزال اثر ذلك واضحاً فى أسماء الشهور الافرنجية فمثلاً شهر سبتمبر يعنى فى اللغة اللاتينية الشهر السابع واكتوبر يعنى الثامن، ونوفمبر يعنى التاسع وديسمبر يعنى العاشر، وهكذا بقيت هذه الاسماء حتى بعد اضافة شهرى يناير وفبراير إلى أول التقويم الذى طوره يوليوس قيصر بصفته كاهناً أعظم للرومان وقسم الرومان الأيام إلى ايام سعد وايام نحس ونظراً للتباين بين السنة الشمسية والسنة القمرية فقد كان مجلس الكنهة الرومان هو المشرف على التقويم، يضيف أياما إلى الشهور حتى تتطابق السنة القمرية مع السنة الشمسية، وقد أثر عدم ثبات التقويم فى الاحداث الرومانية تأثيراً كبيراً فقد استغل بعض السياسيين اضافة هذه الأيام لتغيير التواريخ من اجل اغراض سياسية، وخاصة أن مقدار الفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية يكاد يزيد على شهرين، عندئذ أضاف قيصر تسعين يوماً جديداً لعام ٤٦ق.م وأصبح عدد أيام السنة ٣٦٥,٢٥ يوماً ، ونود أن ننوه إلى انه قبل الاصلاح اليوليانى يصعب ضبط تواريخ عصر الجمهورية بشكل دقيق وعلى العكس من ذلك يسهل تحديد التواريخ ابتداء من عام ٤٥ق.م. وكان ذلك ثمرة اصلاح التقويم اليوليانى .

(جـ) دراسة الظروف الجغرافية والمكانية

(Geography & Topography)

نلاحظ أن دراسة الجغرافيا فى العصور القديمة لم تكن منفصلة عن دراسة التاريخ، فكات الجغرافيا والعلم بخصائص الشعوب عند هيرودت مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالتاريخ، فالفعل اليونانى (historein) يعنى عند هيرودت وغيره الاسفار بغرض التعرف على البلاد الاجنبية وشعوبها ووصف عادات وتقاليد تلك الشعوب وصفاً مسهبا، فعلى سبيل المثال عند حديثه عن مصر نجده قد أطنب فى وصف أرضها وتكوينها الطبيعى وحدودها ثم تحدث عن النيل وما راعه من طبيعته وأثره فى تكوين هذه الأرض وتلوينها وتشكيل طبيعتها، وتكييف حياة أهلها، وعن فضل هذا النهر عليهم ثم عقيدتهم عنه، وتحدث أيضاً عن عادات وتقاليد اهلها، وتحدث عن أوجه الشبه والاختلاف بين طبيعة النيل وطبيعة الانهار فى بلاد اليونان) ثم عاد ففصل الحديث عن القناة التى تصل ما بين النيل والبحر الأحمر وعن بحيرة موريس وعظمتها وعن قيمتها واثرها فى حياة البلاد الزراعية والاقتصادية.

ونلاحظ أيضاً أن الكتاب القدامى (على سبيل المثال هيرودت واسترابون وابقراط وبوسيدونوس ... الخ) يعتقدون بالعلاقة المتبادلة القوية بين الإنسان والبيئة وقد حاول البعض منهم الربط بين الظروف الطبيعية والتاريخ، فكانت فكرة ارتباط الخصائص الخلقية لشعب من الشعوب بالعوامل الجغرافية فكرة واسعة الانتشار بين القدماء ، وقد عكس لنا كتاب

ابقراط، وهو بعنوان الأهوية والأمواه والأماكن "Peri aeron idaten Kai Topon" هذه الفكرة وهذا الكتاب يعد أول رسالة في علم المناخ الطبى، ويصف فيه الكاتب اثر طبيعة الأرض والمناخ فى الصحة والأخلاق، وأن على الطبيب أن يوجه اهتمامه التام إلى المناخ فى كل منطقة من المناطق وإلى تقلبات الطقس الناجمة عن تغير الفصول، وعن مدى التعرض للمؤثرات المتباينة، وطبيعة ما تيسر لنا من الماء والطعام، وما إلى ذلك وينبغى أن تدرس كل مسألة طبية فى جوها الجغرافى والبشرى الخاص، لأن الأمراض تختلف باختلاف الاماكن تبعاً لتباين طبيعة سطح الأرض واختلاف المناخ وتفاوت الطبيعة الإنسانية كما تحدث وكتب عن تأثير المناخ فى الطباع، وهكذا نجد أن هذا الكتاب هو ضرب من البحث التاريخى من وجهة النظر الانثروبولوجية فى الفرق بين اوربا وأسيا أو بين الهلينيين والبرابرة، ويرجع ابقراط هذه الفروق بوجه خاص إلى اعتبارات مادية (جغرافية) وهذا ما فعله معاصره هيرودث أيضاً .

كما يقرر ابقراط فى كتاب آخر بعنوان التدبير الصحى فى العافية "Pere deaites hygeenis" يقرر فيه قواعد التغذية والتمارين الرياضية حسب فصول السنة ومزاج الإنسان وسنه.

ويقدم الكاتب اليونانى بوسيدونوس فى القرن الأول قبل الميلاد نفس الأفكار فى كتابه وهو بعنوان (peri okionou) وقد بقيت الجغرافيا متصلة بالتاريخ فى مناهج التعليم حتى العصور الحديثة إلى أن بدأت الجغرافيا في الاهتمام، فى القرن التاسع عشر، بموضوعات تتصل بالتاريخ الطبيعى وعندئذ تقلص ارتباطها بالتاريخ وعلى الرغم من انفصالها عنه فقد بقى

بينهما بعض الاتصال، اذ يوجد فرع من الدراسات الجغرافية يعرف باسم الجغرافيا التاريخية (historical Geogcaphy)، فاذا كان هذا فهم الكتاب القدامى عن الصلات بين الظروف الجغرافية والمكانية والإنسان والتاريخ، فإنه أحرى على دارس التاريخ القديم أن يكون عارفاً بالظروف الجغرافية وطبوغرافية المكان الذى يدرسه ، فلا يكفى له ان يكون على معرفة بالبلد الذى يدرسه وانما عليه أن يصاحب تصوره التاريخى قدرته على إدراك الخلفية الجغرافية لهذا البعد موضوع دراسته وانْ يكون لديه القدرة على تصور شكل المسرح الذى حدثته به الوقائع التاريخية محل دراسته، ولايمكن له ذلك إلا بمعرفة ودراسة الحقائق التى كانت حاسمة بالنسبة إلى التغيرات الطبوغرافية سواء اكانت من فعل الطبيعة أو من فعل الإنسان فكثير من مناطق الحضارة على شواطئ البحر المتوسط تأثرت بالزلازل والبراكين خاصة بلاد اليونان وجزر بحر إيجه وآسيا الصغرى وسورية، ومن الامثلة على ذلك البركان الذى شطر جزيرة ثيرا فى البحر الايجى فى العصر البرونزى وكان من اسباب ضعف كريت لقضائه على أسطولها ...، كما أن الزلزال الذى دمر جانباً من قصر كاتوسرس فى العصر البرونزى الحديث، واستغلال الموكينيين لذلك وغزو الجزيرة، وزلزال لاكونيا عام ٤٦٤ق.م والذى أصابها بخسائر فادحة فى الأرواح واستغلال الهيلوتس «المزارعين المربوطين بالأرض» واعلان ثورتهم على حكامهم الأسيوطيين، كما نعلم إن زلزال عام ٣٧٣ ق.م قد أزال كل من مدينة بورا Pura وهليكى (Heleke)

كما نلاحظ أيضاً اثر البراكين فى تأخير سكنى سهل لاتيوم إلى

بداية عصر الحديد وأثر البراكين التى طمرت مدينتى بومبى وفيزوف فى شبه الجزيرة الايطالية، كما ينبغى على دارس التاريخ القديم أن يأخذ فى اعتباره التغييرات التى تسببها الانهار فى مصابها أو فى تغيير مجاريها، وتأثير ارتفاع منسوب مياه البحار وغمره للسواحل والمناطق المأهولة بها، فعلى سبيل المثال غمرت مياه البحر لارتفاع منسوبها الأسكندرية القديمة كما نجد أن نهرى دجلة والفرات كانا منفصلين ولكن بمرور الزمن مع الترسيبات الفيضية اتصلا ببعضهما البعض فى منطقة شط العرب كما ان هذه الترسيبات شكلت مشكلة لمدينة الاسكندرية التى أسسها الاسكندر الاكبر عند رأس الخليج، واندثرت إلى أن أعاد السلوقيون نباءها تحت اسم خراكس.

وإذا كانت الطبيعة تؤثر عل نشاط الإنسانية، فإن الانسان القديم قد غير فى الطبيعة فقطعه للاشجار على سبيل المثال فى سفوح جبال الابنين بشبه الجزيرة الايطالية أدى إلى قلة المياة الجوفية وجفاف مصادر مائية قديمة ، كما نجد أن الإنسان فى بلاد اليونان تحت ضغط الجوع والحاجة للأرض قد قام بتدريج سفوح الجبال وزراعتها. ولتنظيم أمور الرى فقد قام المصرى القديم والعراقى القديم والأترورى القديم واليمنى بتنظيم أعمال الرى والصرف وبناء الجسورد والسدود. وقد نتج عن كل تلك الأعمال خير عميم ومنع الكوارث من الوقوع، والجد من اخطار الفيضانات الجارفة. وأخيراً فمن دراسة الظروف الجغرافية والمكانية فى العصور القديمة نلاحظ أن مواقع الحضارات القديمة كلها فى الغالب الأعم توجد فى المنطقة المعتدلة الحرارة أى منطقة البحر المتوسط وأشباهها، وإن الظروف الطبيعية

والمكانية فى رقعة ما كان لها عظيم الاثر فى توجيه النشاط الإنسانى وجهة معينة وذلك لأن إنسان العصور القديمة لم يكن قد بلغ درجة من التحكم والسيطرة فى الظروف الطبيعية، ونلاحظ أيضاً أن الموقع يؤثر فى المناخ والموارد النباتية والحياة الاقتصادية والتركيبة السكانية والعلاقات الخارجية بالنسبة للشعوب القديمة، فعلى سبيل المثال كان اعتدال مناخ منطقة الهلال الخصيب ووفرة الموارد فيها جعل القبائل العربية تندفع إليها فى فترات الجفاف التى حلت بالجزيرة العربية.

قصارى القول أن دارس التاريخ القديم يجب عليه أن يأخذ فى اعتباره التغيرات التى طرأت على سطح الأرض سواء بفعل عوادى الزمن أو بفعل الإنسان فى المنطقة محل دراسته، ولعل أهمية ذلك أنه يستطيع فهم وتفسير سلوك وأفعال سكان المنطقة من جهة ومن جهة أخرى فإن دراسته للمكان له أهمية خاصة فى دراسة سير المعارك فى ميادينها فيها ودراسة طبيعة أرض المعارك ومواقع المقاتلين وما إلى ذلك فاختيار تزسيمنى هينبال لمنطقتى كاناى لخوض حرب مع الرومان يكشف عن عبقريته فى فرض المعركة فى الأرض التى تتلاءم مع خططه وتكتيكاته.

ولنحاول الآن أن نلقى بعض الأضواء وباختصار حول أثر الظروف الجغرافية والمكانية على تاريخ بعض بلاد الشرق الأدنى وحوض البحر المتوسط.

خصائص مصر الجغرافية وأثرها على وضعها الفريد في العصور القديمة :

كان للخصائص الجغرافية الطبوغرافية المصرية عظيم الأثر فى تطورها السياسى وقيام أقدم وحدة سياسية عرفها العالم القديم، فجريان النيل فى أراضيها قد خفف من نتائج جفافها المناخى إلى حد كبير وطبعها بطابع خاص من الكفاية والاستقرار، ووجه حياة اهلها وجهة زراعية غالبة مترابطة منذ أن نزل المصريون القدامى إلى ضفافه واستقروا عليها وعرفوا الزراعة واستأنسوا الحيوان. ومنذ أن أصبحوا يشتغلون ويقدرون جوانب نفعه اكثر مما يخشون ويتحدون من مظاهر جبروته وطغيان فيضاناته.

كما أدت خاصية الامتداد الرأسى الطويل للنيل من الجنوب إلى الشمال مع قلة فروعه الطبيعة الجانبية، إلى توزيع مواطن الاقامة توزيعاً رأسياً أكثر منه افقياً، وتبعاً لهذا فقد دفع هذا الوضع إلى شعور أهلها بالحاجة إلى التكاتف لمواجهة فيضاناته الجامحة أحياناً، كما أن النهر استخدمه المصريون القدامى كوسيلة للانتقال والاتصال بين بعضهم البعض ، والذى ساعد بدوره إلى شعورهم، وخاصة حكامهم ومفكريهم بقوة الترابط الطبيعى بين أقسام أرضيهم ومصالحهم المتبادلة، كما أن فيضاناته، على الرغم من جودها وانتظامها فى الغالب الاعم، كانت تستدعى حيطتهم ويقظتهم الجماعية لمواجهتها، خاصة الاستثنائية منها، وهذا كله أدى إلى تزكية إحساس المصرى القديم بضرورة قيام حكم مركزى مستقر الدعائم يشرف على تنظيم العمل وتنسيقه حتى يتغلب على

مصاعبه وضبط حركة أمواهه، ونتج عن ذلك كله قيام نظام سياسى مركزى واذا كانت الصحراوات المصرية قد اشتركت مع غيرها من صحارى الشرق الادنى فى مظاهر فقرها الطبيعى ، وفى أنها كثيراً مادفعت بدورها الجماعات المحلية من البدو إلى تعكير أمن الحواف الزراعية وطرق التجارة البرية، وهذا هو الآخر جعلهم يشعورن بالحاجة إلى اليقظة الدائمة والمشتركة لكسر شوكتهم والزامهم ضرورة الطاعة قدر استطاعتهم، بيد أن هذه الصحروات مثلت بالنسبة لهم الام الحانية من حيث لم يحتسبوا فقد كان لاتساع فيافيها الخطرة العبور عظيم الاثر فى التقليل من استخدامها سبيلاً للهجرات الجامحة والغزوات الكاسحة من خارج مصر فى الغالب الاعم، وكان لوفرة معادنها وفرة نسبية وكثرة أحجارها مع تعدد الوانها وأنواعها الفضل فى استخدام المصريين لها فبنوا منها على مر الايام أضخم وأروع عمائر حجرية عرفها العالم القديم قبل نهضة اليونان والرومان.

وهكذا فقد لعبت الظروف الطبيعية دورها الهام فى قيام الوحدة بين مناطق الوادى المختلفة منذ أقدم العصور، وحمتها صحراواتها من الغزوات الكاسحة، كما ساعدت بحارها على الحد من الغزوات والهجرات إليها، ولكنها كانت فى نفس الوقت سبلاً للاتصال بالقوى المجاورة. وقد ساعد هذا كله على قيام وحدتها وتطور حضارتها، ونهضتها بشكل مستقل وبشكل نسبى.

كما أن موقعها الجغرافى جعلها تتمتع بمناخ معتدل جاف غير متقلب ساعد على همة ونشاط أهلها الجم، وعلى فكرهم وديانتهم، وآلهتهم وفنونهم ونظرتهم العامة إلى الحياة.

٢ - خصائص بلاد الرافدين الجغرافية وطبوغرافيتها:

تشابهت تأثيرات الانهار الكبيرة والصحروات الشاسعة فى أرض الرافدين مع تأثيرات اشباهها فى مصر فى بعض امرها وافترقت عنها فى البعض الآخر، فقد وفر كل من نهرى دجلة والفرات للرافديين تربة خصيبة وكفاية فى الانتاج ، ومن ثم فقد وفرا لهم نصيباً كبيراً من الاستقرار فى المعيشة والسكن، واقامهم حضارة راسخة القدم فى العصور مبكرة لا تبتعد كثيراً عن العصور التى نضجت فيها الحضارة المصرية الأولى.

وإذا كان نهر النيل قد سهل الاتصالات بين شمال واديه وجنوبه، فإن أثر نهرى دجلة الفرات قد سهلا الاتصالات المائية وساعد هذا على ارتقاء فن صناعة السفن منذ فجر التاريخ، بيد أن الملاحة فيهما لم تكن على الرغم من ذلك مأمونة دائماً، وذلك لشدة انحدار مجراهما فى بعض اجزائهما، وسرعة جرياه أمواههما فى اجزائهما العليا الشمالية ، وكثرة مستنقعاتهما فى مناطقهما الجنوبية بحيث استمرت عملية عبور الفرات فى بعض مناطق يحسب حسابها حتى العصور الآشورية المتأخرة، يضاف إلى ذلك فيضانات النهرين التى كانت عنيفة وخطرة فى غالب أمرها، لعدم انتظام مواسمها ولشدة اندفاعاتها فى مواسم الحصاد وتبعاً لذلك كانت تسبب لهم الخراب والدمار وتعود على الأهلين بأفدح الخسائر.

وأدت خاصية الامتداد الطويل والعريض للأراضى المتسعة التى تتوسط النهرين والأراضى الواقعة على جانبيهما والمترامية على روافدهما

وفروعهما، هذا فضلاً عن انتشار المستنقعات فى الجنوب والوسط إلى اعاقة قيام وحدة شاملة بين مناطق العراق، ولكن أدت كل تلك الظروف إلى قيام دويلات كثيرة مستقلة بعضها عن بعض، ونعمت كل منها باسلوب حكمها الخاص لفترات طويلة، وهذا التفرق أدى من ناحية أخرى إلى قلة احساس وشعور أهلها بالضرورة الملحة للتكاتف السياسى والترابط القومى فيما بينها إلا بدافع المطامع الاقليمية الطارئة التى تمثلت فى رغبة بعض المدن فى تعويض شح مواردها على حساب جيرانها أو تأمين طرق تجارتها، وعموماً فإن العراق لم يعرف الوحدة إلا فى زمن متأخر اى فى العصر الاكادى.

كما أن بلاد الرافدين انعكست عليها تأثيرات المناطق المجاورة لها، ففى الغرب والجنوب كانت تحيطها صحروات واسعة فعلى الرغم من نفعها إلا انها لم تخل من متاعب كبيرة فى الوقت نفسه، فكان من مظاهر خيرها أن قامت على اطرافها اسواق تجارية رائجة، وخرجت منها هجرات سابقة كبيرة نزلت أراضى العراق القديمة منها على فترات متقطعة، وكانت تشتد على اهلها الزراع فى بداية نزولها اليهم ثم لاتلبث أن تطمئن بعد ذلك إلى أسلوب معايشهم وتكفل التجديد فى دمائهم وتؤدى إلى التنويع فى حضارتهم، بل وتنجح أحياناً فى ضم شملهم وتحقيق وحدتهم، وتوسيع حدودهم تحت راية زعمائهم، كما فعل الاكاديون الساميون الذين حققوا وحدة العراق لاول مرة فى القرن الرابع والعشرين ق.م .

كما جاورت بلاد الرافدين شعوب فى الشرق مثل العيلاميين الاشداء كما هبطت عليها من الشمال هجرات رعوية آرية كاسحة مثل الجوتيين والكاسيين والحوريين والمتيانيين، والحثيين.

وقد ترتب على كثرة وتعدد الهجرة اليها وجود تشريعات متعددة تنظم العلاقات بين الجماعات المختلفة من السكان، وظهور معاجم المفردات المقارنة بلغات متعددة لتيسير انتفاع الجماعات المتنوعة بها.

وقد انعكست طبيعة المناخ والظروف الجغرافية القاسية فى العراق على سلوك السكان وطبعتهم بطابعها، فبجانب التهديد والأخطار القادمة اليها من مناطق الحدود، فإن مناخ العراق المتقلب وحدة الفوارق بين درجات الحرارة صيفا وشتاء ونهاراً وليلاً، ومتاعب الفيضانات الجامحة المدمرة، ونتيجة لعملية الشدة والعنف على البيئة العراقية، انطبع السكان بطابع الحدة والعنف والتوتر والتشاؤم، وانعكس هذا على عقائدهم وأفكارهم وآدابهم وفنونهم ونظرتهم العامة للحياة وعلى اساطيرهم التى تردد عداء الآلهة المرير لبعضهم البعض وقسوة آلهتهم على بنى الانسان، كما أنهم فى نحتهم وتصاويرهم مالوا إلى المبالغة والتهويل واشاعة الرهبة فى النفوس، كما انعكس فقر الطبيعة العراقية للصخور والمعادن انعكس على عمائر وأبنية أهل العراق القدامى . وما استخدموه من صخور وأحجار فقد استوردوه من المناطق المجاورة .

خصائص بلاد الشام الجغرافية والطبوغرافية :

أثرت البيئة الطبيعية لبلاد الشام فى طبيعة أهلها، فقد نتج عن تنوع تضاريسها وقيام الفواصل الجبلية فيها، وتباعد مناطقها الحصينة بعضها عن بعض، تنوع وتباين فى طبيعة سكانها وميولهم، سكان الجبال، سكان السواحل والوديان، سكان الصحارى والقبائل وقد أدى هذا إلى صعوبة

اتحادهم فى وحدة قوية خلال غالبية عصورهم القديمة، وهكذا توزعت دويلاتها القليلة الامكانات والمحدودة المساحة والمحدودة فى قدراتها الدفاعية والهجومية.

كما أن موقعها الوسط بين الحضارتين المصرية فى الجنوب الغربى والعراقية فى الشرق وبين تلك القوى والحيثيين والميتانيين فى شمالها، والقبائل العربية فى الجنوب جعلها ميدانا للتنافس بين القوى الكبرى، ومطمعا للقبائل العربية والهجرات السامية للاستقرار بأرضها والاستمتاع بخيراتها، كما أن طول سواحلها فى الغرب قد أدى إلى قيام عدة موانئ هامة، اسهمت فى ميدان الحضارة ولعبت دور الوسيط الحضارى فى حوض البحر المتوسط، كما أدت الهجرات إليها إلى تعدد أعراقها وأجناسها واختلاطها فاختلطت على أرضها الهجرات الآرية والسامية والعربية .

كما أن موقعها المتوسط جعلها تلعب دور الوسيط فى نقل الحضاره والعلوم بين مناطق شرق البحر المتوسط .

خصائص شبه الجزيرة العربية الجغرافية والطبوغرافية :

تختلف شبه الجزيرة العربية من حيث طبيعتها باختلاف مناطقها، فالقسم الأكبر منها بادية تتخللها واحات، وقد كان ذلك الاختلاف الواضح فى طبيعة شبه الجزيرة العربية سببا فى وجود نوعين من السكان :

أولهما : البدو ويعرفون باسم الاعراب ويسكنون فى البادية .

ثانيهما : الحضر ويسكنون الواحات ودول الجنوب، ويشتغل هؤلاء فى الزراعة والتجارة والصناعة، وهم أهل المدر أو أهل الحجر أى سكان المدن.

كما نجد أن مناخها قد أثر بشكل كبير على نشاط أهلها فمطرها شحيح وحرها شديد، وهذا قد أدى إلى تدافع الهجرات خارجها إلى المناطق المجاورة لها .

وقد كان لظروفها التضاريسية والمناخية الفضل فى ابعاد الأخطار والغزوات الخارجيه عنها لفترات طويلة، كما ساعد سكانها على نقائهم الجنسى واللغوى إلى حد ما ، كما سبغتهم طبيعتهم الصافية بصفاء الذهن وقوة العزيمة، وأدت ظروفها التضاريسية إلى قيام نظام سياسى قبلى فى الغالب الأعم، بينما شهدت بعض أطرافها قيام ممالك زاهرة .

الخصائص الجغرافية والطبوغرافية لبلاد اليونان :

تتميز بلاد اليونان بطبيعة جبلية بحرية جزرية، فالجبال تغطى حوالى ٨٠٪ من مساحة اليونان، وهى منتشرة فى شكل سلاسل جبلية تمتد عبرها، واشهرها جبال بندوس الممتدة فى شكل قوس ضخم من البلقان الغربية إلى بلاد اليونان وجزر البحر الإيجى وغرب آسيا، ويتفرع من هذه السلسلة عدة شعاب جبلية تكتنف الجانب الشرقى من بلاد اليونان، وقد نتج عن هذه الطبيعة تمزيق شديد للسطح بالجبال والتلال والوديان والسهول، ومع أن هذه الجبال غير شاهقة الارتفاع فمتوسط ارتفاعها لا يزيد عن ٨٠٠٠ قدم فى اغلبها، فانها تعمل كحواجز طبيعية بين السهول وتحول دون الاتصال بين الجماعات المختلفة، وتجعل التنقل شاقا بين منطقة وأخرى، ومن ثم فقد انقسمت بلاد اليونان إلى اقاليم تكاد تكون معزولة عن بعضها البعض الا من ممر ضيق بين المرتفعات الجبلية

أو شريط على ساحل البحر، وحتى هذه الممرات لم تكن يسيرة العبور لسالكيها، كما أدت هذه الجبال لقلة السهول مما يجعل بلاد اليونان أرضاً طاردة لاهلها .

وإذا كانت الجبال وممراتها تمثل عنصر فصل لاوصل بين المناطق المختلفة فإن البحر هو الآخر كان له بصماته القوية على بلاد اليونان وشخصيتها، فقد كان لحركة الانكسارات الچيولوچية فى هذه المنطقة أبعد الاثر عليها حيث غزا البحر العديد من الوديان وحولها إلى خلجان تمتد لمسافات بعيدة فى اليابسة، وفى المقابل فإن سلاسل الجبال أصبحت تمتد داخل البحر مكونة أشباه جزر بارزة ثم تستمر بعد ذلك فى صورة جزر متناثرة وهكذا صار البحر يكتنف بلاد اليونان من أغلب جوانبها ويتوغل فى أراضيها توغلاً شديداً ويقطع سواحلها تقطيعا . وهكذا فقد ساهم البحر فى فرض العزلة على بعض مناطقها هو الآخر، وإذا كانت أرض مقطعة اليونان فى كل مكان فإن الوصف نفسه ينطبق افقيا على البحر المحيط بها حيث لا تكاد تغيب اليابسة عن الملاح، فقد أثمرت الانكسارات الچيولوچية عن غرق المناطق المنخفضة من السلاسل الجبلية وبقيت المناطق المرتفعة على هيئة جزر فكان يوجد فى البحر الايجى ٤٨٣ جزيرة وفى غرب بلاد اليونان ١١٦ جزيرة . وعلى الرغم من هذا العدد الكبير من الجزر لم تكن الملاحة والابحار فى العصور العتيقة أمراً يسيراً ومن ثم فأن البحر هو الآخر سيؤثر على اتجاه السكان نحو العزلة السياسية، ولكن يجب علينا التنويه إلى أن كثرة الجزر واشباهها فى البحر الايجى ستساعد وتشجع على الملاحة والابحار نحو الشرق وحضارته منذ العصور السحيقة والعتيقة

والكلاسيكية أولاً ثم الاتجاه نحو الغرب فى العصور العتيقة والكلاسيكية حيث الأراضى البكر ثانيا .

وإذا كانت الجبال والبحار تمنع تحقيق الوحدة فان الانهار هى الأخرى لم تكن تساعد على تحقيقها، فهى قصيرة المجرى قليلة الماء والكبير منها مثل نهر بنيويس (Peneus) فى تساليا . لا يصلح للملاحة الا فى فترات قصيرة من العام وإبان فصل الشتاء، اما غالبية الانهار فهى لا تزيد عن أن تكون سيولاً لا تمتلئ بالماء الا بعد العواصف الشديدة أو خلال فصل الشتاء وتجف مجاريها بقية فصول السنة، وإذا كانت هذه الانهار غير صالحة للملاحة فإنه يتعذر عبورها واجتيازها عندما تفيض أمواهها فى فصل الشتاء، وغالبا ما يجرى الانتقال البرى مع الطرق المحازية لمجارى الأنهار .

وأمام الأثر السلبى للغاية لهذه الطبيعة الجبلية البحرية الجزرية المعقدة، فاننا نجد انقسام الشعب اليونانى إلى جماعات كثيرة صغيرة منفصلة عن بعضها البعض، وكل واحدة منها حريصة على استقلالها التام والتى يكون بامكانها أن تدافع عنه بسهولة كما أنها تمسكت باستقلالها الذاتى (Autonomy) ولم تقبل أبدا نظام حكم مشترك أو حتى اتحاد فيما بينها حتى زمن فيليب المقدونى وابنه الاسكندر الاكبر . ولذلك فشلت كل المحاولات الرامية للوحدة أحيانا والتى اضطروا اليها اضطراراً تحت الحاح الخطر ولكن سرعان ما تزول، مثل حلف ديلوس .

وساعدت هذه الظواهر إلى تأصيل النزعة الانفصالية السياسية عند

الجماعات اليونانية حتى ذهبت أبعد مما كان تمليه الطبيعة، وتكونت «المدن الدول» التى استمسكت بحياة الاستقلال ولم ترض عنه بديلا وانعكس هذا فى كتابات مفكرى اليونان الذين اشادوا به وعدوه النظام الوحيد الذى يستطيع العيش فى ظله الانسان الحر، فقد عبر ارسطو عن قوة وفاعلية نظام المدينة الدولة فى قوله «لقد ظهر هذا النظام إلى حيز الوجود من اجل الحياة لا غير، ثم بقى موجوداً من أجل حياة خيرة» .

وعموما فقد انعكس هذا الوضع على اليونان الذين لم يرضوا بديلاً لنظام دولة المدينة عندما خرجوا زرافات للاستيطان فى الاراضى السهلية الخصبة الفسيحة خارج بلاد اليونان فقد أقاموا بها نظام المدن الدول التى اعتادوا العيش فى كنفه .

وقد كان للمناخ أثره البالغ فى حياة وشخصية اليونان، فمناخ اليونان هو مناخ البحر المتوسط المعتدل، فصيفها حار جاف وشتاؤها ممطر دافئ، ومناخها عموما كان مناخاً ثابتا منتظما بشكل نسبى وهو مناخ ملائم لنشأة المدنية والعمران، وكان لاعتدال المناخ وكثرة سطوع الشمس لساعات طويلة صيفا وشتاءً عظيم الأثر فى حياة اليونان الجماعية، فكان اليونانى يقضى ساعات طويلة من فراغه خارج المنزل ويلتقى ببقية الجماعة حيث يمكنه تبادل الأفكار وشحذ القدرات العقلية ونمو فكرة الحياة المشتركة، وكان صهر وصقل هذه الافكار موضعه ساحة المدينه (Agora) . وقد ادى هذا الى نضوح الفكر السياسى، كما أدى سطوع الشمس لساعات طويلة سواء على الجبال أو البحار والانهار والغابات والمراعى والمروج والمزروعات، وكلها غالباً ما تكون فى مرمى البصر اليونانى، الى تباين

وتقابل الألوان وهذا كان له أثر بالغ فى التأثير على حواس اليونانيين التى ظلت حية متوثبة وعندما تكون الحواس نشطة مشحوذه فى حماس نتيجة ذلك فإن العقل يكون متوقداً ومتأهبا لتفحص وتأمل كل شئ وتفسير ما حول الانسان من أمور وأحوال، فلا عجب إذا من شغف اليونان بالتأمل الطويل، فقد أثر عن سقراط أنه كان يظل واقفا لساعات طويلة ذاهلا عما حوله من الناس وغير عابئ بمضى الوقت .

وكان لموقع بلاد اليونان أثره البالغ فى نهضتها وحضارتها فبلاد اليونان تقع فى أقصى الطرف الجنوبى الشرقى من القارة الأوربية والمطلة على البحر المتوسط، وتكاد تلامس شبه جزيرة الاناضول عبر مئات الجزر المنتشرة فى المنطقة الواقعة بينهما، وهذا الموقع جعل اليونانى يولى وجهه شطر حضارات الشرق دائما فى فترات حضارته الأولى . وجعل اليونان أسبق فى مضمار الحضارة من الرومان ومن سكان شبه الجزيرة الايطاليه . فكان اليونان يقومون بدور المتلقى للتأثيرات الحضارية الشرقية التى ينقلونها بدورهم إلى الغرب .

خصائص ايطاليا الجغرافية والطبوغرافية :

تتميز ايطاليا بأنها تتكون من اقليمين رئيسيين شمالى وجنوبى، والأول هو عبارة عن سهل رسوبى خصيب ويحده من الشمال جبال الألب التى كانت حامية له من الغزوات الكاسحة من قلب القارة، ومن الرياح الشديدة البرودة القادمة من قلب القارة الأوربية، وفى نفس الوقت كانت هذه الجبال تمثل منابع نهرى البو وإديجى (Adigè) .

اما عن الاقليم الجنوبى ويمثله شبه الجزيرة الايطالية ويمتد هذا فى قلب البحر لمسافة تقدر بحوالى ١٠٠٠كم وتحيطه البحار من الشرق والجنوب والغرب، وتقسم جبال الابنين هذا الاقليم من الشمال إلى الجنوب، وكان لهذه السلسلة أثرها على شبه الجزيرة، فأعلى مناطقها يقع فى الشرق بينما يقل ارتفاعها كلما اتجهنا صوب الغرب، وشكلت هذه الجبال فى الفترة الباكرة عقبة فى سبيل الوحدة والاتصال، إلا أنها لم تكن شراً كلها على شبه الجزيرة الايطالية، فقد كانت مصدر خير عميم لها ذلك أنه يتخللها كثير من الوديان الغنية الفسيحة، كما أنه فى جهات عديدة من هذه الجبال توجد غابات كثيفة ومراع رحبه فسيحة، وأهم من ذلك أن هذه الجبال تساعد على تكثيف السحب وهطول الامطار، وتبعا لذلك فانه ينبع منها انهار كثيرة تغذى الوديان السفلى بمياه الرى والحاملة للغرين والطمى الذى يعيد تجديد خصوبة تربتها ويزيد من انتاجيتها .

ونلاحظ أن جبال الابنين تقترب كثيرا من الساحل الشرقى ولا تترك الا الشريط الساحلى الضيق على طول الساحل فيما عدا منطقة أبوليا، وأمطار هذا الساحل أقل كثافة من الساحل الغربى الفسيح والخصيب، والمقسم إلى ثلاثة سهول وهى : اتروريا، لاتيوم، كمبانيا . ونلاحظ ان هذا الساحل أكثر فى تعاريجه عن الساحل الشرقى، وهذا قد ادى الى كثافة سكانية عالية فى غرب شبه الجزيرة مقارنة بشرقها كما أن هذا سيجعل ايطاليا تتجه صوب الغرب .

ونلاحظ أن خصوبة تربة ايطاليا كانت تجذب الهجرة تلو الهجرة والتى كانت تجلب معها ملمحاً حضارياً جديداً .

ومناخ ايطاليا شبيه بمناخ بلاد اليونان باستثناء الاقليم الشمالى، فهى تتمتع بمناخ البحر المتوسط المعتدل، وهذا المناخ الحار جاف صيفا دافئ ممطر شتاء، ويتميز بصفاء الجو من السحب إذ تحظى ايطاليا بحوالى ٢٣٠٠ ساعة اشراق من الشمس فى العام . وهذا المناخ المعتدل ساعد على تشجيع السكان على الاستقرار بها ، ويرى علماء المناخ أن صفاء السماء بضوء الشمس المشرق اللطيف الحرارة يساعد على صفاء الذهن وهى صفة تتميز بها شعوب البحر المتوسط .

كما أن موقع ايطاليا المتوسط فى قلب البحر المتوسط حيث تمثل هى وصقلية المعبر بين أوربا وافريقيا . وامتداد سواحلها شرقا وغرباً فى قلب البحر المتوسط جعلها تولى وجهها بقيادة روما شطر القسم الغربى منه أولاً باعتباره أكثر اتصالا بايطاليا واعتبرته المجال الحيوى لها، وبعد أن سيطرت على مقدراته سيطرة تامة اتجهت بثقلها كله نحو قسمه الشرقى من هذا البحر حتى تيسر لها أن تقضى على كل منافس من الدول قد يكون خطراً عليها، وعموما فان موقع ايطاليا قد أهلها لأن تلعب دوراً هاما ومحورياً فى مسيرة تاريخ البحر المتوسط .

ولكن علينا أن ننوه أن موقع ايطاليا جعلها بعيدة عن مراكز الثقل الحضارى فى الشرق، وكان عليها أن تنتظر ما يغير عليها من شعوب الشرق وغيرهم ليتخذوا من أرضها مقراً ومقاماً ويرفعوا من شأنها الحضارى، وإذا كانت الهجرات قد ساعدت على التطور الحضارى إلا أنها شكلت عائقا وعقبة فى سبيل تحقيق الوحدة فى مناطق شبه الجزيرة الايطالية .

مصادر التاريخ القديم واستخدامها

يقصد بالمصادر القديمة كل الآثار التى خلفها الانسان من آثار مادية وكتابية سواء أكانت وثائقية أو أدبية والتى وصلت إلينا وما تزال تصل ويكشف عنها النقاب للباحثين بمعاول الآثاريين ، وتحمل هذه المصادر بشكل مباشر أو غير مباشر أدلة وقرائن وإيماءات على بعض حقائق حقبة زمنية يراد الكتابة عنها أو التأريخ لها . وهذه المصادر يستخدمها الباحث فى رسم صورة أو صور والقاء الاضواء وتفسير وتطور الأوضاع والأحوال السياسية والعسكرية و الاقتصادية أو الاجتماعية و الثقافية والفكرية . وبفضل مصادرنا الوثائقية لم تعد دراسة التاريخ القديم مقصورة على دراسة الانشطة السياسية والعسكرية لملوك أو قادة أو زعماء فحسب، وإنما امتدت لتشمل نشاطات المجتمعات الانسانية فى كل مناحى حياتها الاقتصادية والاجتماعية والحضارية . وفى ضوء ذلك يجب على من يقوم بدراسة عصر من العصور أو دراسة وتمحيص موضوع ما أو تطور علاقة أو ظاهرة ما أن يستقصى كل ما وصل من أدلة وقرائن عن النشاط السياسى والإجتماعى والإقتصادى والحضارى ، والأدلة والقرائن والتى على مؤرخ التاريخ القديم استخدامها، متعددة ومتنوعة من آثار مادية وسجلات مكتوبة أو منقوشة وعملات نقدية، ومؤلفات شتى وضعها كتاب ومفكرون عاصروا الأحداث أو كتبوا بعدها بقليل كتابة العالم بها الموثوق فى معلوماته أو كانوا مرآه صادقة لمجتمعاتهم بما كتبوه أو ضمنوه فى كتاباتهم مثل كتاب المسرح والشعراء والفلاسفة والروائيين .

وجرى العرف على تقسيم المصادر إلى مصادر أصلية وأخرى ثانوية – كما قام الباحثون بتقسيم المصادر الأصلية إلى قسمين أولهما: مصادر وثائقية (Documentary Sources) والتى تضم كل أنواع الوثائق سواء اكانت فى صورة نقوش منقوشة على جدران المبانى أو على قطع منفصلة من الخشب والأحجار والرخام والبرونز أم فى صورة عملات نقدية ومسكوكات، أم فى صورة مخطوطات على مواد مختلفة من أوراق بردى أو الجلود أو الشقف، ويدخل فى هذا القسم الوثائقى من المصادر أيضا الآثار المعمارية من معابد ومنازل ومقابر ومسارح وأسواق وقلاع وحصون وحلبات سباق وأوركستيرا وطرق، وكل ما يعبر عنه من تماثيل وأدوات ورسوم وصور، ونظراً لتعدد تلك المصادر والتى كانت يشملها علم الآثار فقد خرجت من عباءته وأصبحت موزعة على فروع متخصصة رئيسية هى : علم الآثار، وعلم دراسة النقوش وعلم دراسة النقود والمسكوكات، وعلم دراسة البردى .

اما عن القسم الثانى من المصادر القديمة فيعرف باسم المصادر الأدبية، ويشمل هذا القسم كل المؤلفات القديمة التى من شأنها أن تمدنا بمعلومات عن التاريخ سواء أكانت هذه المؤلفات معاصرة للأحداث أو الأوضاع التى تصفها أو مكتوبة بعد ذلك فى عصر لاحق على يد كتاب توافرت لهم المعلومات والتى تجعلنا نثق في علمهم بالفترة التى تدرس، وتأتى فى مقدمة المصادر الأدبية بالطبع كتب المؤرخين الذين كان مقصدهم الأصلى هو التاريخ، يليها كتب الجغرافيين، ودراسات الفلاسفة، والشعراء، وكتاب المسرح، والروائيين .

ويعتبر المؤرخ كل من هذين القسمين من المصادر مكملا للآخر، ومتضامنان معا فى تقريب الباحث من الوصول إلى الحقيقة التاريخية أو رسم صورة لها أقرب إلى الحقيقة، فمثلا حين يقع في مصدر أدبى خطأ ناتج عن جهل أو عن هوى شخصي، فقد تتولى وثيقة من الوثائق تصحيح هذا الخطأ ، وحين تقصر كتابات المؤرخين مثلا عن تصوير حياة الشعب الاجتماعية والاقتصادية والحضارية باعتبار أن المؤرخين القدامى كانوا يعنون اساساً بشخصيات الملوك والقادة وبالمعارك والوقائع الحربية والعلاقات بين الدول، فيمكن للباحث أن يكمل هذا القصور من المصادر الوثائقية بشكل يصل إلى كبد الحقيقة فى بعض الأحيان فيما يخص بعض المظاهر الاقتصادية والاجتماعية والدينية، ومن جهة أخرى يكمل قصور المصادر الوثائقية بحكم طبيعتها المحددة والمختصرة والموجزة احيانا بالنسبة لبعض الأمور الذكر التفصيلى لتلك الأمور فى بعض المصادر الأدبية . وسنحاول الآن أن نعرض لكلا القسمين من المصادر .

١ - المصادر الوثائقية

تمثل المصادر الوثائقية أهمية بالغة بالنسبة للباحث المدقق، فيجد الباحث مادة فى الغالب الأعم تخلو من الزيف والهوى الشخصى والذى قد يجده عند مؤرخ أو خطيب أو مفكر سياسى، وإن كان هناك استثناءات لهذا، فبعض التماثيل أو النصب التذكارية يخلع التكريم على من لا يستحق التكريم، وبعض الوثائق البردية تحتوى على شكايات مبالغ فيها وذكر مظالم لم تحدث وادعاءات كاذبة . والعيب الأساسى فى الوثائق هو نقصها

نتيجة لتعرضها لعوادى الزمن التى أودت بالكثير منها أو أدت إلى تهشمها وتمزقها مما صعب تفسيرها، أو طمرتها تلك العوادى تحت ركامات من الأتربة، ومن ثم فهى لا تزال تحتاج الى معاول الآثاريين، للكشف عنها، كما أن ما يصلنا من وثائق يصلنا بشكل عرضى دون أن يكون لنا يد فى اختيار الأهم وترك النافل غير المهم، وكم جادت المواقع الأثرية بالكثير التافه من المواد الأثرية والوثائقية وضنت بالمهم الذى يجد المؤرخ نفسه فى مسيس الحاجة إلى أقله له ثغرة أو التحقق من خبر يعتوره الشك أو حسم قضية خلافية، واحيانا ما تأتى لنا وثيقة لتجيب عن تساؤل مفتوح لفترة طويلة مثار جدل بين الباحثين، ولكن هذه الوثيقة مرة أخرى تخلق للباحثين بما حوته من معلومات مشاكل جديدة ومناقشات علمية حامية بين الباحثين تقلب ما كان قد استقروا عليه . وقد يكمن العيب فى صعوبة تأريخ الوثيقة وردها إلى زمن محدد، ومع ذلك فان هذه العيوب لا تقل من قيمة ما وصل الينا من المصادر الوثائقية، فثمة قواعد علمية دقيقة موضوعة ومتعارف عليها بين العلماء الآن لعلاج وترميم واكمال الوثائق « بردى ، نقوش وشقف » بما لا يدع مجالا للحدس والتخمين . وعموماً لا تزال مصر خصوصاً والبلاد الأخرى عموماً تجود علينا علينا بالوثائق واللقى الأثرية التى تجلى لنا الكثير من الأمور المبهمة والغامضة والتى هى محل خلاف ونقاش بين الباحثين . وسنحاول أن نعرض الآن لفروع المصادر الوثائقية .

أ - علم الآثار : (Archaeology)

ان الكلمة الدالة على هذا العلم فى اللغات الأوربية الحديثة مشتقه من كلمة (Archaeologia) وهى لفظة يونانية مشتقة من كلمتين يونانيتين ومعناهما معا الدراسة العلمية للأشياء القديمة، وقد ظهرت هذه اللفظة فى اوربا فى القرن السابع عشر وكانت تعنى فى هذه المرحلة وصف الآثار. أما الكلمة التى اختارها الدارسون العرب كترُجمة وتعريب لكلمة أركيولوجيا هى كلمة آثار وهى لفظة استقوها أو اقتبسوها من القرآن الكريم حيث وردت في تسع آيات كريمية، وتعنى الكلمة فيها إما الآثار المادية أو التراث الثقافى والتقاليد، هذا فضلاً عن ايماءات كثيرة واشارات إلى آثار الأقوام الغابرة دون تصريح باللفظ ذاته .

بدأت دراسة الآثار إبان القرنين السابع عشر والثامن عشر وأتخذت الشكل العلمى إبان القرن التاسع عشر ووصلت إلى كمالها إبان القرن العشرين وأصبحت دراسة الآثار علما له مناهجه وقواعده التى يتقيد بها الآثاريون ونود أن ننوه إلى أن رجلات الكنيسة وقفوا فى البداية حجر عثرة فى سبيل تقدم علم الآثار المصرية قرابة قرن من الزمان (١٧٩٣ - ١٨٨٠م)، ومنشأ هذه المعركة أن قساوسة الكنيسة وقعوا فى خطأ حسابى لتقدير عمر الإنسان ألبسوه ثوب الدين وجعلوا منه عقيدة من أنكرها صار من المارقين على الكنيسة وكافر بالدين . وموضوع هذا الخطأ أن فى العهد القديم نصوصاً عن خلق العالم وتسلسل الأجيال من آدم عليه السلام إلى نوح عليه السلام . إذ تذكر نصوص هذا العهد التسلسل فى أعمار

الأشخاص واحداً بعد الآخر، فكان من السهل على الذين يجمعونها أن يحددوا الزمن الذى مضى على خلق الانسان، ومن هذه النصوص - نص فى الاصحاح الخامس من سفر التكوين يقول « هذا كتاب مواليد آدم يوم خلق الله الانسان على شبه الله، عمله ذكر وأنثى ، خلقه وباركه ودعا اسمه آدم يوم خلق، وعاش آدم مائة وثلاثين سنة وولد ولداً على شبهه كصورته ودعا اسمه شيثا، وكانت أيام آدم بعد ولد شيثا ثمانمائة سنة وولد بنين وبنات، فكانت كل أيام آدم التى عاشها تسعمائة وثلاثين سنة ومات. « وعاش شيث مائة وخمس سنين وولد أنوش، وعاش شيث بعدما ولد أنوش ثمانمائة وسبع وسبعين وولد بنين وبنات، فكانت كل أيام شيث تسعمائة واثنى عشرة سنة ومات .... الخ .... الخ .

وتستمر النصوص على هذا النسق إلى أن تصل إلى نوح عليه السلام ثم إلى ابراهيم عليه السلام . والجدير بالذكر أن هذه النصوص التورائية قد اختلفت باختلاف نسخ التورائة الثلاث، والتى اعتبرتها الكنيسة مقدسة وهى نسخة عبرية ونسخة سامرية ونسخة سبعونية . ووفقا لأولها تم تقدير عمر الانسان من آدم إلى إبراهيم ما مجموعه ٢٠٢٣ سنة، ووفقا لثانيتها يبلغ مجموع هذه الأعمار نفسها ٢٣٢٤ سنة وفى ثالثتها يبلغ هذا المجموع ٣٣٨٩، اما المدة من ابراهيم الى عيسى (عليهما السلام) فهى ٢٢٠٠ سنة، وبهذا تكون اقصى مدة . قدرت من خلق الانسان الى عيسى هى ٥٥٨٩ سنة .

وقد تبنت الكنيسة هذه الأرقام وجعلتها قضية مسلما بها . وجعلتها

احدى العقائد المقدسة، ومن ثم فقد انتشرت فى الكتابات الدينية والعلمية التى الفها القساوسة . وهذه التواريخ التى جعلها رجال الكنيسة مقدسة تصادمت مع بحوث ودراسات دارسى الفلك والطبيعة والچولوچيا، وعلماء الآثار فدارت مناظرات حامية بين رجالات الكنيسة ومن دار فى فلكهم وبين علماء الفلك والطبيعة والچيولوچيا والآثار ونظراً لتشعب الموضوع سنقصر حديثنا على جانب مما دار بين رجالات الكنيسة وبين علماء الآثار، فقد أخذ علماء الآثار يصادمون وينقضون تاريخ بدء الخليقة منذ عام ١٧٩٣م، ففى هذا العام قام العالم الفرنسى ديبوى (Dupuis) بدراسة البروج التى وجدت فى بعض المعابد المصرية وألف كتابا استنتج فيه من علامات فى هذه البروج ومن حساب حسبه أولاً : أن المصريين هم أول من اخترع رسم هذه البروج، وثانيا : أن عمر هذه البروج يبلغ ما بين ١٢ أو ١٥ ألف سنة قبل الميلاد . واستخلص من هذا الحساب قدم الحضارة المصرية إذ نجده يقول بما أن شعبا من الشعوب لا يستطيع أن يخترع هذه البروج فى مستهل حضارته فالحضارة المصرية ترجع إلى أبعد من ١٥ ألف سنة .

وفى عام ١٧٩٨ كانت حملة نابليون على مصر ومعه كوكبة من العلماء الذين زاروا مصر العليا وشاهدوا أربعة بروج، برجين منهم فى سقوف معبد دندرة والبرجين الآخرين فى معبدين بالقرب من اسنا، ولاحظوا أن قواعد التقسيم فى هذه البروج كلها واحدة، بيد أن العلامات ومناطق الكواكب مختلفة، ففى اسنا يبدأ البرجان بالعذراء بينما فى دندرة يبدأن بالأسد، فاستخلصوا من ذلك أن الغرض هو الدلالة على الوقت الذى

شيدت المعابد فيه، ومن ثم فإن معبدى اسنا شيدا حينما كانت الشمس فى فلك العذراء وأن معبد دندرة بنى حينما كانت الشمس فى فلك الأسد، وتبعا لذلك فإن معبدى اسنا يرجع تاريخهما الى ٧ آلاف سنة وأن معبد دندرة يرجع إلى أربعة آلاف سنة .

ونتيجة لآراء ديبوى وعلماء الحملة الفرنسية فقد حدثت رجة وضجة فى الأوساط الكنيسية والعلمية . انقسم العلماء فريقين أولهما يقول أن الآثار المصرية تثبت أن خلق الانسان أقدم من الزمن الذى حدده العهد القديم، وثانيهما : تمسك بما ورد فى آيات العهد القديم، ومن الطبيعى أن يكون هذا الفريق تحت قيادة رجل من رجال الدين وهو الأب تيستا Testa ويعاونه رجال دين آخرين . وكان رأى هذا الفريق أن بروج كل من اسنا ودندرة لا تعود إلى أكثر من القرن الثالث قبل الميلاد وأنها لذلك لا تطعن فى العهد القديم، واستمر النقاش بين الفريقين وكل فريق يدافع عن رأيه فترة تزيد على ربع قرن، ونجحت الكنيسة فى دحض قدم بروج اسنا و دندرة حيث استخدم رجالاتها الكتابات اليونانية المنقوشة عليها للدلالة على حداثتها وثبت أنها كتبت تكريما للامبراطور تيبريوس . كما كانت قراءة شامبليون للنصوص المصرية بالخط الهيروغليفى سنداً آخر لرجالات الكنيسة . فقد اثبت شامبليون أن هذه البروج حديثة وأنها تعود إلى العصرين البطلمى الرومانى . وأنتصرت الكنيسة فى هذه الجولة بفضل ما قدمه شامبليون لها من أسانيد، وهذا ما كشفه لنا تقرير السفير الفرنسى فى روما عن موقف البابا من اكتشاف شامبليون، حيث ورد عنه انه قال « (بهذا) ... تم اسداء خدمة جليلة للدين، فقد رفض شامبليون النظرية التى تزعم أنها

اكتشفت فى دائرة بروج دندرة تقويما زمنيا أقدم من تقويم الكتاب المقدس، من ثم فقد طلب البابا من الأب تيستا وهو عالم فى الدراسات القديمة، أن يرفع له تقريراً تفصيلياً بالآراء التى استند اليها شامبليون : ١ - أن دائرة البروج هذه شيدت فى عهد نيرون، ٢ - ليس هناك آثار ترجع لما قبل ٢٢٠٠ ق.م أى إلى عصر إبراهيم، وهكذا يظل لدينا هناك ثمانية عشر قرناً من الظلام لا يضيئ لنا الطريق فيها إلا تفسير الكتاب المقدس » .

ولكن هذا الانتصار لم يدم طويلاً إذ بدأت معادل هدم المقولات المقدسة بيد نفس العالم شامبليون، فبعد دراسة وتمحيص للنصوص والآثار المصرية فى ايطاليا وفى مصر فقد كان لقراءته لبعض الوثائق البردية فى متحف تورين ورأى فيها سلسلة الملوك الذين حكموا مصر، وعرف من هذه السلسلة أن عدد الملوك الذين سبقوا الأسرة الثامنة عشرة يزيد على المائتين، كتب الي اخيه قائلاً : « لقد قام الدليل القاطع على أن المصريين كانوا فى عصور بعيدة فى القدم يعدون أكثر من مائتى ملك حكموا بلادهم قبل ان تحكمها الأسرة الثامنة عشرة .... فهذا هو الدستور الذى يجب تقديمه للجمهور ولكن فى قفاز ملون بلون خاص » ومن هذه الرسالة فقد ادرك أن الحضارة المصرية أبعد واقدم زمن من تقديرات الكنيسة لبدء الخليفة . ثم زاد يقينه بذلك بعد دراسته للآثار والكتابات المصرية اثناء زيارته لمصر، فقد تعرف وشاهد العديد من القرائن والبراهين وكل واحد منها يهدم عقيدة الكنيسة ويثبت أن الحضارة المصرية أقدم من التاريخ الذى ترى الكنيسة أن العهد القديم قد حدده لخلق الانسان، ولنوح ولإبراهيم، عليهما السلام وعبر عن ذلك فى رسالة لأخيه إذ نجده يقول

فيها « أقول لك، فيما بينى وبينك، اننى حصلت على نتائج، هى مربكة لى إلى حد كبير من وجوه عدة، ومن ثم يجب إبقاؤها فى طى الكتمان، وهذه النتائج لم تخالف فى شئ ما كنت أتوقعه وما كان يتوقعه معى « فوربى » وقد جلت أمامى أشياء أخرى كثيرة كانت تتردد فى نفسى تردداً مبهما فصارت الآن عندي من الحقائق التى لا يتطرق الشك اليها » . ونود أن ننوه ان شامبليون لم يعلن ما كشف عنه فقد وافته المنية، وقام من بعده ايمانويل دى روچى Emmanuel de Rougé عالم المصريات بدراسة بعض اوراق البردى فى متحف برلين وأعلن أن تاريخها يعود إلى ٤ آلاف سنة، وهنا ثار قساوسة الكنيسة واتهمه البعض بالمروق من الدين فكان رده على أحدهم « لقد وجدت فى الأنجيل اسبابا قوية للاعتقاد بتقديس المسيح، وهى فى نظرى أسباب كافية، فلست أجد معها محلاً للبحث عن أسباب أخرى، ولكن العلم يستطيع أن يسلك طريقه من غير أن يمس عقيدتى المسيحية وكتب قائلاً ايضا : « يستخدم بعضهم كتابات المصريين القدامى من غير أن يفهموها، وهم لذلك يظنون أنهم واجدون فيها قصصا من التوراة مشوهة تشويها مكشوفاً، فالنقد السليم قد قضى منذ أمد طويل على المؤلفات التى من هذا النوع والتى قامت على أساس الرغبة فى مسايرة الأوهام وهناك غير هؤلاء قوم لا يترددون فى أن ينكروا صراحة قواعد علمنا ويقولوا أنه وهم أو أقل .

وبعد أن يتخلصوا بهذه الطريقة من هذا العنصر المربك لهم يؤكدون بجرأة انه لا يوجد فى مصر أى بناء أثرى يمكن أن يكون أقدم من عام ١٠١٢م فعلى هؤلاء نرد بالقيمة التى كتبها عالم مصريات انجليزى

« رينوف » وهى : « ما أبعد الجاهل عن سبيل العذر فى جهله إذا كانت الوسائل لمحو هذا الجهل فى متناول يده » .

ثم اشار إلى العلماء الذين يرون بنية حسنة أن تواريخ بدء الخليقة فى العهد القديم سور لا يصح تخطيه ثم قال « ان مبارتنا لا تسمح لنا بأن نتهم المسيحية بأنها تتزعزع اركانها من جراء تقدم علم أيا كان، ونحن على يقين تام من ان سلسلة التواريخ المصرية، مهما يكن القدم الذى تنقلنا اليه، ستأخذ مكانها فى العلم الحديث، بجانب العلم الذى يبحث فى القوانين الخاصة بسير الكواكب، وبجانب العلم الذى يبحث فى كيفية تكوين طبقات الأرض، من غير أن يكون ذلك مسيئاً إلى الإيمان المسيحى » .

وتبعه فى بحوثه الرصينة كل من لى بيج رينوف عالم المصريات الانجليزى، والباحث الألمانى لبسيوس عالم المصريات وغيرهم من العلماء مثل لينورمان الفرنسى سنة ١٨٨٠م مما عضد نظرية قدم الحضارة المصرية عن التواريخ التى تبنتها الكنيسة . وهنا كان على رجالات الكنيسة أن يواجهوا الموقف الجديد والاقرار بمبدأ وجود حضارات أكثر قدما من التواريخ الواردة فى العهد القديم ومن ثم كان عليهم دراسة النصوص والأرقام التى وردت بها واعادة تفسيرها تفسيراً جديداً يتفق مع معطيات علم الآثار والفلك والجولوجيا والفزياء ورأت الكنيسة ان العهد القديم حينما يقول إن فلانا ولد فلانا لا يكون مرادها أن الثانى ولد للأول من غير أن يكون بينهما جيل أو اجيال ، بل المراد فقط أن الثانى نسل للأول بحيث قد يكون حفيداً له أو أبعد من حفيد، ومن ثم يكون من الخطأ

أن تجمع الأرقام التى فى العهد القديم ليقال إن مجموعها هو الزمن الذى انقضى بين آدم ونوح ثم بين نوح وابراهيم ثم بين ابراهيم وعيسى، ثم ليقال فى النهاية إن هذا هو الزمن الذى انقضى على خلق الانسان، وتبعا لهذا التفسير فقد توافقت الكنيسة مع علم الآثار المصرى والعلوم الأخرى، وبه أيضا أعلنت أنها كانت على خطأ فى تحديدها السنين التى كانت تحددها لخلق الانسان، وهكذا فقد نجح العلم الحديث فى أن يقدر عمر الانسان على الأرض بأنه يرجع إلى بضع عشرات ألوف من السنين . على النحو الآتى أربعين الف سنه، خمسين الف سنه وأكثر من ذلك...الخ

وهكذا أنتصرت النزعة العلمية فى تفسير عمر الكون وظواهره وخلق الانسان، وتحرر علم الآثار من قيوده وأحدث انقلابا خطيراً فى معرفة الانسان بتاريخه وتطوره وفى اكتشاف حضارات قديمة سبقت حضارتى اليونان والرومان بعشرات القرون وغيرت تلك الاكتشافات آراء مؤرخى الحضارات عن أصول التحضر البشرى وجذوره، فالكثير من الحضارات القديمة لم يعرف عنها شئ، حتى مجرد اسمائها لم تكن معروفة بيد أن الكشف عن آثارها ومخلفاتها وسع نظرة الانسان الحديث للحياة وتطورها وأصول تطور البشرية الحضارى .

وقد بدأ الاهتمام بالآثار فى العصور الحديثة اى فى القرنين الخامس والسادس عشر فى أوربا حيث اهتمت حركة النهضة بالحضارتين اليونانية والرومانية وكانت حركة النهضة تهدف إلى إعادة بعث وإحياء هاتين الحضارتين وآدابهما، وقد تلازم وتوازى مع ذلك الاهتمام بآثارهما المادية

والتى أصبح للبحث عنها جاذبية خاصة عند الأوربيين أضيفت إلى جاذبية قديمة كانت عندهم أصلا للبحث عن الآثار المسيحية فى عصورها المتتالية خاصة فى مواطنها الأولى فى منطقة الشرق الأدنى، وقد بدأ رجالات الكنيسة والنبلاء فى ايطاليا فى القرن السادس يجمعونها ويشجعون بالمال عمليات البحث عن مزيد منها .

أما بداية الاهتمام العلمى بالآثار اليونانية الرومانية فيرجع إلى الوقت الذى تم فيه الكشف عن مدن ايطالية قديمة (بومبى وهركولانيوم) ابان القرن الثامن عشر، وقد أثار ذلك حماسا بالغا للتنقيب عن الآثار الكلاسيكية (اليونانية والرومانية) وتكونت عدة جمعيات علمية للبحث الأثرى المنظم فى اليونان وايطاليا، بيد أن دراسة هذه الآثار الكلاسيكية لم تستند على قاعدة علمية إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، وذلك عقب حفائر هينرش شليمان فى طروادة وبلاد اليونان وذلك بغرض الكشف عن أصول الحضارة اليونانية الباكرة، ونجح شليمان فى تحقيق الكشف عن طروادة، ولكن نظراً لحماسه الشديد وقع فى خطأ وغلط فى تفسير نتائج حفائره، ومع ذلك فمما لاشك فيه أن علم الآثار الكلاسيكية قد ولد على يديه، وجاء من بعده جيل من الباحثين الانجليز والفرنسيين والالمان والذين واصلوا البحث والتنقيب الأثرى باساليب أكثر احكاماً، وقد شهد القرن العشرين فى سنواته الأولى ذلك الكشف العظيم الذى حققه العالم الانجليزى السير أرثر ايفانز حين عثر على اطلال قصر كانوسوس (Canossos) فى جزيرة كريت، فكشف بذلك عن حضارة ترجع إلى أواخر الألف الرابعة قبل الميلاد، وهى حضارة كريت التى كانت أصلاً مهما من أصول الحضارة اليونانية الباكرة .

أما علم الآثار المصرية فقد كانت بدايته مع الحملة الفرنسية التى صاحبت معها كوكبة من العلماء الذين عكفوا على دراسة وتسجيل الآثار المصرية من فرعونية ويونانية وررومانية ومسيحية، واسلامية فى كافة الأنحاء، وذلك بوصفها وتوضحيها بالرسوم الهندسية مع ذكر كافة مقاييسها، وأثمرت جهودهم عن اصدارهم لكتاب وصف مصر بالفرنسية، وكان من ثمار نشر هذا الكتاب توجيه اهتمام الاوروبيين بالآثار المصرية، كما نجح شامبليون فى فك طلاسم اللغة المصرية على حجر رشيد فى ١٨٢٢/٧/١٤ ، ويعتبر بعض الباحثين أن ميلاد علم المصريات قد بدأ على يد شامبليون، ومنذ ذلك التاريخ أصبح الباحثون قادرين على قراءة كل الكتابات المصرية سواء (كانت نقوشا أو مخطوطات بردية أو شقف) ومنذ ذلك التاريخ وحمى علم الآثار المصرية بدأت تنتشر فى جميع انحاء العالم، فقد تأسست معاهد كبرى لدراسة الآثار المصرية فى لندن وباريس وبرلين وتورين وليدين وبروكسل وشيكاغو .

ومن أهم الأعمال فى ذلك الوقت ما قام به العالم الالمانى لبسيوس ١٨٤٣ – ١٨٤٥ بزيارة مصر وبلاد النوبة على رأس بعثة كان ثمرة جهدها اثنى عشر مجلداً عن الآثار المصرية، وكذلك اكتشف الفرنسى مارييت صاحب فكرة انشاء المتحف المصرى بالقاهرة ١٨٥٠ مقابر العجل أبيس التى أطلق عليها السرابيوم فى جبانة منف بمنطقة سقارة، وهكذا فقد أصبح التاريخ المصرى القديم يدرس فى ضوء النقوش والوثائق والمخلفات الأثرية، ومنذ ذلك التاريخ تقاطرت على مصر بعثات التنقيب الأجنبية، وكانت ثمرة جهودها وتنقيباتها هو الكشف عن مزيد من الآثار التى

عضدت واكدت بعض المعلومات المعروفة أو التى هى محل حدس وتخمين .

ولكن نود أن ننوه أن الفترة الباكرة من الكشف الأثرى فى مصر لم تكن خيرا وبركة إذ كان غرض البعثات الأثرية الأولى هو الحصول على الآثار المصرية وذلك بغرض بيعها بأعلى الأثمان لهواة جمع الآثار، وكان من مثالب هذه الأعمال الكشفية تدمير كثير منُ الآثار وفقدان ما كان يرجى منها للمعرفة التاريخية . ولكن نجح العالم الفرنسى مارييت فى اقناع الحكومة المصرية بانشاء متحف للآثار المصرية بالقاهرة، وجاء من بعده فلندرز بترى الذى قام بكشوف أثرية مهمة . فى مصر وفلسطين ابتداء من عام ١٨٨٠ واستخدم طرق جديدة فى تنقيباته وذلك بتأريخه للطبقات الأثرية تاريخياً زمنياً متتابعاً ومضت عمليات التنقيب الأثرى قدما فى مصر، وفى عام ١٩٢٢ نجح هوارد كارتر الانجليزى فى الكشف عن مقبرة الملك توت عنخ آمون وهى المقبرة الوحيدة التى عثر عليها سليمة لم تصل اليها أيدى اللصوص فى وادى الملوك بالبر الغربى بالأقصر وهذا الاكتشاف أحدث دويا هائلاً فى العالم آنذاك، ولاتزال عمليات التنقيب تكشف كل عام عن جديد .

أما أرض الرافدين فقد بدأ الغرب فى الاهتمام بآثارها وحضارتها فى القرن السابع عشر أثر عودة النبيل الايطالى بيترو ذيلا فال منها سنة ١٦٢٥م والذى أحضر معه منها أحجار منقوشة برموز غير معروفة وعموما فقد بدأ الاهتمام بآثارها والتنقيب عنها كما كانت البداية فى مصر

بشكل غير منظم فقد كان غرض المغامرين من الباحثين عن الآثار هو الحصول على الآثار والتحف الفنية، ولكن بدأت الحفائر بشكل علمى منظم ابتداء من عام ١٨٤٠م على أيدى رجال مثل اميل بوتا فى موقعى نينوى وخورسباد، ولايارد فى موقع نمرود وغيرها، وفى عام ١٨٤٦ نجح هنرى رولنصن فى فك رموز الكتابة المسمارية القديمة فى أرض الرافدين، وفى خواتيم القرن التاسع عشر عثر المنقبون على حضارة السومريين أولى حضارات العراق .

وفى الجزيرة العربية : بدأ الأهتمام بجنوب بلاد العرب وآثارها منذ أواسط القرن الثامن عشر، وذلك بسبب ما كان معروفاً من اخبار مملكة سبأ، وكانت أولى الرحلات الهامة تلك الرحلة التى ارتادت اليمن وبعض البلاد الأخرى بتوجيه من ملك الدنمارك وتعرف ببعثة نيبور وكان ثمرة مجهودات هذه البعثة لفت الأنظار إلى آثار اليمن والنقوش العديدة المدونة عن اليمن، وفى عام ١٨١٠ تمكن العالم سيتزن من العثور على نقوش ظفار جنوبى صنعاء، علاوة على أبحاث جروتفند الالمانى والتى تتعلق بنقوش سبأ . وفى عام ١٨٤٣ استطاع توماس أرنو الفرنسى من كشف سد مأرب من عصر (سبأ) ومعبد إله القمر والذى يطلق عليه «محرم بلقيس» كذلك كان هناك اهتمام بواسطة أكاديمية الفنون الجميلة بباريس فى نسخ كثير من النقوش والكشف عن آثار الدولة المعينية . وتزايد النشاط الكشفى الأثرى بصورة مكثفة هناك فى الفترة الواقعة بين عام ١٨٧٠ ونشوب الحرب العالمية الأولى، ثم وقف إمام اليمن بعد انتهاء أعمال الحرب موقفا متشدداً من بعثات الكشف لتخوفه من أطماع الانجليز فى بلاده بيد أن

النشـاط الكشـفى عـاد من جـديد ابتـداء من عـام ١٩٣٦، وقـامت بعـثـات مصرية بدراسة آثار اليمن وكان من روادها بعثة برياسة د . سليمان حزين وبعثة أخرى برياسة د. أحمد فخرى .

وإذا كانت منطقة جنوب الجزيرة العربية محط انظار علماء الأثار والرحالة فإن شمال بلاد العرب كانت هى الأخرى محط اهتمام كثير من العلماء والمستشرقين فقد اهتم العلماء بآثار البتراء وجنوب سوريا ومن أهم العلماء الذين قاموا بهذه الأبحاث : لود فييج بوخارت السويسرى، وفى عام ١٨٤٥ قام كل من ريتشارد بريتون وجوزالين بزيارة بلاد نجد والكتابة عن ما شاهدوه .، كذلك قامت بعثات أخرى بزيارة الحجاز وعثرت على كثير من النقوش العربية وخاصة فى المنطقة الشمالية والغربية والوسطى من بلاد العرب وذلك فى المدة ما بين عام ١٨٧٦ – ١٨٨٤ . م .

وتقـاطرت البـعـثـات الأثرية والاجنبيـة على منطقـة شرق الجـزيرة العربيـة والخليج العربى فى القرن العشرين فتـوافدت البعثات الفـرنسية والايطاليـة والانجليـزية .. الخ على الكويت وشـرق السـعـودية، وقطر والبـحـرين والامـارات وسلطنة عـمـان وكـشفت عن نقـوش يمنيـة يونانيـة وآرامية وعن رقم طينية مسمارية، هذا فضلاً عن لقى أثرية أخرى كثيرة جعلت هذه المنطقة من المناطق التى ارتادها الانسان منذ العصر الحجرى القديم .

وهكذا شـهـد القـرن التـاسع عـشـر نشـاطاً أثرياً فى منـاطق شـتى من مواطن الحضارات القديمة، وفضلاً عن ذلك فإن الربع الأخير منه قد شهد

تطورات هامة فى دراسة علوم الچيولوچيا والأنثروبولوچيا ترتب عليها وضع أسس تقنيات التنقيب الأثرى على يد علماء أوربيين نذكر منهم ريفرز وهويار وسيرين فوكس، وشهد القرن العشرون امتداد نشاط التنقيبات الأثرية إلى مناطق خارج حوض البحر المتوسط وأوربا والشرق الأدنى فأجريت فى الهند حفائر بحثا عن حضارة وادى السند، وفى المكسيك، وبعد طول سنين صارت دراسة علم الآثار دراسة أكاديمية ووصل علم الآثار إلى كما له ابان القرن الماضى وأصبحت دراسة الآثار علما له مناهجه وقواعده التى يتقيد بها الآثاريون .

وهذا العلم بعد أن صار علما بأدق معنى يهتم بالبحث والتنقيب بالاساليب العلمية عن كافة مخلفات الانسان الماضى والمحافظة عليها وصيانتها وترميمها وحفظها فى المتاحف ومخازنها وتفسيرها ودراستها وتحليلها من أجل تحقيق الهدف النهائى من الدراسة كلها، وهو القاء الضوء على الحضارة الانسانية الماضية وتطورها، لاسيما وأن هناك ثغرات كثيرة لاتزال تعتور معرفتنا بكثير من مراحل تطور هذه الحضارة .

وصار هناك علوم آثار بقدر تعدد الحضارات وإن كان أقدمها علم الآثار الكلاسيكية، وعموما فإن هذه الفروع المختلفة لم تنشأ فى نفس الوقت . ومع أن علم الآثار صار علما قائما بذاته إلا أنه من الضرورى للآثاريين دراسة علوم مساعدة كثيرة حتى ينجزوا حفائزهم ويستخرجوا الآثار واللقى الأثرية ويحافظوا عليها ويفسروها تفسيراً صحيحاً أو أقرب إلى الصحة، ومن هذه العلوم علم النقوش والأنثروبولوچيا والچيولوچيا

والجغرافيا والاثنوجرافيا والطبوغرافيا، والهندسة المعمارية، وفن النحت والفن التشكيلى، وفن الحفر على الأحجار الكريمة ودراسة علم الاجتماع وعلم النقود والسيراميك والفخار، وعلم قراءة الكتابات القديمة، وعلم المترولوچيا وفن نحت المعادن، وعلم البردى وفن الرسم، هذا فضلاً عن حاجة الآثارى سواء للكشف عن الآثار أو تقدير عمرها الى التعاون مع الدراسات العلمية من فيزياء وكمياء، وعلم النبات الطب .. الخ كما أصبح علم الآثار يعتمد على الحاسب الآلى فى اعادة رسم وتكوين بعض المبانى أو الكشف عن بعض الآثار والدفائن دون الحاق الضرر بالمبانى الأثرية الظاهرة .

والآن ما هى العلاقة بين علم الآثار وعلم التاريخ وما هى العلوم التى تفرعت من علم الآثار ؟ يمثل علم الآثار قسما مهماً من المصادر الوثائقية التى يعتمد عليها المؤرخ بل هو المصدر الوحيد للمؤرخ بالنسبة لفترة عصور ما قبل الكتابة التاريخية، فمن خلاله يستطيع المؤرخ أن يدرس تطور المجتمع الحضارى وعلاقاته بغيره من المجتمعات المجاورة ويقسم هذا التطور الى فترات وهو ما سنتكلم عنه فيما بعد، ونود أن ننوه أن علم الآثار فى البداية كان يمثل العلم الأم وكان يضم الفروع الآتية النقوش والمسكوكات والبردى ، ولكن هذه الفروع استقلت عنه وأصبح علم الآثار يقوم على دراسة كل أنواع العمائر الدينية والدنيوية مثل البيوت والقصور والحوانيت والسدود، أو المبانى العسكرية مثل القلاع والحصون والأسوار، وأيضا المسارح وحلبات السباق والحمامات والأسواق. اما المنشآت الدينية فهى على النحو الآتى : المعابد، المذابح، قبور القدماء التى كان بعضها فى

الواقع صروحاً، ودراسة ما بقى منها ظاهر على سطح الأرض ومحاولة استخراج ودراسةِ ما طمرته الأيام والأعوام فى الأرض وكشفت عنه أو تكشف عنه معاول الآثاريين، وتمتد الدراسة الأثرية إلى دراسة كلّ ما يعثر عليه فى هذه المبانى من قطع النحت والفخار والأسلحة والملابس وسائر الأدوات باستثناء المادة المكتوبة على أى نوع من السطوح الصلبة أو غيرها .

وفى ضوء ما سبق فإن الدراسات الأثرية وعلم الآثار يقدم لنا مادة هامة لفترات كانت مجهولة أو كانت تدخل فى عداد الأساطير مثل حرب طروادة وحضارة كريت، وحضارة بلاد اليونان الهيلادية، فعلم الآثار هو مصدرنا الأول بالنسبة للحضارات الزاهرة القديمة التى لم تخلف لنا لغة مكتوبة أو لاتزال لغتها المكتوبة والتى وصلتنا غير مفهومة كليا أو جزئيا مثل اللغة المروية فى السودان واللغة الأوجارتيية، ولغة كريت التصويرية والمجموعة الخطية الأولى، وهنا فإن علم الآثار يقدم لنا مادة ثرية عن الحرف والصناعات مثل الزراعة وصناعة الفخار .. الخ وعن المبانى المدنية والدينية ومن اللقى الأثرية نعرف فكر وحياة الناس الدينية .

ان علم الآثار يمثل ينبوعاً لا ينضب لدارس التاريخ القديم حيث أن الدراسات التاريخية قد اتسع مفهومها، ولم تعد قاصرة على دراسة التاريخ السياسى والعسكرى، وإنما نمتد الآن لدراسة حياة وحركة المجتمع بأكمله، وإذا كان المؤرخون والكتاب القدامى قد اهتموا فى المقام الأول بتسجيل أعمال الأفراد المبرزين من حكام ومشرعين وقادة عسكريين، ومن ثم فإن

محاولة معرفة ما كان يدور فى المجتمع من أحداث وظواهر وتطور نستخلصه من آثار القوم سواء عثر عليها فى بيوتهم أو مقابرهم، أو فى مناطق القاء قمامتهم، ومتاجرهم وشوارعهم ومن فنون صناعاتهم، وتبعا لذلك فإن الآثار تعد مصدر هام لمعرفة تفاصيل نشاط المجتمع فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والدينية والفكرية، كما أنها تلقى بعض الضوء الساطع عن مدى انتشار نفوذ حضارى وما يواكبه من نفوذ سياسى لأصحاب هذه الحضارة والمثال على ذلك الحضارة المصرية وأثرها على غيرها من الحضارات المجاورة فى الشام وحضارة كريت وحضارة الموكينيين . وفى الواقع أن علم الآثار قد اسهم بشكل جلى فى إثراء معرفتنا عن تاريخ وحضارة مصر فكانت معلوماتنا لا تزيد عن بعض الاشارات فى الكتب السماوية الى جانب أقوال بعض الرحالة اليونان والرومان الذين تفاوت حظهم فى الدقة والأمانة وحسن الفهم لما رأوه فى الحياة المصرية، ولكن بعد ما يزيد على قرن ونصف من الكشف الأثرى الذى نشط فى مصر، وبعد حل ألغاز اللغة المصرية أصبحنا نعرف عن حالة المصريين القدماء العامة والخاصة تفصيلات دقيقة، وكذلك الحال بالنسبة للسومريين والبابليين والآشوريين فى تاريخ بلاد الرافدين القديم، والحيثيين فى تاريخ آسيا الصغرى وشمال سوريا .

وعموما فان علم الآثار كمصدر يتكاتف مع المصادر الوثائقية الأخرى كما المحنا سابقا لسد النقص فى المصادر الأدبية، فعلم الآثار يلقى الضوء على الحضارة والنشاط الانسانى ويساعد على تفسير وتعضيد ما يرد فى المصادر الوثائقية الأخرى . فيمكن للباحث أن يستنتج ويستنبط

من دراسته للهرم الأكبر الذى بناه خوفو ما يدل على قوة الدولة الاقتصادية وعلى سلطة الملك المطلقة وما صاحب ذلك من تقدم علمى هندسى ورياضى .

ودراسة القصور فى كل من بلاد اليونان الهيلادية وعالم بحر إيجة تكشف لنا عما يأتى : - أن قصور بلاد اليونان الهيلادية هى القاعدة التى يدور حولها وفيها الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للممالك الموكينية، كما أن صور ومناظر الافرسك بها تكشف لنا عن أن المجتمع كان من أرباب السيف والنزال وهذا يقدم لنا أن هذه القصور مسورة . أما عن قصور كريت وخاصة قصر كانوسوس فدراستها تكشف أنها قصور غير سورة وهذا يكشف لنا أن الأمن والسلام كان يعم الجزيرة وأن الاسطول الكريتى قد أمن الجزيرة من الاعتداءات الخارجية، كما أن دراسة نظام تغذية القصر بالمياه وصرفها وخاصة مياه المطر يكشف عن تقدم المعرفة العلمية عند الكرتيتبين القدماء .

وتكشف لنا النقوش البارزة (Bas releifs) على افريز معبد البارثينون (Parthenon) القائم على اكربول أثينا، عن أحوال أثينا فى العصر الكلاسيكى، وهذه النقوش تصور موكب الاحتفال الدينى السنوى المقام لتكريم أثينا ربة المدينة وحاميتها، وهذه الصور تصور مشاهد حية من الحياة الأثينية فى ذلك العصر، وهى مشاهد بالغة الرقة والجمال، وهى إلى جانب بيانها لتوجهات نحاتى اليونان فى القرنين الخامس والرابع ق.م ويعكس لنا ما يمكن تسميته « بروح العصر » (Zeitgeist) .

إلى وجود دولة قوية الأركان وما وصل اليه أهلها من معارف وعلوم هندسية، كما يكشف عن النشاط الأساسي للسبأيين . ويمكن للدارس أيضا أن يعرف ما حل باليمن بعد انهياره وهجرة قبائله .

كما أن دراستنا لفن النحت اليوناني يكشف لنا أن فن النحت مر بمراحل واكبت الأحداث التى مرت بها بلاد اليونان فعلى سبيل المثال فى زمن الحروب الفارسية أهتم اليونان بالرياضة، مع المحافظة على النمطية، وظهر هذا فى التماثيل التى ظهر بها عنصر الحركة، والنشاط والقوة، وهذا يعكس أن اليونان أدركوا أن الحرب مع الفرس هى حرب بقاء أو فناء بالنسبة لهم وبالنسبة لكل القيم التى تسود مجتمعهم، كما أن الأتجاه النمطى يكشف عن تمسك اليونان بنمط حياتهم بعد انتصارهم الكبير على عدو هائل، كما أن ما حققه الأثينيون من نجاح بوجه خاص فى زعامة حلف ديلوس الذى ما لبث أن تحول إلى امبراطورية أثينية، قد تبعه قدر من الرخاء الاقتصادى وقد انعكس هذا الرخاء فى نوع من الزهو الممزوج بالاعتزاز بمنجزات مدينتهم والثقة الكاملة فى مستقبلها والرغبة العارمة فى تمجيد الربة أثينا، ربة وراعية المدينة؛ وقد انعكس كل ذلك فى الاتجاه الفنى الذى ميز أعمال فيدياس ومدرسته فى النحت، وهو اتجاه يمكن أن نستنتجه من أحد المواضيع الرئيسية التى ظهرت فى النحت المستدير على معبد البارثينون فى أثينا، وهو موضوع يظهر على العارضة الداخلية للمعبد ويمثل أعياد الباناثينايا « الأعياد الخاصة للإلهة أثينا » وهنا نرى

استعراضا لخيرة ممثلى المدينة صبايا وشيوخ وعدد من الفرسان، كما نرى الآلهة اليونانية الرئيسية مجتمعين كضيوف على الإلهة أثينا، وفى هذا الموضوع يظهر الاتجاه الفنى لفيدمايس فى أوضح صورة، وهو اتجاه يهتم من خلاله الفنان باللمسات التفصيلية التى تهتم بكل شئ . وهذا الاتجاه يعكس عصر بركليس الزاهر بكل ما فيه من رخاء ومن راحة نفسية تجعل الفنان يشعر أن لديه وقت الدنيا بأكملها يهتم بكل شئ، ويحاول أن يبرز الجمال فى كل شئ، وفى كل تفصيلة صغيرة من كل شئ، فالفنان الذى زين العارضة الداخلية لمعبد البارثينون يهتم بالتهدلات وبالحركة المرتشعة فى فتحات أنوف الخيل التابعة لاله الشمس، وبقوام الأشخاص الذين يظهرون فى الاستعراض سواء أكانوا من البشر أو الآلهة وهو قوام تبدو فيه الصحة المتوهجة، كما تبدو عليه إمارات الصحة والاسترخاء الذى يظهر التدريب المكثف الذى نجده عند فنانى الفترة السابقة من المرحلة نفسها، كما أن فن النحت فى الفترة التالية يمثله تمثال أبو كسيومينوس (Apoxyomens)وهو يمثل شابا رياضيا تبدو عليه خفة الحركة والتوثب، وهما صفتان يختلفان فيهما عن التماثيل الرياضية التى ترجع إلى القرن الخامس والتى تميل إلى ضخامة الأعضاء وتباطؤ الحركة، فنجد هذا التمثال يمثل ويعبر عن الفردية التى كانت تسود فى هذه الفترة .

وترينا دراسة الفخار اليونانى أنه كان من السلع الاساسية التى لا يمكن الاستغناء عنها فى الحياة اليومية وعثر فى بلاد اليونان وخارجها على أوانى للطعام واوعية ومباخر ومزهريات يونانية وفيها كان يعبئ الزيت والنبيذ للتخزين والتصدير وكان يتم زخرفة هذه الأوانى

والمزهريات بمناظر من الحياة اليومية اليونانية، وهذه المناظر والرسومات مكنتنا من التعرف على بعض مظاهر الحياة اليومية اليونانية مثل الملاحة والصيد والرياضة والتمثيل وغيرها، كما أن الباحث يستخدمها للاشارة على وجود علاقات تجارية بين بلاد اليونان من جهة وبين مناطق كل من البحرين المتوسط والأسود وبلاد أخرى من جهة أخرى، كما أن أختفاء الفخار اليونانى فى أواسط القرن الرابع من منطقة الغال التى كان يستخدم فيها بكثرة وحلول فخار ايطالى آخر يشير الى أن ازدهار التجارة بين ايطاليا من جهة وبين منطقة الغال وأن هذا التبادل التجارى كان على حساب التبادل الغالى اليونانى .

واخيراً تقوم الآثار بتصحيح كثير من المعلومات التى وردت فى مصادر أخرى مكتوبة سواء فى النقوش أو كتب المؤرخين، فعلى سبيل المثال نجد بعض الملوك القدامى كانوا يأمرون بكتابة سجلات عن أعمالهم تحتوى على أشياء غير حقيقية ارضاء لكبريائهم وشعورهم بالعظمة، لكن تهاوت صحة هذه السجلات أمام ما كشفته لنا معاول الآثاريين، والمثل على ذلك مازعمه ملك آشور تجلات بالسير الأول فى حولياته، وما زعمه توت غنخ آمون من فتوح فى آسيا .

جملة القول أن دراسة الآثار تعد لدارس فترة ما قبل الكتابه المصدر الأول بل الأوحد الذى يستقى منه معلوماته عن التطور الحضارى للمجتمعات المختلفة وعلاقاتها مع بعضها البعض ما انه يمثل ركن ركين لدراسة المجتمعات التى عرفت الكتابة مصدراً هاماً للباحث بجانب اعتماده على مصادر أخرى .

٢ – علم دراسة النقوش (Epegcaphy)

كانت دراسة النقوش تشكل جزءاً من دراسة علم الآثار ولكنها انفصلت عنه وكونت علما قائما بذاته، وأصبح هذا العلم كما ذكرنا آنفا علماً مساعداً لعلم الآثار، ويهتم بعلم النقوش بدراسة كل الكتابات على المواد الصلبة التى تقاوم عوادى الزمن كالاحجار والرخام والخشب والبرونز وألواح الطين المحروق وغير المحروق والكتابات المحززة على سطوح الأوانى الفخارية، ولكن يستثنى من المواد الصلبة الشقفات التى استخدم فيها الكاتب المواد والقلم، ولم يستخدم فيها طريقة النقش أو التحزيز.

ونلاحظ أن لفظة Epegraphy تعنى فى اللغات الأوربية الحديثة دراسة النقوش، واللفظة مشتقة من لفظتين يونانيتين معناهما الكتاب على (سطح ما) وهى فى العربية تعنى الكتابة بالنقش على المواد الصلبة، والتى تتفاوت درجة صلابتها ومن ثم فأن طريقة النقش عليها تتفاوت، كما تتفاوت طريقة النقش تبعا للغرض الذى نقش من أجله النقش ، وفى ضوء ذلك يمكن أن نصنف النقوش التى لدينا الى ثلاثة أقسام : –

١ – نقوش العمائر : وقد راعى كاتبها فيها أن تقاوم عوادى الزمن، إذا ما تم نقشها على مواد صلبة، وتحتوى هذه النقوش غالبا نصوص القوانين أو سجلات أعمال الملوك والحكام والطقوس الدينيه، ونظراً لصلابة المادة التى يتم النقش عليها فقد كان الكاتب ينقشها بخط منمق وبطريقة متأنية، كما هو الحال فى الكتابة الهيروغليفية عند قدماء المصريين .

٢ - نقوش تحفظ فى دار سجلات أو محفوظات : وهذه النقوش كانت تكتب على الرقم الطينية المجففة والمعروفة، والرقم الطينية شاع استخدامها فى غرب ايران وبلاد الرافدين وأعالى الشام، وفى بلاد اليونان وحوض بحر إيجة، وفى أرمينيا وآسيا الصغرى.

٣ - النقوش والمخربشات الشخصية : وهى نقوش تتسم بقصرها، ولم يهتم كتابها بتنميقها أو تدبيج عباراتها، وهذه النقوش تقدم لنا معلومات فياضة عن الحياة الاجتماعية والعقائدية على وجه الخصوص، كما تكشف لنا عن المهن والحرف لأصحابها .

وهذه النقوش تقدم لكل من عالم اللغة والمؤرخ المادة الأولية الخام فى مجال تخصصهما فهى تقدم لعالم اللغة مادة بكر لدراسة تاريخ تطور اللغة وخطوط كتابتها وعلاقاتها بغيرها من اللغات الأخرى أى تأثيرها وتأثرها بها . كما أنها بمثابة الكنز للمؤرخ لما تقدمه له من مادة خام عن الأحوال السياسية والتشريعية والاقتصادية والدينية والنظم الادارية . ومادة النقوش إما أنها تقدم معلومات مباشرة فى صورة أخبار أو وقائع تاريخية أو نص قانون أو مرسوم أو طريقة اقامة الطقوس والشعائر الدينية، ويكون مدلولها واضحاً، وأحيانا تقدم للمؤرخ معلومات وقرائن على وضع ما بطريقة غير مباشرة فإذا ما وجدت نقوش بلغات مختلفة فى منطقة ما من المناطق فإن هذا يشير إلى أن المنطقة كانت نقطة التقاء أو مرور، وغالبا ما يكون لذلك علاقة بالتجارة (النقوش اليونانية التى عثر عليها فى اليمن ومنطقة الخليج العربى) . وأحيانا دلالة على خضوع منطقة ما أو تبعتها لدولة ما والمثال على ذلك النقوش التدمرية اليونانية .

١ - وفى القسم الشمالى والأوسط من شبه الجزيرة العربية، فى واحة الجوف وغيرها من المواقع الأثرية عثر على عديد من النقوش النبطية والثمودية واللحيانية والمعينية والسبأية، وأخيرا فإن المنطقة الشماليه الغربية من الجزيرة العربية، أى فى موقع العلا تم العثور على عدد من النقوش الدادانية والمعينية واللحيانية والثمودية والنبطية، ونلاحظ هنا أن النقوش المعينية كانت نادرة فى هذه المنطقة، لأنها كانت مقصورة إلى حد كبير على جنوب الجزيرة العربية، ويمكن ادراك مغزى تجمع هذه النقوش المختلفة، اللغات فى هذه المنطقة إذ تذكرنا أن هذه المنطقة يمر بها الطريق التجارى البرى الذى يتفرع من خط القوافل الطويل جنوبى العلا ليصل إلى وادى الرافدين فى منطقة تقع عند مدينة النجف والخالية .

٢ - كما تشير الرقم الطينية المكتوبة بالآشورية القديمة، والتى عثر عليها فى كول تبه (كايشن) وبوغاز كوى (خاتوشا) وعلى شار (انكوها) إلى اجادة تجار بلاد الاناضول، للغة الآشورية ويفضلون كتابة الرسائل إلى وكلائهم التجار فى آشور بأنفسهم .

كما أن انتشار نقوش بلغة واحدة فى مناطق عديدة يشير إلى أنتشار الناطقين والمتحدثين بهذه اللغة فى تلك المناطق، كما هو الحال بالنسبة لانتشار النقوش الثمودية التى انتشرت وسط شبه الجزيرة العربية وغربها وشمالها الغربى وهذا يشير إلى انتشار قبيلة ثمود فى تلك البقاع، وهذا قد يشير إلى انتشار النفوذ السياسى لتلك القبيلة.

كما أن أحد النقوش قد يشير إلى حدث معين قد يكون غزوة قام بها حاكم منطقة بعيدة إلى المنطقة التى اكتشف فيها النقش وقد يكون ابتهالاً من أحد الحكام أو أفراد منطقة معينة إلى إله من آلهتها فيعرف من ذلك اسم هذا الحاكم أو الشخص واسم الإله أو الآلهة التى كانت عبادتها تسود هذه المنطقة .

وتمثل النقوش مثلها مثل المصادر الوثائقية الأخرى أهمية كبرى للمؤرخ إذ تميل إلى الصدق أكثر من المصادر الأدبية فهى أدق فى تصويرها للحقائق التاريخية، ولكن علينا أن ننوه إلى أمرين : أولهما : أن النقوش فى ذكرها للوقائع تأتى قصيرة وموجزة وأغلبها لا يهتم إلا بحادثة واحدة ولا يتعدى إلا سطور قليلة، وثانيهما : أن النقوش الطويلة التى سجلها الملوك والحكام فى العصور القديمة فيها ميل للمبالغة فى تمجيد أعمالهم ومنجزاتهم، ومثالنا على ذلك ما خلفه الملك تجلات بلسير الثالث الآشورى من سجلات وما تركه لنا رمسيس الثانى ملك مصر إذ تحتوى هذه النقوش على مبالغات يكتشفها الباحث الممحص والمدقق ومن ثم فان هذه النقوش من هذا النوع تحتاج إلى حذر شديد من الباحث فى معالجة الوقائع والأحداث التى تسجلها . وعموما فان محتويات النقوش تكون أكثر تصديقا من قبل المؤرخ إذا ما تعلقت بمجريات وبمسائل الحياة اليومية كاتمام صفقة تجارية وعقود البيع والايجار والعمل والقروض، والاشارة إلى قانون أو تقديم قربان إلى إله أو التعرض لمشاكل الناس مع الادارة .

ونتحدث الآن عن بعض الأمثلة الهامة من النقوش لعدد من بلدان الشرق الأدنى واليونان والرومان وهى على النحو الآتى :-

أولاً : مصر :

جادت علينا مصر بنقوش منذ فجر تاريخها أى من عصر بداية الأسرات حتى الفتح العربى . ومن أمثلة تلك النقوش قوائم الملوك وحوليات البعض منهم، فقد قدمت قوائم الملوك للباحثين خدمة جليلة إذ أنها أفادتهم فى حل مسألة تسلسل ملوك الأسر الفرعونية المتتابعين على العرش، وهى مسألة كانت من أكبر المسائل التى اعترضت الباحثين فى تاريخ مصر القديمة، لأن المصريين كانوا يؤرخون بالأحداث على حسب سنين حكم الملك الذى وقعت فى عهده، ولم يكونوا يشيرون إلى من سبقه أو لحقه من الملوك إلا فى أحوال نادرة، ولكن قوائم الملوك التى عثر عليها، والتى دونت اسماء الملوك متتابعين مع ذكر أهم الأحداث لعهود هؤلاء الملوك، قد ساعدت على تتبع تسلسل الملوك وهذه القوائم على النحو الآتى :

١ - قائمة بالرمو :

فقد عثر عليها فى منف على حجر من الديوريت وتم نقلها إلى صقلية فى عام ١٨٥٩م حيث أودعت فى العاصمة بالرمو عام ١٨٧٧، وهذه القائمة يعود تاريخ تدويتها إلى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد . وهى عبارة عن سجل لحوليات الملوك المصريين منذ أقدم العصور، وحتى عهد « نفرايركارع » ثالث ملوك الأسرة الخامسة، ويذكر النقش اسلاف الملك مينا ممن كانوا يحكمون فى الدلتا والصعيد، وأطلق عليهم أسم اتباع الإله حور - وهذا التدوين يعد أول محاولة تدوين لأخبار الملوك فى العالم

القديم فهو اذن يمثل نقطة البدء وأن هذه المحاولة لتدوين أخبار الملوك سبقت غيرها بقرون طويلة، ويلاحظ أن ناقشها التزم فيها مبادئ لاتزال تعتبر من شروط التأريخ السليم، فقد راعى أولاً شرط الوضوح فى كتابته بأن فصل بين أحداث كل حول عن الآخر بخط رأسي، يرمز إلى كلمة الحول فى الكتابة المصرية، ويفصل بين حوليات كل ملك وآخر بخط أفقى، وراعى ثانيا : الترتيب الزمنى فى تدوين اسماء الملوك وحوادثهم من الأقدم إلى الأحدث، وراعى ثالثا : أمانة النقل ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فى رواياته، فاكتفى من جانبه بالرمز إلى ملوك ما قبل الأسرات بأسمائهم، دون أعمالهم التى لم تدونها عهودهم، وبدأ يفصل بالتدريج فى حوليات العصور التاريخية ذات المصادر المكتوبة، حسبما توفرت له اخبارها، ثم اسهب أخيراً فى حوليات الأسرة الخامسة التى عاش فى ظلها، وعرف الكثير من اخبارها .

٢ - قائمة الكرنك :

نقشت هذه القائمة فى عهد تحوتمس الثالث (١٤٩٠/ ١٤٣٦ق . م) . على جانب من معبده الفخم فى طيبة وهذا النقش محفوظ الآن فى متحف اللوفر . وقد صور فيها الملك تحوتمس الثالث وهو يتجه بدعواته إلى واحد وستين اسما من اسماء الملوك اسلافه الذين تحطم أولهم ، ومن ثم فقد كان أولهم منفرد ومؤسس الأسرة الرابعة ثم يليه بعض ملوك هذه الأسرة ثم ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة، ثم يليهم بعض ملوك الأسرات من الحادية عشر الى السابعة عشرة .

ونستخلص على ما يبدو من هذا أن تحوتمس قد سجل الملوك الذين اعتقد بشرعيتهم أو من كان يعتبرهم اسلافه الحقيقيين الذين يرتبط بهم برابطة نسب، وذلك لأن القائمة لم تسجل كل الملوك الذين توجوا ملوكاً على عرش مصر قبل تحوتمس خاصة ملوك عصر الانتقال الأول هذا فضلاً عن الملوك من الغزاة الهكسوس .

٣ - قائمة ابيدوس :

تم نقشها فى عهد الملك سيتى الأول (١٣٠٩ - ١١٢٩١ق.م) على جدران معبده الكبير فى أبيدوس، وقد قام ناقشها بتصوير الملك سيتى الأول وبصحبة ولده وولى عهده رعمسيس (الثانى) الذى تولى العرش من بعده (١٢٩٠ - ١٢٢٤) وهما يقدمان القرابين إلى ستة وسبعين ملكاً من اسلافهما، والمكتوب أسماؤهم فى خراطيش بالخط الهيروغليفى : وأول الملوك مينا ، وتغفل القائمة هنا ملوكا كان سيتى الأول يعتبرهم غير شرعيين، مثل ملوك الأسرتين التاسعة والعاشرة، وملوك عصر الأنتقال الثانى، هذا فضلا عن تجاوزها عن عمد لاسم الملكة حتشبسوت هذا فضلاً عن اخناتون وأقربائه، سمنخ كارع، وتوت عنخ آمون وآى، الذين اعتبرهم خلفاؤهم صابئين وذلك لخروجهم على تقاليد الاسلاف الدينية .

٤ - قائمة سقارة :

تم العثور عليها فى سقارة عام ١٨٦١ بمقبرة ثونرى أحد رؤساء الأشغال فى عهد الملك رعمسيس الثانى، وتحتوى هذه القائمة على

خراطيش سبعة وخمسين ملكا مجدهم رعمسيس الثانى، وتبدأ هذه القائمة بسادس ملوك الأسرة الأولى الملك «عدج ايب» وتنتهى بالملك رعمسيس الثانى ونلاحظ انها لم ترع الترتيب الزمنى، وانها اغفلت ملوك الأسرات من السابعة إلى العاشرة، فضلاً عن كثير من ملوك الأسرة الحادية عشرة، ونلاحظ أنها سجلت أسماء ملوك الأسرة الثانية عشرة جميعاً، مما يشير إلى أن كاتبها كان متأثراً بما تأثر به كاتب قائمة أبيدوس المعاصرة لها، ومن ثم فقد أغفلت القائمتان ملوك عصر الأنتقال الثانى، وكذلك اسماء حتشبسوت واخناتون ومن اعقبه من أسرته، ثم تنتهى القائمة بالملوك الثلاثه الأول (رعمسيس الأول وسيتى الأول ورعمسيس الثانى) من الأسرة التاسعة عشرة.

وعموما أن هذه القوائم سجلت لنا اسماء الملوك وسنى حكمهم وأهم أعمالهم، وكان هذا التسجيل دقيقا فى بعض الأحيان، فلم يقتصروا فيه على ترتيب الملوك ترتيبا زمنيا وحسب، بل ذكر مدة حكمهم بالسنة والشهر واليوم، كما أنه لم يقتصر فيها على العصر التاريخى بل أرخ كذلك لملوك فجر التاريخ، رغبة منهم فى تخليد الملكية المقدسة وليصلوا الملوك باسلافهم من الأرباب الذين أورثوهم عرش مصر . ولكن نلاحظ أن معلومات تلك القوائم كانت متباينة احيانا كما ينقصها الطابع العلمى، كما أن اغفال بعض اسماء الملوك الذين اعتبرهم غير شرعيين كان يعنى حرمانهم من التمتع بالقرابين التى تقدم للأجداد، ولم تقدم لنا شيئا عن الجوانب الحضارية مما يجعلها محدودة الفائدة، ولعل السبب فى ذلك أن مظعمها يتصل باحتفالات دينية تتصل بالملكية، كما انها لا تقدم لنا إلا

القليل عن التاريخ السياسى والحروب والغزوات، وما اهتمت به كان يخص الشعائر الملكية والرحلات وتشييد المبانى .

٥- نقوش وحوليات الملوك :

وهذه السجلات تحتوى على ما قام به الملوك من جلائل الأعمال وقد أمر الملوك بنقشها وأقدمها يرجع إلى عهد الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة، وأغلب الحوليات التى لدينا من فترة حكم الأسرتين الثامنة والتاسعة عشرة وهى نقوش مطولة احتوت على معلومات تاريخية ضافية ومن امثلتها حوليات تحوتموس الثالث التى أمر بنقشها على مساحات كبيرة من جدران معابد الكرنك بغرض تخليد حملاته الستة عشرة التى قام بها فى بلاد الشام، وتكمل هذه الحوليات عدة نقوش أخرى لتحوتموس عثر عليها فى أرمنت ومنطقة جبل برقل عند الشلال الرابع، ومن حوليات الأسرة التاسعة عشرة لدينا حوليات رعمسيس الثانى الذى يعد أكبر مغتصب للعمائر التى شادها من سبقوه حيث ملأها بنقوش مطولة عن حملاته العسكرية خاصة نصره المظفر فى معركة قادش على الحيثيين فى ١٢٩٩ ق . م، والجدير بالذكر أن لدينا نقش لهذا الملك يعد أول وأقدم تسجيل معاهدة عقدت بينه وبين ملك الحيثيين خاتوشيلى : والنقش المصرى مسجل على معبد الإله آمون فى الكرنك، وقد عثر على نسخة من تلك المعاهدة على رقيمين فى العاصمة الحيثية . ونص المعاهدة كما جاء فى المتذين المصرى والحيثى - على النحو الآتى : -

التاريخ

اليوم الواحد والعشرون من الشهر الأول من فصل الشتاء والعام الواحد والعشرون لحكم جلالة ملك مصر العليا والسفلى : أوسر - ماعت - رع سيتيب - عن - رع ابن رع : رعمسيس ميرى - آمون ...

(وتعقب ذلك القاب أخرى لفرعون)

وصول الرسل الحثيين الى مصر

في هذا اليوم، عندما كان جلالته في مدينة بيت رعمسيس ميرى - آعمون يقدم الاحترام لوالده آمون - رع، وهاراختي واتوم رب البلدين (المعبود في) هيليوبوليس . وآمون الـ « رعمسيسى » ذى القوة الخارقة ابن نوت، كما منحوه احتفالات خالدة وسنوات سلام دائمة أبدية، لان كل بلد اجنبى طأطأ الرأس تحت الى الأبد . وعندها قدم رسول الملك والقائد نائب (فرعون) ... الرسول الملكى .. اوسر - ماعت - رع سيتيب - عن - رع ... تار - تيشيبو ورسول البلاد الحثية، ... سيلى ... حاملا اللوحة الفضية التى بعث بها أمير البلاد الحثية العظيم خاتوشيلى الى فرعون - له الحياة والفلاح والصحة طالبا السلام من جلالة اوسر - ماعت - رع سيتيب - عن - رع ابن رع ردمسيس - ميرى آمون، معطى كوالده يوميا حياة الخلود .

ديباجة النسخة المصرية

نسخة عن اللوحة الفضية التى بعث بها رئيس « خاتوشا »، أمير

البلاد الحثية العظيم، خاتوشيلى الى فرعون - له الحياة والفلاح - مع رسوله « موزى »، راجيا السلام من جلالته أوسر - ماعت - رع ابن رع : رعمسيس - ميرى آمون - ثور الحكام، الذى يثبت حدوده كما يشاء فى كل بلاد .

ديباجة النسخة الحثية

(لم يعثر حتى الآن على المتن الحثى)

صلب المعاهدة

١ - المتعاقدون

النص المصرى

وضع هذا النص رئيس « خاتوشا » أمير البلاد الحثية العظيم، « خاتو - شيلى » الجبار ابن ابن شوبيلو - ليوما ابن البلاد الحثية الكبير الجبار على لوحة من الفضة لـ « اوسر - ماعت - رع » حاكم مصر العظيم القوى ابن « مين - ماعت - رع » حاكم مصر العظيم القوى ابن ابن مين - بيهتى - رع حاكم مصر العظيم القوى، انها معاهدة سلام وصداقة خيرة، التى تدعم السلام بيننا ... « خيتا » مع « مصر » الى الابد .

النص الحثى باللغة البابلية

وبذا ابرم « ياماساسا ماى امانا الملك العظيم ملك مصر القوى معاهدة مع اخيه « خاتوشيلى » الملك العظيم، ملك أرض « خيتا » كى يمنحا صلحا وحسن اخاء .. ما داما حيين الى الابد .

« رياماساسا ماى امانا » ملك مصر العظيم، القوى فى كل الأراضى، ابن منموّرايا الملك العظيم، ملك مصر القوى ابن ابن « منبا خير تياريا، الملك العظيم ملك مصر القوى الى « خاتوشيلى » الملك العظيم ملك أرض « خاتوشا » القوى ابن ابن « شوبيلوليوما » الملك العظيم ملك ارض « خاتوشا » القوى، انظر الآن، فانى اقدم اخاء حسنا وسلاما طيبا حسنا، تتحالف بموجبه « مصر » مع « خيتا » الى الأبد وهكذا يكون .

٢ - العلاقات السابقة بين الدولتين

النص المصرى

فيما يخص العلاقات بين حاكم مصر العظيم وأمير البلاد الحثية العظيم لم يشأ الاله بواسطة معاهدة منذ القدم، منذ البداية ان يترك حالة العداء قائمة بينهما، الا انه فى عهد « مورواتالى » أمير البلاد الحثية العظيم اخى ، حارب اخى رعمسيس – ميرى – آمون حاكم مصر العظيم، ولكن الآن بدءا من هذا اليوم يرتبط « خاتوشيلى » أمير البلاد الحثية العظيم بمعاهدة اقامها « رع » و « سوتيخ » بين مصر والبلاد الحثية لاعادة العلاقات بينهما وتكون السياسة التى عملها « رع » والتى عملها سوتيخ دائمة لارض مصر ولبلاد « خاتوشا » ولا يسمحا بعدئذ بقيام عداء بينهما الى الأبد .

النص الحثى باللغة البابلية

تأمل سياسة الملك العظيم ملك مصر والملك العظيم ملك « خاتوشا » منذ الأزل، فان الاله لم يسمح بقيام خصومة بينهما بواسطة معاهدة ابدية.

تأمل : « رياماساسا ماى امانا » الملك العظيم ملك مصر فانه من اجل ان يجعل السياسة التى صنعها « شمش » و « تيشوب » لمصر مع أرض « خاتوشا » بسبب سياسته التى كانت آثمة منذ الأزل (فانه لن يكون خصام أو عداء بينهما الى الأبد والى الزمن السرمدى) .

٣ - بنود المعاهدة الحالية

أ - العلاقات الطيبة بين « خاتوشيلى » و « رعمسيس »

النص المصرى

هكذا يرتبط اذن « خاتوشيلى » امير البلاد الحثية العظيم بمعاهدة مع « اوسر - ماعت - رع سيتيب - عن - رع » حاكم مصر العظيم بدءا من هذا اليوم، كى تقوم بيننا الى الأبد علاقات سلام طيبة وصلات اخوة حسنة، انه فى اخاء معى انه فى سلام معى، انى فى اخاء معه وانى فى سلام معه الى الابد .

منذ موت اخى « مرواتالى » امير البلاد الحثية العظيم عرش والده، وانا مع « رعمسيس ميرى آمون » حاكم مصر العظيم باخاء وسلام . وهذا افضل من اى اخاء وسلام وجدا على الأرض حتى الآن .

النص الحثى باللغة البابلية

ان « رياماساسا ماى امانا » الملك العظيم ملك مصر قد الزم نفسه بمعاهدة علي لوحة من الفضة مع إخيه « خاتوشيلى » الملك العظيم، ملك ارض « خيتا »، منذ هذا اليوم بصلح طيب واخاء حسن بيننا الى الأبد .

وهكذا فانه اخ لى وفى سلام معه .

لذلك عقدنا اخاء وسلاما وحسن نية افضل من الأخاء والسلام الذى كان فى الأزمنة السابقة بين مصر وخيتا .

ب - اقامة علاقات سلمية دائمة

النص المصرى

هكذا فانا بوصفى حاكم البلاد الحثية العظيم مع رعمسيس - ميرى - آمون حاكم مصر العظيم بسلام طيب واخوة حسنة فليكن ابناء أمير البلاد الحثية العظيم فى اخوة وسلام مع ابناء رعمسيس - ميرى آمون حاكم مصر العظيم وأنهم سيكونون فى وضع شبيه بحالتنا من الاخوة والسلام وبناء على ما ابرمته بلاد مصر مع البلاد الحثية وذلك كما نحن فى سلام وأخوة الى الأبد، على أن لا تقوم عداوات بينهم .

النص الحثى باللغة البابلية

تأمل ! ان « يا ماساسا ماى امانا » الملك العظيم ملك مصر فى سلام طيب واخاء حسن مع « خاتوشيلى » الملك العظيم بلاد « خيتا » تأمل ان ابناء « رياماساسا ماى امانا » ملك مصر سيكونون الى الأبد فى اخوة مع ابناء « خاتوشيلى » الملك العظيم، ملك بلاد « خيتا » وانهم سيسيرون على سياستنا فى اخائنا وسلامنا، وان مصر وبلاد خيتا فى وئام وانهم اخوة مثلنا الى الابد .

جـ - التخلى المتبادل عن الاستفزازات والاعمال العدائية

النص المصرى

على أمير البلاد الحثية الا يطأ أرض مصر الى الأبد ليغتصب منها شيئا، وعلى « اوسر - ماعت - رع سيتيب - عن - رع » حاكم مصر العظيم الا يطأ البلاد الحثية ليغتصب منها شيئا .

النص الحثى باللغة البابلية

الى الأبد لن يعتدى « ريا ماساسا ماى امانا » الملك العظيم، ملك مصر على أرض « خيتا » ليغتصب منها شيئا . والى الأبد لن يعتدى « خاتوشيلى » الملك العظيم، ملك بلاد « خيتا » على مصر ليغتصب منها شيئا .

د - تعهد « خاتوشيلى » بتنفيذ الاتفاقيات السابقة

النص المصرى

فيما يخص المعاهدة السابقة التى ابرمت فى عهد « شوبيلوليوما » امير البلاد الحثية العظيم، وفيما يخص المعاهدة فى عهد « مورواتالى » امير البلاد الحثية العظيم، فاتعهد بتنفيذها .

النص الحثى باللغة البابلية

(لم يعثر على المتن الحثي حتى الآن)

هـ - تعهد الطرفين بتنفيذ بنود المعاهدة

النص المصرى

هكذا سينفذ معنا « رعمسيس - ميرى - آمون » حاكم مصر العظيم بدءا من هذا اليوم الاتفاقيات التى ابرمها معنا سنحترمها وسنبحث الوضع السابق بناء على ذلك .

النص الحثى باللغة البابلية

تأمل القدر الخالد الذى حدده « شمش » و « تيشوب » لـ « مصر » وبلاد « خيتا » للسلام والمؤاخات حتى لا يقوم خصام بينهما. وتأمل « رياماساسا ماى امانا » الملك العظيم ، ملك مصر بتسلمه الآن ان يبرم صلحا منذ هذا اليوم، وان « مصر » و « خيتا » فى سلام واخوة دائمين .

و - المساعدات المتبادلة بين الطرفين ضد اى عدو لهما

النص المصرى

اذا هاجم عدو ما بلدان «اوسر - ماعت - رع سيتيب - عن - رع» حاكم مصر العظيم وارسل (فرعون) الى امير البلاد الحثية قائلا : تعال الى مصر مساعدا ضده، فعلى امير البلاد الحثية القدوم، وعلى أمير البلاد الحثية العظيم أن يحطم عدوه . واذا لم يرغب امير البلاد الحثية بالمجئ (شخصياً)، فعليه ان يرسل عساكره وجنود العريت ويحطم عدوه .

النص الحثى باللغة البابلية

اذا هاجم عدو ما ارض « خيتا » وارسل « خاتوشيلى العظيم من

ارض « خيتا » قائلا : « اسرع لمساعدتى ضده فعلى « ريا ماساسا ماى امانا » الملك العظيم، ملك مصر ان يرسل جنوده وعرباته ويجب ان يقتل عدوه ويعيد الثقة (؟) الى ارض « خيتا .

ز - المساعدات المتبادلة بين الطرفين لاخماد الثورات فى البلدان الخاضعة لهما

النص المصرى

او اذا اضطر « رعمسيس - ميرى - آمون « حاكم مصر العظيم للزحف ضد اتباعه الذين يزعجونه ويريد تدميرهم، فعلى امير البلاد الحثية العظيم ان يقوم بنفس الخطوة ويدمر الذين نهضوا ضده .

النص الحثى باللغة البابلية

او اذا (غضب) « خاتوشيلى » الملك العظيم ملك بلاد « خيتا » على خدم له او ارتكبوا اثما ضده، وارسل الى « ريا ماساسا » الملك العظيم ملك مصر بهذا الخصوص، هكذا يجب ان يرسل جنوده وعربات « ريا ماساسا ماى امانا » فى الحال ويقضون على من اصبحت غاضبا عليهم .

ح - (مادة مكملة للمادة « و »)

النص المصرى

اما اذا هاجم عدو آخر ملك « خيتا »، العظيم فيجب ان يأتى اليه حاكم مصر العظيم « اوسر - ماعت - رع سيتيب - آمون » مساعدا لقتل عدوه، وإذا لم يرغب « رعمسيس ميرى آمون » حاكم مصر العظيم

بالمجئ (شخصيا) فانـه ... وخيالتـه، هـذا عـدا عـن ارسـال رد لارض « خيتا » (ويجب ان يرسل جنوده « خيتا » ؟) .

النص الحثى باللغة البابلية

وإذا هاجم عدو آخر « مصر » وارسل « رياماساسا ماى امانا » ملك مصر الى اخيه « خاتوشيلى » ملك بلاد « خيتا » قائلا :

« اسرع » اسرع لمساعدتى ضده، فعلى خاتوشيلى ملك بلاد « خيتا » ان يرسل جنوده (وعرباته) فى الحال، وعليه ان يذبح عدوى .

ط - (مادة مكملة للمادة « ز »)

النص المصرى

واذا تعدى خدم رئيس « خيتا » العظيم عليه، « رعمسيس ميرى آمون » حاكم مصرالعظيم ....

....

....

....

النص الحثى باللغة البابلية

واذا اصبح « ريا ماساسا » الملك العظيم ملكا غاضبا على اتباعه الذين ارتكبوا اثما ضده وارسل الى « خاتوشيلى » ملك « خيتا » اخى بخصوص ذلك، عندها يجب على « خاتوشيلى » الملك العظيم، ان يرسل جنوده وعرباته الى ملك مصر، وان يقضى عليهم جميعا .

ى - مادة خاصة بوراثة العرش الحثى

النص المصرى

....

....

....

....

....

النص الحثى باللغة البابلية

(٤٠) تأمل ان ابن « خاتوشيلى » ملك بلاد « خيتا » (المعاهدة التى ابرمناها (؟) .. (٤١) فى مصر (خاتوشيلى) والده بعد سنين .... (٤٢) ... ارض قد ارتكبوا جريمة ... (٤٣) ... عربات خيث كنت سأعود ... (٤٤) ... فى ارض « خيتا » (؟)

....

وتقدم لنا النقوش مع المعابد والمقابروالتوابيت معلومات فياضة على الديانة المصرية القديمة وعقائدها ومن هذه النقوش النصوص الدينية فى حجرة الدفن والقاعة المؤدية اليها فى هرم الملك أوناس (أحد ملوك الأسرة الخامسة) وهذه النقوش دونت بالخط الهيروغليفى ثم لونت بالوان جذابه) وتعرف هذه النقوش بمتون الأهرام ، وهذه المتون تمثل مصدراً ثريا إذ ضمت عقائد سابقة ومذاهب دينية وكتابات فكرية متعددة . ومن ثم عرفنا من خلالها الكثير من التفاصيل عن العقائد المصرية القديمة .

وتمدنا فترة العصر الهلنيستى الرومانى بنقوش كثيرة ومن الأمثلة عليها نقش حجر رشيد ، وهو عبارة عن قرار مجمع الكهنة المصريين فى عام ١٩٦ ق.م، شكروا فيه الملك بطلميوس الخامس ابيفانس على اعفائه معابدهم من تكاليف واعباء كانت مفروضة عليهم فى عهود اسلافه من الملوك البطالمة، ويلقى هذا النقش أضواء على تطور سياسة الملوك البطالمة الدينية تجاه المصريين من سياسة الشدة إلى سياسة اللين وبيانه كالتالى :

مرسوم منف أو حجر رشيد

يحتوى مرسوم « منف » الذى عثر عليه فى رشيد على ثلاثة نصوص وهى النص اليونانى والنص الديموطيقى (لغة الشعب) والنص الهيروغليفى أو الكتابة المصرية المقدسة . وقد كان المفهوم أن كلا من هذه النصوص الثلاثة يعتبر ترجمة حرفية للآخر، غير أن الواقع غير ذلك إذ نجد بعض الاختلاف فى كل منها عن الآخر، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن لكل لغة من هذه اللغات مصطلحاتها وتعابيرها الخاصة بها ، ومن أجل ذلك كان لزاماً علينا أن نورد هنا ترجمة كل نص من هذه النصوص الثلاثة بقدر المستطاع .

النص المصرى القديم

١ - التاريخ :

فى السنة التاسعة، الرابع من شهر قسندقس الذى يقابل شهر سكان مصر الثانى من فضل الشتاء، الثامن عشر منه فى عهد جلالة حور - رع الفتى الذى ظهر بمثابة ملك على عرش والده، (ممثل) السيدتين، عظيم

القوة، والذى ثبت الأرضين ومن جمل مصر ومن قلبه محسن نحو الآلهة، « حور » المنتصر على « ست »، ومن يجعل الحياة خضرة للناس وسيد أعياد سد مثل « بتاح تنن »، والملك مثل رع، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (وارث الإلهين المحبين لوالدهما المختار من بتاح روح (كا) رع القوية وصورة « آمون » الحية) ابن رع (بطليموس معطى الحياة أبدياً محبوب بتاح) الإله الظاهر سيد الطيبات ابن « بطليموس » و « ارسنوى » الإلهين المحبين لوالدهما - عند كان كاهن الإسكندر، والإلهين المخلصين والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما والإله الظاهر سيد الطيبات المسمى « أيادوس » بن « أيادوس »، وعند ما كانت « برات » ابنة « بيلينس » حاملة هدية النصر أمام «برنيكى» المحسنة، وعند ما كانت « أريات » ابنة « دياجنس » حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » محبة اخيها، وعند ما كانت « هرنات » إبنة « بطليموس » كاهنة « ارسنوى » التى تحب والدها .

٢ - المقدمة :

فى هذا اليوم قرر المشرفون على المعابد، والكهنة خدام الآلهة . والكهنة السريون والكهنة المطهرون الذين يدخلون فى المكان المقدس (قدس الأقداس) ليلبسوا الآلهة ملابسهم، وكتبة كتب الآلهة ورفاق بيت الحياة، والكهنة الآخرون الذين أتوا من شقى مصر نحو الجدار الأبيض (منف) لأجل أن يتسلم - فى عيد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين - (بطليموس العائش أبدياً محبوب بتاح) الإله الظاهر رب الطيبات، مملكة والده . وقد جمعوا أنفسهم فى معبد ميزان الأرضين وأعلنوا .

٣ - الملك بوصفه محسن للمعابد المصرية وكذلك لجميع الناس وبوجه خاص لجيشه أيضاً :

ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وريث الإلهين اللذين يحبان والدهما الذي اختاره بتاح، وروح (كا) رع قوية وصورة « أمون » الحية) ابن رع (بطليموس العائش أبدياً محبوب بتاح) الإله الظاهر، رب الطيبات ابن ملك الوجه القبلي والوجه البحري « بطليموس » والأميرة سيدة الأرضين « ارسنوي »، والإلهين المحبين لوالدهما، الذي عمل كل الأشياء الطيبة والعظيمة (= العديدة) في أرض « حور » ولكل أولئك الذين كانوا فيها ولكل الناس الذين يوجدون تحت حكمه الممتاز جميعاً - أنه كان إلهاً وابن إله وأوجدته في العالم آلهة، فهو مثل « حور » بن «أزيس» وابن « أوزير » وهو الذي يحمي والده « أوزير »، وكذلك كان جلالته، قلبه محسناً نحو الآلهة - وعلى ذلك أهدى كثيراً من الفضة وكثيراً من الحبوب لمعابد مصر وأعطى كثيراً من الأشياء الثمينة لأجل أن يهدىء مصر ويجعل الشاطئين يمكثان وأعطى مكافآت للجنود الذين يعملون تحت سيادته .

٤ - تخفيف الضرائب والعفو عن المذنبين :

كل الضرائب والجزية الخاصة بالأمراء .... وهي التي كانت تثقل عاتق مصر فانه خفض بعضها والأخرى ألغاها كلها (؟) ؛ وعلى ذلك فان الجنود والناس في زمنه كانوا سعداء بحكمه . وكل المتأخرات التي كانت تثقل عاتق سكان مصر وكذلك (؟) كل الناس كانوا جميعاً تحت حكمه الممتاز فان جلالته قد نزل عنها بكثرة يخطؤها العد . وقد أفرج عن السجناء الذين كانوا في السجن وكذلك كل الناس ... الذين .

٥ - تثبيت الدخل القديم للمعابد والضرائب القديمة التى كان يدفعها الكهنة :

وقد أمر جلالته بالآتى : أن ما يتعلق بقربان الآلهة وكذلك الفضة والحبوب التى كانت تعطى سنوياً للمعبد وكل أشياء الآلهة من كروم وأراضى بساتين وكل شيء يخصهم كانوا يملكونه فى عهد والده المبجل ، يجب أن يترك ملكاً لهم . وأمر كذلك أن ينزل عن الضريبة التى كانت تؤخذ من يد الكهنة، أكثر من الضرائب التى كانت تدفع فى عهد جلالة والده المبجل .

٦ - الأعفاء من الرحلة السنوية إلى الإسكندرية ومن الخدمة البحرية . الإعفاء من توريد ثلثى الكتان الملكى :

وكذلك أعفى جلالته كهنة الساعة للمعابد من الرحلة التى كانوا يقومون بها إلى جدار الإسكندرية سنوياً . وكذلك أمر بألا يجند البحارة .

ونزل جلالته عن $\frac{٢}{٣}$ نسيج الكتان الملكى الذى كان يورد له من المعابد .

٧ - إعادة السكينة الداخلية وضمان العفو الشامل :

وكذلك أعاد جلالته استعمال كل الأشياء التى كانت منذ زمن طويل غير منظمة، إلى نظامها الحسن . وقد كان مهتماً جداً بكل الأشياء التى كانت تعمل عادة لمنفعة الآلهة، وكذلك عمل ما هو حق للناس مثل ما فعل الإله تحوت المزدوج العظمة .

وأمر كذلك (أن يترك بعد ذلك) ...... وعلى ذلك فان ممتلكاته تبقى فى حوزته .

٨ - حماية البلاد من الأعداء الأجانب :

وكذلك حمل هم ارسال مشاة وفرسان وسفن ضد أولئك الذين كانوا يأتون من المدن أو من البحر . ومنح فضة كثيرة وغلاله لأجل أن يهدأوا أراضى حور (= المعابد) ومصر .

٩ - قهر الثائرين فى « ليكوبوليس » :

وقد زحف جلالته نحو ....

....

بوساطة الأعداء الذين كانوا فى داخلها، لأنهم عملوا أضراراً كثيرة فى مصر . ولقد تعدوا الطريق التى كان يحبها جلالته، والتى هى تصميم الآلهة . وعلى ذلك فانه سد كل القنوات التى تجرى فى هذه المدينة. ولم يعمل مثل ذلك بوساطة الملوك السابقين وقد أعطى فضة كثيرة من أجل ذلك .

وعين جلالته مشاة فرساناً على هذه الترع لحراستها وحمايتها (الباقى ترك) ..... عميقة جداً - وقد تغلب جلالته على هذه المدينة . وأخضع الأعداء الذين كانوا فى داخلها وقد أوقع فيهم مذبحة عظيمة (؟) كما فعل « رع » و « حور » بن « أزيس » مع عدوهما قبل ذلك فى هذا المكان .

١٠ - معاقبة زعيم الثورة التى قامت على « بطليموس فيلوباتور » :

تأمل لقد جمع العدو الجنود وكان على رأسهم وتخبطوا فى المقاطعات وضربوا أرض « حور » (= العابد) وتعدوا طرق جلالته وطرق والده المبجل . وقد أمر الآلهة أن يقهروا فى « منف » فى العيد وهناك كذلك يتسلم مملكة والده . وقد قتلهم عند ما طعنهم بالخشب (؟) .

١١ - الاعفاء من الضرائب المتأخرة وصرائب المعابد :

وأن ما يستحقه جلالته من المعابد حتى العام التاسع .... فضة وغلال التى نزل عنها جلالته، وكذلك الكتان الملكى الذى يستحقه بيت الملك (= الخزانة) من المعابد والفرق الذى كان قد قرر فعلا عما وردت حتى هذا الوقت . وقد نزل عن أرادب الحنطة التى كانت تؤخذ من آرورات الآلهة، وكذلك مكاييل النبيذ التى كانت تجبى من الكروم .

١٢ - الاهتمام بالحيوان المقدس وعبادة الآلهة :

ولقد عمل طيبات كثيرة للعجل « أبيس » والعجل « منيفيس » (من ور) وكل الحيوان الإلهى المقدس أكثر مما عمله الأجداد . واهتم قلبه بأحوالها فى كل لحظة . وقدم كل شئ طلب من أجل معيشتها بكثرة وبكرم. وأحضر (؟) كل ما يطلب من أجل معابدها (؟) فى ذلك العيد الكبير الّذى يقدم فيه الإنسان القربان المحروق والذى يقدم فيه قربان الشراب وكل شيء أعتيد عمله . والأمجاد التى فى المعابد وكل الأشياء العظيمة الخاصة بمصر فان جلالته تركها تبقى على حالتها على حسب

القانون . وقد منح فضة كثيرة وغلة وكل الأشياء لأجل بيت سكن « أبيس » الحى . وزينه جلالته بشغل ممتاز من جديد، وكان جميلا جداً . وقد ترك « أبيس » الحى يشرق فيه . وقد أتم مقصورة المعبد ومائدة القربات من جديد للآلهة (.........) عندما كان قلب جلالته نحو الآلهة محسناً، وعلى ذلك اعتنى بالمعابد وجمالها، فجددها فى زمنه الحاكم الأوحد - ومكافأة على ذلك أعطته الآلهة والإلهات القوة والسلطان والحياة والعافية والصحة وكل الأشياء الطيبة جميعها فى حين كانت وظيفته الكبرى معه وأولاده أبدياً .

١٣ - عزم الكهنة على تمجيد الملك وأجداده :

بالحظ السعيد : لقد ذهب إلى قلب كهنة جميع معابد الوجه القبلى والوجه البحرى لإكثار أمجاد ملك الوجه البحرى (بطليموس العائش أبدياً محبوب بتاح) الإله الظاهر، رب الجمال الذى فى أراضى « حور » (= المعابد)، وكذلك الخاصة بالإلهين المحبين لوالدهما الذين أوجداه والإلهين المحسنين اللذين أوجدا ما عمله والإلهين الأخوين الذين أوجدوا ما فعله والإلهين المخلصين والدى من أنجبه .

١٤ - إقامة مجموعة تماثيل للملك والآلهة المحليين فى كل المعابد وتمجيدها

ويجب إقامة تمثال للملك « بطليموس » العائش أبدياً والإله الظاهر الذى أعماله جميلة، ويدعى « بطليموس » حامى مصر وترجمته « بطليموس » الذى يحمى مصر، وكذلك تمثال لإله المدينة (الإله

المحلى) وأن يمنح سيف النصر الملكى فى كلا الشاطئين (القطرين) فى كل محراب مشهور فى الردهة العامة للمعبد، من صناعة نحاتين مصريين . وعلى كهنة بيت الإله فى كل معبد من الذين عينوا بوجه خاص أن يتعبدوا لهذه التماثيل ثلاث مرات يومياً، وأن يضعوا أدوات المعبد أمامها . وأن تعمل كل تعليمات موافقة لها كما يفعل ذلك لآلهة المقاطعات فى عيد أول السنة وأيام الأعياد (و) الأيام الخاصة بها .

١٥ - إقامة تمثال من الخشب للملك فى محراب من الذهب :

وكذلك يجب عليهم أن يصنعوا تمثالا مقدساً لملك الوجه القبلى والوجه البحرى « بطليموس » ، الإله المشرق رب الجمال ابن ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « بطليموس » والأميرة سيدة الأرضين « ارسنوى » ، والألهين المحبين لوالدهما، ومعه محراب مقدس من السام (الذهب) ومرصع بكل الأحجار الكريمة فى كل المعابد المعينة بوجه خاص والتى توجد فى المدن المحترمة ومع محاريب آلهة المقاطعات - وعند ما يقام العيد الكبير وهو الذى يظهر فيه الآله فى محرابه المحترم ويخرج من بيته، فعندئذ يجب أن يظهر المحراب المحترم لهذا الإله الظاهر (وهو فيه) .

وعلى ذلك ينبغى أن يكون هذا المحراب من اليوم إلى أجل من السنين لا حد له معروفاً به .

ويجب أن توضع عشرة تيجان لجلالته ويكون أمام كل واحد منها صل كما هو المتبع فى جمع صور التيجان، وتوضع على المحاريب بدلا

من الأصلال التى كانت قبل على المحاريب، وبذلك يكون التاج المزدوج فى وسطها، فى حين أن جلالته بذلك يكون مشرقاً فى بيت « بتاح » بعد أن يكون قد عمل له كل حفل لدخول الملك فى بيت الإله، وعلى ذلك يتسلم وظيفته الكبرى، ويجب أن يوضع على الجانب الأعلى للمربع (؟) الذى خارج هذا التاج . وقبالة هذا التاج المزدوج نبات الوجه القبلى ونبات البردى للوجه البحرى . هذا ويجب أن يوضع نسر على سلة ونبات الوجه القبلى تحتها فى الركن الأيمن من هذا المحراب، وكذلك يوضع صل على سلة وتحته ساق بردى على جانبه الأيسر ومعناه هو : أنه حامل التاج الذى أضاء الوجه القبلى والوجه البحرى .

١٦ - إقامة العيد على شرف الملك :

فلما كان اليوم الثلاثون من الشهر الرابع من فصل الصيف هو يوم ولادة الإله الطيب العائش أبدياً، فانه كان يعقد بمثابة عيد وحفل فى أراضى « حور » (= المعابد)، وكان كذلك يعقد فى اليوم السابع عشر من الشهر الثانى من فصل الفيضان وهو الذى كان يعمل فيه حفل تتويج الملك عند ما كان الملك يتسلمه من والده (أى التاج) - تأمل إن بداية جميع الأشياء العديدة الممتازة الخاصة بسكان الأرض هى ولادة الإله الطيب العائش أبدياً وتسلمه وظيفته الممتازة، ويحتفل بها فى اليوم السابع عشر واليوم الثلاثين من كل شهر فى كل معابد مصر ويجب أن يقدم فيهما قربات محروقة وكذلك قربات سائلة، وكل شىء كان يعمل كما ينبغى أن يعمل فى الأعياد فى هذا العيد من كل شهر، وكل ما يقدم فى هذا العيد يجب أن يتناوله كل الناس الذين يقومون بخدماتهم فى المعبد .

ويجب على الإنسان أن يقيم وحفلا فى كل معابد مصر لملك الوجه القبلى والوجه البحرى « بطليموس » العائش أبدياً محبوب بتاج الإله الظاهر سيد الجمال، سنوياً من اليوم الأوب من الشهر الأول من فصل الفيضان مدة خمسة أيام عند ما يكون على رأسهم إكليل، وموائد القربان يجب أن تمد بسخاء بكل شيء كما يليق .

١٧ – اللقب الجديد لكهنة الملك :

وكهنة الملك فى كل معبد من المعابد التى ذكرت بوجه خاص يجب أن يكونوا خداماً للإله الظاهر سيد الجمال ويذكرون خارج وظائف الكهنة ويجب أن تكتب (الألقاب فى مرسومهم) ويجب أن تنقش وظيفة كهنة الإله الظاهر سد الجمال على الخاتم الذى فى أيديهم .

١٨ – يجب كذلك على الأفراد العاديين أن يشتركوا فى تمجيد الملك :

تأمل يجب على الناس الذين يريدون منح صورة من هيه المقصورة للإله الظاهر أن يقيموها ويحفلوها فى بيوتهم كما يجب عليهم أن ينظموا هذا العيد والحفل فى كل شهر وفى كل سنة وبذلك يعلم أن سكان مصر قد مجدوا الإله الظاهر سيد الجمال كما ذكر أعلاه .

١٩ – نشر المرسوم :

ويجب أن يحفر هذا المرسوم على لوحة من الحجر الصلب بكتابة من كلم الإله وبكتابة الرسائل وبالكتابة اليونانية (ويجب على الإنسان) أن ينصبها فى المكان المقدس (المحراب) فى المعابد الخاصة المبينة من

الدرجة الأولى والثانية والثالثة وذلك بجوار تمثال ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (بطليموس العائش أبدياً محبوب بتاح) الإله الظاهر سيد الجمال .

ترجمة النص الديموطيقى

١ - التاريخ :

(السنة التاسعة الشهر الرابع قسندقس) وهو بالشهر المصرى الثامن عشر من الشهر الثانى من فصل الشتاء فى عهد الملك الشاب الذى ظهر ملكاً على عرش والده، سيد تاج الصل، ومن شهرته عظيمة، ومن ثبت مصر عند ما حررها، ومن قلبه محسن نحو الآلهة، ومن يقف فى وجه أعدائه ، ومن يجعل حياة الناس حرة، والسيد الذى عيده السنوى مثل عيد « بتاح – تنن » والملك مثل « فرع » (إله الشمس) . ملك الوجه القبلى والوجه البحرى بن الإلهين المحبين لوالدهما ومن اختاره « بتاح » ، ومن منحه « فرع » النصر، وصورة فرع الحية، « بطليموس » العائش أبدياً محبوب « بتاح » والإله الظاهر صاحب الطيبات الجميلة، ابن « بطليموس » و « ارسنوى » الإلهان المحبان لوالدهما، حينما ان كاهن الإسكندر والإلهين المخلصين، (والالهين الأخوين) والإلهين المحسنين والإلهين المحبين والدهما، والملك « بطليموس » الظاهر صاحب الطيبات الجميلة، هو « أبادوس » بن « إبادوس » وحينما كانت « برا » إبنة « بيلينسس » (Pilins) حاملة هدية النصر أمام « برنيكى » المحسنة، وحينما كانت « أريا » ابنة « دياجنز » حاملة السلة الذهبية أمام « ارسنوى » محبة أخيها، وعند ما انت « هرانا » ابنة « بطليموس » كاهنة « ارسنوى » محبة والدها .

٢ - مقدمة :

قــرار فى هذا اليــوم : أن الكهنة الإداريين، والكهنة خـدمــة الإله والكهنة الذين يذهبون إلى قدس الأقداس (أى الذين لهم حق الدخول فى قدس الأقداس) ويلبسون الآلهة، وكتبة أسفار الإله، وكتبة بيت الحياة، والكهنة الآخرين الذين أتوا من معابد مصر إلى « منف » فـى عيـد الملـك « بطليمـوس » العـائش أبدياً ومـحـبوب « بتـاح » الإله المشرق صـاحب الطيبات الجميلة، ومن تسلم وظيفة ملكه من يد والده، وهم الذين جمعوا أنفسهم فى بيت الإله فى « منف » وقالوا .

٣ - الملك بوصفه محسن للمعابد المصرية وكذلك لجميع الناس وبوجه خاص لجيشه أيضاً :

حـدث أن الملك « بطليمـوس » العـائش أبدياً، والإلـه الظاهر صـاحب الطيبات الجميلة (ابن) الملك « بطليموس » والملكة « ارسنوى » الإلهين المحبين لوالدهما، كان من واجباته أن يفعل طيبات كثيرة لمعابد مصر ولكل أولئك الذين تحت حكمه وذلك عندما أصبح إلهاً وابن إله وابن آلهة، لأنه كـان مـثل الأله حـور، بن « أزيس » و « أوزيـر » ، الذى حـمى والده « أوزير »، ولأن قلبه كان ممتازاً نحو الآلهة (ومن ثم) أعطى نقوداً كثيرة وغلة كثيرة لمعابد مصر . وأنفق مصاريف كثيرة ليوجد الطمأنينة فى مصر ثانية، وليجعل المعابد تصبح فى نظام ثانية، وكذلك منح الأعطية لكل الجيش الذى كان تحت أمرته .

٤ - تخفيف عبء الضرائب والعفو عن المذنبين

فالضرائب والجزية التى كانت موجودة فى مصر قد خفف جزء منها وجزء آخر أعفى كلية وذلك ليجعل الجيش وحل الناس الأخرين يصبحون فى حالة حسنة . أما الأفراد المصريون الذين كانوا مدينين للملك وكذلك أولئك الذين تحت حكمه فقد نزل لهم عن باقى المبالغ التى كانت مستحقة عليهم وكانت كثيرة .

٥ - تثبيت دخل المعابد القديم والضرائب القديمة

وفيما يخص أملاك قربان الآلهة والفضة والغلال التى كانت فى يد الكهنة سنوياً وهى التى كانت تعطى للمعابد، وكذلك فيما يخص الجزء الذى يأتى إليها من الكروم والحدائق . وكل الأشياء الأخرى التى كانوا يملكونها فى عهد والده فانها تبقى ملكاً لهم . وكذلك أمر يخص فيما يخص الكهنة ألا يدفعوا ضريبة الكهانة أكثر مما كانوا يدفعونه حتى السنة الأولى من حكم والده .

٦ - الإعفاء من الرحلة السنوية إلى الإسكندرية، ومن الخدمة البحرية والإعفاء من توريد الكتان الملكى .

أعفى الأفراد الذين كانوا يشغلون وظائف فى المعبد من الرحلة التى كانوا يقومون بها سنوياً إلى بيت الإسكندرية وامر بالأيسخر بحارة. ونزل ٣/٢ الكتان الملكى الذى كان يورد لبيت الملك من المعابد .

٧ - إعادة السكينة فى داخل البلاد وضمان عفو شامل :

وكل الأشياء التى كانت قد أهملت منذ طويل قد وضعت موضعها

الصحيح ذلك عند ماكان يوجه كل اهتمام بأن يؤدى الإنسان ماكان معتاداً أداؤه للآلهة بطريقة صحيحة وكذلك جعل للإنسان حق العدالة كما فعل «تحوت» المزدوج العظمة وكذلك أمر فيما يخص العائدين إلى بلادهم من الجنود المحاربين وفيما يخص سائر أولئك الذين ضلوا السبيل خلال الاضطرابات التى كانت فى مصر أن يعودوا إلى أماكنهم ثانية وأن تبقى أهلاكهم ملكاً لهم.

٨ - حماية البلاد من الأعداء الأجانب

ولقد صرف كل عناية فى الحال ليجعل جنود المشاة والفرسان والسفن تصد كل من يأتى عن طريق البر والبحر لشن حرب على مصر. وقد أنفق من أجل ذلك مصاريف باهظة من الفضة والغلال، وبذلك جعل المعابد والناس الذين فى مصر يصبحون فى طمأنينة .

٩ - قهر الثائرين فى ليكوبوليس :

وقد زحف على مدينة «شكان» التى كانت محصنة بكل الأعمال (الممكنة) لأنه كان يوجد بداخلها أسلحة كثيرة وكل معدات الحرب. وقد أحاط العدو الذى كان فى المدينة المذكورة بالجدران والسدود من جوانبها الخارجية . وهؤلاء كانوا قد ارتكبوا أوزاراً كثيرة بالنسبة لمصر، وذلك لأنهم لم يعملوا حسب أمر الملك أو امر الآلهة.

وقد سد (الملك) القناة التى تحمل المياه للمدينة المذكورة . ولم يكن فى استطاعة الملوك السالفين أن يأتوا بمثل ما فعل. وقد أنفق نقوداً كثيراً على ذلك . وأمر المشاة والفرسان أن يحرسوا القناة المذكورة وأن يتنبهوا

لفيضان المياه (النيل التى كانت مرتفعة فى السنة الثامنة ، وذلك لأن القناة المذكورة التى كانت تجرى لرى حقول كثيرة جداً كانت منخفضة عنها . وقد استولى الملك على المدينة المذكورة بالقوة فى زمن قصير، وقد حاصر الأعداء الذين كانوا فى الداخل وسلمهم للمقصلة (؟) مثل ما فعل «رع» و «حور» بن «إزيس» مع أولئك الذين قاموا فى وجههما من الأعداء قبل ذلك فى المكان المذكور.

١٠ - معاقبة زعماء الثورة الذين قاموا على «بطليموس الخامس» :

أما الأعداء الذين جمعوا الجنود وقادوهم ليشيعوا فى المقاطعة الفوضى، وخربوا المعابد وكذلك الذين اعترضوا طريق الملك ووالده، فان الآلهة جعلتهم فى قبضته فى «منف» ، وذل فى عيد تسلمه وظيفة ملك والده وقد جعلهم يضربون بالخشب (؟) .

١١ - الإعفاء من الضريبة المتأخرة وضريبة المعابد :

وقد نزل الملك عما ان مستحقاً له من ضريبة المعابد حتى السنة التاسعة (من حكمه) من مبالغ، وكان ذلك يبلغ مقدراً عظيماً من الفضة والغلال، وكذلك نزل عن قيمة النسيج الملكى الذى كان ديناً على المعابد لبيت مال الملك ، وكذلك التكملة لقطع النسيج التى لم تورد، وهى التى كانت تحسب فعلاً حتى الوقت الذى أعلن فيه ذلك . وأمر كذلك برفع أرادب القمح التى كانت تجبى على كل اورورا من الأراضى الخاصة بالقربات، وكذلك برفع كراميون من النبيذ عن كل أرورا من أرض الكروم الخاصة بملكية قربات الآلهة وأن يبتعد عن ذلك .

١٢ - الإهتمام بالحيوان المقدس وعبادة الآلهة التى كوفىء من أجلها الملك

وأدى أعمالا طيبة كثيرة للعجل أبيس والعجل منيفيس (من ور) وكل الحيوانات المصرية المقدسة أكثر مما عمله سابقوه . وكان قلبه فى كل وقت مهتما بأحوالها .

وقدم كل ما يلزم لدفنها بسخاء واحترام، وأحضر ما تحتاج إليه معابدها فى الأعياد الكبيرة حيث تقدم أمامها القرابين المحروقة والقربات السائلة وسائر ما هو لازم لها . أما المكرمات الواجبة للمعابد والمكرمات الأخرى الخاصة بمصر فانه جعلها تبقى كما هى على حسب القانون .

ومنح ذهباً وفضة وغلالا كثيرة وأشياء عدة أخرى لمقر العجل أبيس . وأمر باقامة العمل من جديد بما جعله عملا غاية فى الجمال .

وأمر باقامة معابد ومقاصير وموائد قربان من جديد للآلهة، وأمر باقامة أخرى كما كانت عليه من قبل، فى حين أن جعل قلبه نحو الآلهة بمثابة إله محسن وسأل عن أمجاد المعابد بأن تجدد فى زمن حكمه على حسب ما يليق بها .

ولذلك فان الآلهة منحوه النصر والشجاعة والقوة والعافية والصحة وكل الأشياء الأخرى الطيبة، فى حين أن يبقى سلطانه ثابتاً له ولأولاده أبد الآبدين .

١٣ - قرار الكهنة بتمجيد الملك وأجداده :

مع الحظ السعيد : لقد دخل فى قلب الكهنة أن يزيدوا - فى المعابد-

الأمجاد الخاصة ، ببطليموس ، العائش أبدياً الإله الظاهر صاحب الأعمال الطيبة فى المعابد التى عملها الإلهان اللذان يحبان والدهما وهما اللذان أنجباه والتى عملها الإلهان المحسنان اللذان ما وجد له والتى عملها الإلهان الأخوان اللذان أوجدا ما أوجدا له والتى عملها الإلهان المخلصان وأباء أبائهما .

١٤ - إقامة مجموعة من تماثيل للملك وللآلهة المحليين فى كل المعابد وتمجيدها :

ويجب أن يقام تمثال للملك ، بطليموس ، العائش أبدياً، الإله الظاهر، صاحب الأعمال الطيبة وهو الذى يسمى ، بطليموس ، حامى مصر . ومعنى ذلك ، بطليموش ، الذى يحمى مصر، مع تمثال إله المدينة، وفى يده سيف النصر فى المعبد ، وكذلك فى كل معبد فى الموضع البارز منه ، على أن يعمل على حسب الطراز المصرى . وعلى الكهنة أن يقوموا للتماثيل بصلوات ثلاث يومياً فى كل معبد . ويجب أن توضع أمامها أدوات المعبد، وأن يقوموا لها بأداء الأشياء الأخرى كما يجب، وكما كانت تعمل للآلهة الأخرى فى الأعياد والمواكب فى الأيام المذكورة .

١٥ - إقامة تمثال من الخشب للملك فى داخل محراب من الذهب :

وكذلك يجب أن يظهر تمثال ، بطليموس ، الإله الظاهر صاحب الأعمال الطيبة ابن ، بطليموس ، والملكة ، ارسنوى ، وكذلك للإلهين اللذين يحبان والدهما فى مقصورة من الذهب، وكذلك فى كل معبد .

ويجب أن يوضع فى قدس الأقداس مع المقاصر الأخرى المصنوعة من الذهب . وعندما تقام الأعياد الكبيرة التى يظهر فيها الآلهة يجب أن تظهر فيها مقصورة الآله الظاهر صاحب الأعمال الطيبة . ولأجعل أن تعرف المقصورة الآن وفى المستقبل يجب أن يوضع عليها عشرة تيجان من الذهب الخاصة بالملك، يثبت عليها صل كما هى الحال فى التيجان التى على هيئة صل فى مقاصير أخرى؛ ولكن يوضع فى وسطها التاج المسمى « سنحمتى » (= التاج المزودج) وهو الذى يلبسه الملك عندما يظهر فى معبد « منف » عندما كان يقوم بما يجب أن يعمله عند تسلم مقاليد الحكم. وسيوضع على السطح المربع حول التيجان بجانب التاج الذهبى المذكور بردية و بشنينة ؛ كما ينبغى وضع نسر على سلة، وتحته على اليمين بشنينة فى الغرب (أى على اليمين) فى الركن على المقصورة الذهبية . ويجب أن توضع سلة على بردية فى الشرق (على اليسار) ومعنى ذلك : الملك الذى جعل الوجهين القبلى والبحرى مضيئين .

١٦ -إقامة عيد على شرف الملك :

واتفق أن اليوم الثلاثين من الشهر الرابع من فصل الصيف هو اليوم الذى ولد فيه الملك واحتفل فيه كذلك بولادته . ويعتبر عيداً، يحفل به دائماً فى المعابد ؛ وكذلك كانت الحال فى اليوم السابع عشر من الشهر الثانى من فصل الفيضان، وهو الذى كان يقام فيه الحفل بتسلم وظيفة الإمارة وكان فعلا بداية الشئ الطيب الذى يشترك فيه الناس أى يوم ولادة الملك ويوم تسلمه الملك . وعلى ذلك يكون هذان اليومان أى يوم ١٧ ويوم ٣٠ من كل شهر هما باستمرار عيدين فى كل معابد مصر . ويجب

أن تقدم فيهما القربات المحروقة والقربات السائلة كما هو متبع فى الأعياد الأخرى فى كل من العيدين شهرياً . وما يقدم قربات يجب أن يكون قاصراً على الذين يخدمون فى المعبد .

ويجب أن يحفل بعيد وبوليمة فى المعابد فى مصر قاطبة للملك « بطليموس » العائش أبدياً الإله الظاهر صاحب الأعمال الطيبة على التوالى سنوياً فى اليوم الأول من الشهر الأول من فصل الفيضان لمدة خمسة أيام يتوج فى خلالها بالأكاليل وتقدم له القربات المحروقة والقربات السائلة والأشياء الأخرى اللائقة .

١٧ – لقب جديد لكهنة الملك :

وكهنة المعابد المميزون خاصة فى كل معبد وهم الذين يجب أن يكونوا خداماً للإله الظاهر صاحب الطيبات الحسنة تقيد أسماؤهم بعد أسماء الكهنة الآخرين . ويجب أن يكتب لقبهم فى كل الوثائق الرسمية، ويجب أن تحفر وظيفة كاهن الإله الظاهر صاحب الطيبات الحسنة على أختامهم.

١٨ – يجب كذلك على الأفرادا العاديين أن يعلنوا الأمجاد المذكورة أعلاه

وينبغى السماح كذلك للأفراد العاديين لمن أراد منهم أن يظهر صورة المحراب الذهبى المذكور أعلاه للإله الظاهر صاحب الطيبات الحسنة فيجعلونها توضع فى بيوتهم، وكذلك ينبغى لهم أن يقيموا الأعياد والولائم التى وصفت أعلاه (فى كل شهر) وفى كل سنة وبذلك يمجدون – أهل مصر – الإله الظاهر صاحب الطيبات الحسنة كما هو المتبع عمله .

١٩ - نشر المرسوم

وينبغي أن ينقش هذا المرسوم على لوحة من الحجر الصلب بالخط الهيروغليفي وبكتابة الرسائل (الديموطيقي) وبالخط الأيوني في المعابد التي من الدرجات الأولى والثانية والثالثة بجوار تمثال الإله الملك العائش أبدياً .

النص اليوناني

في حكم الواحد الصغير (الملك) الذي تسلم ملكه من والده سيد التيجان ، الفاخر الذي ثبت مصر، والتقي نحو الآلهة، والمتفوق على أعدائه، ومن أصلح الحياة المتحضرة للإنسان، سيد الأعياد الثلاثينية (حب سد) وهو مثل « هفايستوس » (Hephaistos) العظيم (= رع) ؛ الملك العظيم للوجهين القبلي والبحري، نسل الإلهين « فيلوباتور »، ومن وافق عليه « هفايستوس » (يشير هنا إلى الزيارة المقدسة التي زارها الملك لقدس الأقداس بمعبد بتاح عند حفلة التتويج) ومن منحته الشمس النصر (يقصد هنا الإله « رع ») ؛ والصورة الحية للإله « زيوس » (= الإله آمون عند المصريين) ابن الشمس « رع » (بطليموس العائش أبدياً محبوب بتاح)، في العام التاسع عندما كان « أيتوس » (Aetus) ابن « أيتوس » كاهن الإسكندر والإلهين المخلصين « سوتروس » والإلهين المتحابين، والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما، والإله « ابيفانس أيو كرستوس » ؛ وحينما كانت « بيرها » (Pyrrha) ابنة « فيلينوس » (Philinus) الكاهنة حاملة هدية النصر « لبرنيكي » المحسنة، وعندما

كانت « أريا » (Areia) إبنة ديوجنيز (Diogenes) الكاهنة حاملة السلة الذهبية للملكة « ارسنوى » محبة أخيها، وعندما كانت « إرينى » (Irene) إبنة « بطليموس » كاهنة « ارسنوى » محبة أبيها، فى الرابع من شهر « كسانديكوس » (Xandikos)، وعلى حسب (التأريخ المصرى يكون الثامن عشر من أمشير) .

مرسوم

إن رؤساء الكهنة والكهنة خدمة الإله، وأولئك الذين فى المحراب الداخلى (= قدس الأقداس) لألباس الآلهة، وحاملى الريش والكتاب المقدسين، وكل الكهنة الآخرين الذين أتوا معاً للملك من المعابد التى فى أنحاء البلاد إلى « منف » من أجل عيد تسلمه الملك، وهو عيد «بطليموس» العائش أبدياً محبوب بتاح والإله « ابيفانس » (= الظاهر) «ايوكاريستوس» (= الذى أشياؤه الطيبة حسنة) الذى تسلمه من والده، قد اجتمعوا فى المعبد بمنف فى هذا اليوم وأعلنوا : لما كان الملك « بطليموس » العائش أبدياً محبوب « بتاح » الإله « ابيفانس يوكاريستوس » بن الملك «بطليموس» والملكة « ارسنوى » (الثالثة) الإلهين المحبين لوالدهما، قد أفاد كثيراً المعابد والذين يسكنونها، وكذلك أولئك الذين هم رعاياه بوصفه ملك انحدر من إله وإلهة (مثل « حور » بن « إزيس » و « أوزير » الذى انتقم لوالده « أوزير ») وبوصفه يميل بالإحسان نحو الآلهة، فانه قد أهدى المعابد دخلا من المال والغلال وقام بمصاريف كثيرة ليجعل مصر فى فلاح، ولتأسيس المعابد، وكان كريماً بكل موارده وبالدخل والضرائب التى كان يجبها من مصر . فقد نزل عن بعضها قاطبة وخفف بعضها، وذلك

لأجل أن يصبح فى استطاعة الناس (يقصد المصريين الأصليين) وجميع الباقين (يقصد المقدونيين واليونان والأسيويين الذين يسكنون البلاد المصرية) فى سعادة مدة حكمه . وقد نزل عن جميع ديون التاج التى كانت ديناً له فى مصر وسائر دولته . وكانت كثيرة العدد، وكذلك أعفى أولئك الذين كانوا فى السجون والمتهمين منذ زمن طويل والتهم التى نسبت إليهم . وقد أمر بأن يبقى داخل المعابد وكل الهبات السنوية التى تمنح لها من الغلال والمال وكذلك النصيب الخاص بالآلهة من النبيذ والأرض والحدائق وأملاك الآلهة الأخرى فى حوزتهم كما كانت فى زمن والده . وكذلك وصى فيما يخص الكهنة بألا يدفعوا ضريبة التدشين أكثر مما كان مقرراً عليهم زمن والده وحتى السنة الأولى من حكمه، وأعفى أعضاء الطوائف المقدسة من السفر سنوياً فى النهر إلى الإسكندرية؛ وأوصى بأن الخدمة فى الأسطول لا يكون لها وجود بعد، وأن ضريبة نسيج الكتان الملكى التى تدفعها المعابد للتاج تخفض بمقدار الثلثين، وكذلك أية أشياء مهما كانت قد أهملت فى الأزمان فانها قد أعيدت إلى حالتها الطبيعية، على أن تكون هناك عناية بكيفية دفع الضرائب التقليدية للآلهة، وكذلك فانه وزع العدالة مثل ما فعل « هرميس» (= تحوت) المزدوج العظمة؛ وكذلك أمر بأن أولئك الذين عادوا من طائفة المحاربين وسائر أولئك الذين ضلوا السبيل فى ولاتهم فى زمن الاضطرابات يجب عند عودتهم أن يحتلوا أملاكهم القديمة ، وذلك على شرط أن الفرسان والمشاة وكذلك السفن يجب أن يرسلوا على أولئك الذين يهاجمون مصر بحراً وبراً ويخضعوهم لغرامة عظيمة من المال والغلة، لأجل أن تكون

المعابد وكل ما هو فى البلاد يصبح فى أمان (المقصود بالذين يهاجمون مصر هنا هم السليوكيون الذين على رأسهم « انطيوخوس » الثالث) . هذا وكان الملك قد زحف على « ليكوبوليس » الواقعة فى المقاطعة البوصيرية (المقاطعة التاسعة من مقاطعات الوجه البحرى) وهى التى كانت قد أحتلت وحصنت لمقاومة حصار محضر بمستودعات أسلحة وبكل الموارد الأخرى، ولما رأى أن أمد العصيان كان طويلا بين الرجال الكفرة المتجمعين فيها، وهم الذين كانوا قد ألحقوا ضرراً بالغاً بالمعابد وبكل سكان مصر، فانه بعد أن عسكر أمامها أحاطها بالتلال والخنادق والتحصينات المنيعة؛ ولكن لما كان النيل قد ارتفع ارتفاعاً عظيماً فى السنة الثامنة (من حكمه) وقد كان فى العادة يفيض على السهول فانه منعه وذلك بسده عند نقط عدة عند فتحات مجارى المياه، وقد أنفق على ذلك مبلغاً من المال ليس بالقليل . هذا وقد أقام على حراستها فرساناً ومشاة (يقصد هنا أما السدود وإما جيشه الذى وضعه ليحاصر الثوار بعد أن حجز الفيضان بعيداً وكان الثوار أملوا أن يرفع فيضان النيل الحصار) ؛ وفى الحال استولى على البلدة بالهجوم وقضى على كل الرجال الكفرة الذين كانوا فيها، وذلك مثلما أخضع سابقاً « هرميس » و « حور » بن « ازيس » و « أوزير » العصاة فى نفس الإقليم . أما مضللو العصاة فى زمن والده وهم الذين عاثوا فى الأرض فساداً وألحقوا أضراراً بالمعابد، فان هؤلاء عندما أتى إلى «منف» عاقبهم انتقاماً لوالده ولبلاده بما يستحقون عندما وصل إلى هناك ليؤى الأحفال اللازمة لتسلمه التاج، وقد نزل عما كان يستحقه التاج من المعابد حتى العام الثامن (من حكمه) ، ولم يكن هذا بالقدر الصغير من الغلال

والمال، وكذلك الغرامات عن نسيج الكتان الملكى الذى لم يورد للتاج، وكذلك الغرامات عن تكاليف تحقيق ما قد ورد لنفس المدة . وكذلك أعفى المعابد من ضريبة أردب عن كل أرورا من الأرض المقدسة وجرة النبيذ عن كل أرورا من أرض الكروم .

أما العجلان « أبيس » ، و« منفيس » فانه منحهما هبات كثيرة وكذلك الحيوانات الأخرى المقدسة فى مصر أكثر مما منحه أى ملك آخر قبله . هذا مع تقدير ما كانت تملكه (الالهة) من كل وجه . وقد أعطى لدفنها ما هو مناسب بسخاء وفخامة؛ وكذلك ما كان يدفع بصفة منتظمة لمحاريبهم الخاصة، بالإضافة إلى الأضاحى والأعياد وكل الشعائر المتبعة. وكذلك أبقى على أمجاد المعابد ومصر على حسب القوانين، وكذلك زخرف معبد « أبيس » بالأشغال الثمينة منفقاً عليه الذهب والفضة والأحجار الثمينة مبلغاً ليس بالقليل .

وأسس معابد ومحاريب وموائد قربان ؛ كما أصلح ما يحتاج إلى إصلاح بروح إله محسن فى الشؤون الخاصة بالدين؛ وقد كشف عن أشرف المعابد (أو المواقع) وجددها فى مدة ملكه كما كان يليق . ومكافآت لكل هذه الأشياء منحته الآلهة الصحة، والنصر والقوة وجميع الأشياء الطيبة الأخرى، وملكه يكون باق له ولأولاده أبدياً مع الحظ المواتى : لقد وجد من الخير على كهنة جميع المعابد فى البلاد أن يزيدوا كثيراً ما هو موجود من أمجاد الملك « بطليموس » العائش أبدياً، محبوب « تاج » الإله « ابيفانس - يوكاريستوس » وكذلك أمجاد أبويه الإلهين « فيلوباتور » ، وأجداده الإلهين « يؤرجتيس » ، والإلهين « ادلفوس »،

والإلهين « سوترس » ، وأن يقيموا للملك « بطليموس » العائش أبدياً ، محبوب « بتاح » الإله « ابيفانس – يوكاريستوس » وكذلك أمجاد أبوية الإلهين « فيلوباتور » وأجداده الإلهين « يؤرجتيس »، والإلهين « ادلفوس »، والإلهين « سوترس »، وأن يقيموا للملك « بطليموس » العائش أبدياً، محبوب بتاح، الإله « إبيفانس – يوكاريستوس » وكذلك أمجاد أبوية الإلهين « فيلوباتور »، وأجداده الإلهين « يؤرجتيس »، والإلهين « ادلفوس »، والإلهين « سوترس »، وأن يقيموا للملك « بطليموس » العائش أبدياً، محبوب بتاح ، الإله « إبيفانس – يوكارستوس »، تمثالا في أبرز مكان من كل معبد وسيسمى (تمثال) « بطليموس » المنتقم لمصر، وبجانبه سيقام تمثال الإله الرئيسى للمعبد وفى يده رمز النصر الذى سيصنع على حسب الطراز (المصرى) . وأن الكهنة سيقدمون تحياتهم للتماثيل ثلاث مرات يومياً وكذلك يضعون عليها الزينة المقدسة (أى يلبسونها) ويؤدون الأمجاد الأخرى العادية، كما تؤدى للآلهة الآخرين فى الأعياد المصرية، وأن يقام للملك « بطليموس » الإله « إبيفانس – يوكاريستوس » المتناسل من الملك « بطليموس » والملكة « ارسنوى » الإلهين المحبين لوالدهما، تمثالا ومحراباً من الذهب فى كل من المعابد، على أن ينصب فى الحجرة الداخلية (= قدس الأقداس) مع المحاريب الأخرى، وفى الأعياد العظيمة التى تحمل فيها المحاريب فى موكب سيحمل محراب الإله « ابيفانس – يوكاريستوس» فى الموكب معها . ولأجل أن يكون مميزاً عنها الآن وإلى الأبد فانه سيوضع على المحراب عشرة التيجان الذهبية الخاصة بالملك وهى التى سيوضع عليها صل كما هى الحال فى التيجان التى على شكل صل، وهى

التى توجد على محاريب أخرى، ولكن سيوضع فى وسطها التاج المسمى سخمت (التاج المزدوج) وهو الذى لبسه عند ما ذهب إلى معبد « منف » ليؤدى فيه أحفال تسلم الملك . وسيوضع على سطح المربع الذى حول التيجان بجانب التاج السالف الذكر تعاويذ ذهبية (وسينقش عليها أنه محراب الملك الذى يجعل الوجه القبلى والوجه البحرى مشرقين (أو ظاهرين) .

ولما كان اليوم الثلاثون من شهر « مسرى » وهو الذى احتفل فيه بيوم ميلاد الملك وكذلك اليوم ١٧ من شهر بابه وهو اليوم الذى تسلم فيه الملك من والده، فانهما قد أعتبرا أسماء أيام فى المعابد . ولما كانا مناسبتين لرحمات عظيمة، فانه سيقام عيد فى المعابد فى كل مصر فى هذين اليومين من كل شهر، وسيكون فيهما أضاحى وقربات سائلة، وكذلك كل الأحفال المعتادة فى كل الأعياد الأخرى .

وسيقام عيد للملك « بطليموس» العائش أبدياً محبوب « بتاح » الإله « ابيفانس – يوكاريستوس » سنوياً فى كل معابد البلاد من أول شهر توت لمدة خمسة أيام . وسترتدى فيها أكاليل وتؤدى أضاحى والتزامات أخرى عادية، وسيدعى كهنة الآلهة الأخرين كهنة الإله « ابيفانس – يوكاريستوس » بالإضافة إلى أسماء الآلهة الآخرين الذين يقومون بخدمتهم . وستدون فى الوثائق الرسمية طائفة كهانته، (وتحفر على الخواتم التى يلبسونها)، وسيسمح للأفراد العاديين أن يقيموا العيد ويقيموا كذلك المحراب السالف الذكر ويكون عندهم فى بيوتهم، ويؤدون الاحترامات المعتادة فى الأعياد شهرياً وسنوياً ، وذلك لأجل أن يكون

معروفاً للكل أن رجال مصر يعظمون ويمجدون الملك « ابيفانس - يوكاريستوس » على حسب القانون .

وهذا المرسوم سيدون على لوحة من الحجر الصلب بالأحرف المقدسة والوطنية واليونانية ويقام فى كل المعابد التى من الدرجة الأولى والثانية والثالثة عند تمثال الملك العائش أبدياً .

كما أن نقش لوحة بيثوم « لوحة الوالى » يحتوى على الكثير من المعلومات الخاصة بالحياة الاقتصادية والاجتماعية فى اوائل العصر البطلمى .

ويقدم لنا العصر الرومانى نقوشاً كثيرة، منها نقش جزيرة فيلة وقد أمر بنقشه كورنيليوس جايوس وهذا النقش له أهمية خاصة حيث أنه يوضح معالم السياسة الرومانيه لحماية حدود الامبراطورية الخبوبية ونصه على النحو الآتى :-

« جايوس كورنيليوس جاللوس بن جنايوس، الفارس الرومانى، أول وال على الاسكندرية ومصر بعد اندحار الملوك على يد قيصر بن المؤله، وقاهر ثورة طيبة فى ١٥ يوما، هزم خلالها العدو مرتين فى معركة عامة ، واستولى عنوة على ٥ مدن : بوريسيس وكبتوس وكيراميكى وديوسبوليس مجالى وأوفيون، وأسر زعماء تلك الثورات، وقاد الجيش الى ماوراء شلال النيل، وهو مكان لم تبلغه من قبل قوات الشعب الرومانى أو ملوك مصر، واخضع طيبة ، مصدر الذعر لجميع الملوك ، واستمع الى سفراء ملك الاثيوبيين عند فيلاى، وقبل ذلك الملك تحت الحماية، وعينه

على ترياكنتاسخوينوس الأثيوبية . وقد قدم (هذا النصب) هدية للآلهة القومية وللنيل الذى اعانه ».

ومن النقوش الهامة نقش قرار الوالى تيبريوس يوليوس الاسكندر الذى عالج فيه مثالب الموظفين وسوء تصرفاتهم . وهو يعد وثيقة هامة للباحث فى تاريخ مصر الرومانية إبان القرن الأول الميلادى. ونصه كما يلى : -

« جوليوس ديمتريوس، ستراتيجوس الواحة الطيبية (الخارجه والداخله) أرسلت اليك نسخة من مرسوم مولانا الوالى تيبريوس يوليوس الاسكندر التى بعث بها الى حتى تكون على علم وحتى تستمتع بكرمه . فى العام الثانى من حكم لوكيوس ليفيوس أغسطس سولبيكيوس جالبا الامبراطور فى أول شهر فاؤفى و (النقش) نذر لچوليا أو غسطسا .

مرسوم من الوالى تيبريوس يوليوس الاسكندر . بينما أنا مشغول ومهتم للغاية بالحفاظ على الوضع الأمثل للمدينة وهى تتمتع بالأعمال الخيرة للأباطرة وبالابقاء على الهدوء والسكينة فى مصر حتى تساهم بفعالية وحماس فى ضريبة الحبوب السنوية لروما (الأنونا) وفى سعادة ورخاء هذا العصر دون ضغط وعنت بمدفوعات جديدة ظالمة، وبينما قدمت الى توسلات - منذ لحظة قدومى للمدينة (الاسكندرية) تقريبا - من ملتمسين من أكثر الطبقات ثراء هنا ومن مزارعى الريف ليس فقط فى وفود صغيرة وانما فى جماعات كبيرة تشكو من تجاوزات حديثة فأننى لم أكف - على قدر استطاعتى - عن اصلاح الأمور التى تتطلب اهتماما

عاجلا وملحا . ولكى ما يكون لديكم امل وثقة اكبر فى كل شىء يتعلق بأمنكم وسعادتكم من الامبراطور جالبا أغسطس الذى أتى لنا بالضياء من أجل سلامة وأمان الجنس البشرى كله، ولكى تعلموا بمقدار اهتمامى بالأمور المتصلة براحتكم فقد اصدرت اوامر صارمة فى حدود سلطاتى لتحديد وتنفيذ كل ما يتصل بكافة التماساتكم أما الأمور الأعقد والأكبر التى تتطلب سلطة وعظمة الأمبراطور فسوف أحيطه بها علما بكل دقة لان الالهة قد أدخرت أمن العالم لهذا العصر المقدس .

أولا وقبل كل شىء فقد قررت أن التماسكم معقول جدا فى الاحتجاج على اكراهكم على غير رغبتكم بالأضطلاع بجباية الضرائب أو استئجار الضياع خلافا للعادة التى جرى عليها الولاة، وأن قدرا غير قليل من الأذى قد لحق بكم من خلال اكراه الكثيرين منكم ممن يفتقرون الى الخبرة فى مثل هذه المسائل عندما يفرض عليهم جباية وتحصيل الضرائب . ومن هنا فإنى لم ولن اكره أحدا على القيام بجباية الضرائب أو استئجار، لاننى أعلم أنه من مصلحة الخزانة الامبراطوية ان يشارك اناس من الموسرين فى خدمتها بحماس وطواعيه بغير اكراه . وانني على يقين من أن أحدا لن يفرض فى المستقبل على المواطنين - رغما عيشهم - جباية الضرائب أو استئجار الأراضى، وانما سوف يسندون العقود لمن يقدمون أنفسهم طواعية، وبذلك نحافظ على ما جرى عليه العرف باستمرار على عهد الولاة السابقين بدلا من ان نحاكى بعض أوجه الظلم المتفرقة لاى فرد .

ونظرا لان هناك بعض الموظفين الذين نقلوا (حولوا) الى أنفسهم

ديون أناس آخرين تحت ستار الخزانة العامة وسجنوا او احتجزوا المدينيين فى سجون الدولة (العامة) فقد قررت الغاء مثل هذه الممارسات لهذا السبب نفسه وهو أن تجبى أو تحصل الديون من ملكية المدين وليس من شخص المدين ذاته وطبقا لمشيئه اغسطس المولة بها فقد أمرت بانه لا ينبغى لاحد ان يتذرع بالخزانة العامة ويحول الديون الى شخصه وهى ديون وهى ديون لم يتعاقد عليها أصلا، ولا يجوز لأى فرد بأى حال ان يحتجز أى مواطن حر أى سجن كان إلا إذا كان الأخير مجرما، ولايحتجز فى السجون العامة أى فرد إلا من كان مدينا للخزانة العامة للدولة .

وفوق ذلك، لا يجوز للخزانة العامة فى أى وقت أن تقيد العقود الخاصة التى يدخل الأفراد أطرافا فيها وعلى من يمارسون حق الحجز المسبق الا يربكوا الديون العامة بصورة غير ملائمة وقد أصدرت أوامرى بهذا الشأن أيضا : فقد وردت الى تقارير ان البعض حاول أن يلغى رهونا تمت بطريقة قانونية أو يسترد بالقوة من المدينيين ديونا (قروضا) صدرت بالفعل أو يلغى مبيعات بالاستيلاء على الملكية المباعة على أساس أن هذه الالتزامات قد دخل فيها الأفراد مع أناس تعاقدوا مع خزانة الدولة على جباية مدفوعات خاصة إما مع الاستراتيجوى أو الموظفين أو غيرهم ممن لهم التزامات تجاه الخزانة العامة . ولذلك فقد أصدرت مرسوما بأنه ما ساور الشكك الوكيل الامبراطورى أو الاويكونوموس حول أى موظف عام فعليه ان يدون اسمه فى قائمة المحظورين (فى مكتب التسجيل المحلى) أو يعلقه على الملاحتى لا يدخل أحد فى تعاقد مع مثل هذا الشخص ، أو أن يحجز على جزء من أملاكه نظير ديونه فى مكتب

السجلات (التسجيل العمومى) . واذا ما أقرض أحد مالا نظير رهن قانونى أو طالب باسترداد قرض مقدما قبل أو أن سداده أو أشترى شيئا من أى شخص لم يسجل اسمه بهذه الطريقة ولم يحجز على ملكيته فلن يكون له حق فى دعواه . أما المهور التى تخص آخرين وليست من بين ملكية الأزواج فقد أمر أغسطس المؤله وولاته بدفعها من خزانة الدولة للزوجات اللاتى أحتفظن بحقهن فى الحجز المسبق .

أما فيما يتعلق بامتيازات اعفاء وتخفيض الضرائب والتى تتضمن الرسوم المقرره على الضياع المصادرة فقد تلقيت التماسات من أولئك الذين يطلبون حماية حقوقهم بما يتفق والاعفاء الذى منحه لهم كلوديوس المؤله فى خطابة الى بوستوموس الذين يزعمون أن الأراضى المباعة من أفراد قد أدينت فيما بعد (وأرغم ملاكها الجدد على أن يدفعوا عنها الضرائب التى تدفع عن أرض الدولة) عن الفترة المنصرمة بين قرار فلاكوس ومرسوم الاعفاء الذى منحه كلوديوس المؤله . ونظرا لان بالبينوس وفيستينوس قد أعفياهما من هذه المرسوم فأننى أقتدى بقرار هذين الواليين لانه يتسق مع اعفاء كلوديوس المؤله بأن يعفى هؤلاء من الرسوم التى لم تجب بعد، ومن المؤكد أن امتياز الاعفاء أو التخفيض فى الضرائب سيبقى مصونا لهؤلاء فى المستقبل .

أما فيما يتصل بالضياع التى باعتها خزانة الدولة لافراد ثم حكم على المشترين بأن يدفعوا ايجارات عنها فى غضون ذلك، فنظرا لان فيستينوس قد أمر بأن يدفعوا الضريبة المقررة فقط فأننى قد أمرت كذلك باعفائهم من دفع الايجارات التى لم تحصل بعد وسوف يدفعون فى

المستقبل الضريبة المقررة فقط لانه من الظلم أن يطالب أولئك الذين أشتروا املاكا ودفعوا ثمنها بدفع ايجارات عن ملكية خاصة بهم كما لو كانوا من مستأجرى أرض الدولة .

وحسب اعفاءات الاباطرة فأن أهل الاسكندرية (السكندريين) فى داخل المدينة) وكذلك السكندريين الذين يقيمون فى المناطق الريفية لظروف عملهم لا يجب فرض اية أعباء عليهم ولسوف أقوم على حماية هذا الامتياز الذى طالما طالبتم به حتى لا يطلب من أى سكندرى القيام بأعباء فى الريف .

كما سيكون من بين اهتماماتى تعيين (بعض الأشخاص) فى وظائف الاستراتيجوس بعد اختبار شامل ودقيق للمرشحين وسيكون شغل هذا المنصب لفترة ثلاث سنوات .

وحين يقوم والى بالبحث والتحرى فى قضية ما ويصدر فيها حكم بالبراءة فأننى أمنع تماما أن يعرض الأمر على محكمة أخرى . وإذا أصدر اثنان من الولاة نفس الحكم فيعاقب الشخص الذى يعرض نفس الأمر للتحقيق مرة أخرى لانه عندما يفعل ذلك فأنه لا يعدو أن يختلق ذريعة للابتزاز لمصلحته أو لمصلحة موظفين آخرين . وفى الحقيقة فأن الكثيرين قد طالبوا بميزة التخلى عن أملاكهم بدلا من أن ينفقوا عليها ما يزيد على قيمتها لان نفس هذه الأمور تعرض على المحكمة فى كل تحقيق . كما أننى أصدر نفس التشريع بخصوص القضايا التى تعرض على الأبديولوجوس : فإذا تم الفصل فى الأمر بعد المحاكمة أو سوف

يفصل فيه بقرار لصالح المدعى عليه لا يكون من الممكن للمدعى أن يدلي بمعلومات حول هذه النقطة أو يعرضه على المحكمة، فأن فعل يعاقب بلا رحمة لانه اذا استمرت القضايا تعرض على المحاكم مرة بعد أخرى بعد أن يتم الفصل فيها الى أن يحصل أحدا الأطراف على حكم باء دانة الطرف الأخر فلن يقف الابتزاز عند حد .

والآن ونظرا لان المدينة تكاد تكون خالية من السكان بسبب كثرة الوشاة والمبلغين وقد تمزقت كل البيوت، فأنني أصدر أمرا مطلقا أنه إذا ما قدم مدعى شكوى أمام الايديولوجوس كمحام عن شخص آخر (فيجب أن يعلم موكله) ؟ أنه هو أيضا قد لا يكون بمناى عن الخطر . فإذا قام شخص بتقديم ثلاث دعاوى باسمه وأخفق فى اثبات الحالة فلا يكون من حقه اقامة الدعوى مرة أخرى وتصادر نصف ممتلكاته ، لانه من الظلم الفادح أن يقوم شخص بتعريض ممتلكات الاخرين وامتيازاتهم المدنية للخطر ويكون هو نفسه خاليا من المسئولية . وسوف أستحث وألح بكل وسيلة على أن تصحح مقننة الايديولوجوس بصفة مستمرة الأمور والقواعد المستحدثة التى تخالف هبات الأباطرة وسوف أصدر تعليماتى فى هذا الصدد حتى يكون واضحا للجميع أننى قد عاقبت الوشاة المدانين على قدر جرمهم .

وأننى لمدرك أن مصر تشغل قدرا كبيرا من اهتمامكم حيث تستمدون منها كل أسباب عيشكم وحياتكم ولذلك يهمكم ان تستمر فى ازدهارها، ولذلك عملت على اصلاح التجاوزات باقصى ما فى استطاعتى. فقد ناشدنى كثير من المزارعيين فى أرجاء البلاد بأكملها

وأظهروا (أوضحوا) لى أنهم قد ابتلوا بالكثير من التقديرات الجديدة رغم أن الضرائب التى كان عليهم دفعها سواء عينيا أو نقدا كانت واضحة وكان من المستحيل عليهم أن يرتبطوا بأى أعمال جديدة حتى وان رغبوا فى ذلك . ووجدت أن مثل هذه التقديرات وما شابهها تمتد ليس فقط الى الاقليم الطيبى وانما أيضا الى نومات النيل السفلى بلا أن ضواحى المدينة (الاسكندرية) نفسها قد حل بها هذا الأمر : وعلى وجه التحديد الارض المسماة بـ « أرض السكندريين » والقسم المريوطى . من هنا فقد أصدرت اوامر للاستراتيجوى فى النومات أنه إذا ما كانت هناك أية تقديرات جديدة على مدى السنوات الخمس الأخيرة لم تفرض من قبل على كافة الأقاليم أو بشكل عام فى النومات والتوباخيات أو القرى وتمت الجباية على هذه التقديرات فيجب اعادتها الى التقدير الذى كانت عليه من قبل وتتوقف الجباية على أساس التقدير الجديد ، وعليهم الغاء كافة الأفعال والقضايا المترتبة على هذه الجباية الاضافية .

وقد راجعت السلطات اللا محدودة للمحاسبين حيث يتهمهم الجميع بتدوين الكثير والكثير من الأمور غير القانونية على هواهم، ومن هنا فقد كونوا ثروات وأغتنوا بينما خربت مصر . والان فأننى أحذر الموظفين المذكورين الا يقوموا باعداد سجل عام للتقدير من خلال القياس على اماكن أخرى (فى النومات المختلفة) كما أصدر تعليماتى لحكام الاقاليم الا يتسلموا شيئا من المحاسبين بغير تصريح من الوالى . أما بالنسبة لبقية الموظفين فإذا ما ثبت أنهم أعدوا سجلات زائفة وغير ملائمة يكون لزاما عليهم ان يعيدوا للمواطنين مقدار المدفوعات التى حصلوها ويدفعوا مقدار مماثلا للخزانة العامة .

ومن الأمثلة الأخرى على هذه الممارسات التى تتسم بالغش والخداع هو ما يطلق عليه تحصيل الضرائب بالمتوسط وليس بما يتفق والفيضان الفعلى للنيل وانما من خلال حسابات متوسطات بعض الفيضانات السابقة، ولكن هناك ما هو أكثر عدلا من الحقيقة المجردة . لذلك فلندع الناس يعيشون فى ثقة ويزرعون اراضيهم بحماسة وغيره وهم على يقين بان جباية الضرائب منهم سوف تتم وفقا للحالة الحقيقية للفيضان ولارضهم المغطاه بمياه الفيضان وليس بحسب اهواء أولئك الذين يزيفون السجلات بحساب المتوسطات . وإذا ما أدين أحد بالتزييف (التزوير) ، فلسوف يدفع ثلاثة أضعاف .

ويجب ألا يفزع بلا طائل أولئك الذين أضطربوا عند سماعهم عن مسح الأرض القديمة التابعة لزمام الاسكندرية وفى الاقليم المنيليتى والتى لم تمتد اليها يد مساح فلن يجرؤ أحد على مسح هذه الأرض أو فرض ضريبة عليها لان حقوقها الأبدية يجب أن تستمر كما أصدر هذا الشرط نفسه فيما يتعلق بالاضافات التى ألحقت الأرض حتى لا تفرض بصددها أية ضرائب جديدة .

أما عن شكواكم القديمة العهد والتي تلحون فيها على حتى أنهم لم ينجزوا شيئا بخلاف اثراء الموظفين وقمع الناس فلسوف اكتب للامبراطور قيصر أغسطس واحيطه علما فهو وحده فوق كل الناس هو القادر على اقتلاع مثل هذه الممارسات من جذورها تماما كما أن عطفه المستمر ورعايته هما لامننا وسلامتنا جميعا .

العام الأول من حكم لوكيوس ليفيوس سولبيكيوس جالبا قيصر أغسطس الامبراطور / ١٢ أبيب .

ب - نقوش ومخربشات الجزيرة العربية :

تعد نقوش شبه الجزيرة العربية فى جنوبها وشمالها وشرقها وغربها وفى خارجها فى مصر والحبشة وبعض جزر اليونان وجزيرة كوس وايطاليا المصدر الوثائقى الأول الذى يعتمد عليه الباحثون فى دراسة تاريخ شبه الجزيرة العربية القديمة وعلاقاتها بالقوى الخارجية . ويزيد عدد النقوش اليمنية على خمسة آلاف نقش، وعشرات الآلاف من النقوش والمخربشات القصيرة على واجهات الصخور فى شمالى بلاد العرب بين ثمودية ولحيانية وسبئية وصفوية ونبطية هذا فضلاً عن النقوش الآشورية والبابلية التى قدمت لنا معلومات عن علاقة بلاد العرب بكل من الدولة الآشورية والبابلية ، ويمكن للباحثين اضافة النقوش اليونانية .

ويستخلص الباحث من هذه النقوش والمخربشات بعض الأحوال الداخلية للممالك العربية القديمة ونظم الحكم فيها وبعض قوانينها منها، ففى محل السوق القديم بتمنع عاصمة قتبان هجر كحلان حالياً، تقوم إلى اليوم مسلة صغيرة نقش على ثلاثة من جوانبها تعاليم خاصة بسوق المدينة واسمه سوق شمر، ويبين هذا النقش إجمالاً الرسوم المفروضة وفئات التجار، وفيما يلى نص لهذا النقش من لغة المسند باللهجة القتبانية استناداً إلى قراءة كل من « ماريا هوفنز وألفرد بيستون » مع قراءة خاصة منقحة :

« هكذا قضى وشرع شهر هلال ابن يدع أب ملك قتبان وأهل قتبان بتمنع وبرم ووادييى حوكم وولد عم وحاكم تمنع وحاكم ولد عم - إن من يشتغل بالتجارة فى تمنع وبزم، ومهما كانت بضاعته يجب أن يدفع ضريبة السوق فى تمنع، وأن يكون مالكا لدكان فى سوق شمر . وإن من

يأتى إلى قتبان ببضاعة .. يجب أن يتملك دكاناً حتى يحق له أن يزاول البيع والشراء فى « سوق » شمر أيا كانت قبيلته . إن من يفتح دكاناً يكون من حقه أن يشترك فى التجارة مع غيره من أصحاب الدكاكين، ولا يجوز لعاقل السوق أن يتدخل فى ذلك . وعندما يعلن عاقل سوق شمر عن حاجته إلى باعة قتبانيين متجولين بين القبائل ، نظراً لانشغاله ببيع بضاعته فى دكانه بسوق شمر فإنه يجوز حينئذ لأهل قتبان أن يتاجروا على حسابهم الخاص بين القبائل .. يغرم عاقل السوق فى حالة تبليغه كل تاجر يمارس غش الآخرين خمسين قطعة ذهبية ، كما يغرم المبلغ نفسه كل أجنبى يحاول أن يتجر فى بلاد قتبان .

لا تسرى ضريبة بيع الحبوب فى عمليات البيع والشراء بين أهل قتبان ، على أن أداء هذه الضريبة واجب على غيرهم ، وتدفع هذه الضريبة بالعملة القتبانية بالاضافة إلى الضريبة الأساسية دفعة واحدة . يجب على كل قتبانى أو معينى أو أى مقيم آخر فى تمنع يؤجر بيته أو حجرة إلى صاحب دكان، أن يدفع ضريبة السوق إلى ملك قتبان من بضاعة التاجر عينها ».

وفى حالة كون بضاعة التاجر لا تفى بقيمة الضريبة المقررة، يجب على صاحب البيت أن يستوفى الضريبة من ماله الخاص ، تحظر التجارة أياً كان نوعها من قبل دافعى الضرائب فى السوق بقصد التعامل مع غير قتبانى أو سفلى (من ذى سفل) حرصاً على حقوق أهل قتبان العادلة وطبقاً لما شرعه ملك قتبان . يجب على كل من يتاجر بالجملة فى تمنع أن يعهد إلى باعة تجزئة عند تسويق بضاعته فى أرض قتبان .. تحظر التجارة « فى السوق » ليلاً حتى الصباح . لملك قتبان حق الاشراف على كل بضاعة تمر فى أرضه . فليدعم كل ملك هذا القانون .

وعرفنا من النقوش ايضا أن المرأة شغلت منصب رئيس الدولة فى شمالى الجزيرة العربية مثل الملكات زبيبه وشمس وتعلخونو وغيرهن ...، كما تقدم لنا النقوش معلومات فياضة عن القوانين والعبادات المختلفة السائدة فى مناطق شبه الجزيرة العربية . فالكثير من نقوش جنوب الجزيرة العربية هى عبارة عن تقديم نذور من قبل الاشخاص الى الآلهة مثل المقه وعشتار وشمس . ولا يكاد يخلو نقش من ذكر اله أو الهة . ويمكن تقسيم النقوش اليمنية الى خمس مجموعات وهى على النحو التالى : -

١ - نقوش العبادات، ٢ - نقوش المعاملات، ٣ - نقوش المنشآت العامة والخاصة، ٤ - نقوش الحروب، ٥ - نقوش القبور .

ونحاول الأن أن نذكر أمثلة من تلك النقوش فلدينا نقش يذكر قانون محتواه انه اذ حدث أن جرح أحدهم آخر خلال زيارة معبد (حلتان معبد الاله عثتر (نجمة الصباح) فينبغى أن يدفع أرشا بعد القسامة فاذا سال الدم على الملبس فى جرح فى اليد فعليه أن يدفع معينا لسدنة المعبد ومبلغاً آخر للكهان ، واذا لم يسل الدم فعليه أن يدفع مبلغاً أقل من ذلك .

ويشير نقش آخر عثر عليه فى مآرب إلى أن رجلين أحدهما يدعى مشنوم أى مشنوء والآخر ريبم أى ريبب من قبيلة اسم أو رسام ومن موالى بنى عثكلان قدماً للإله المقه بعل المعبد (لأوام) خمسة تماثيل ذكوراً وواحداً انثى حمداً على أن رزقا خمسة صبيان وصبيه من انثاهما (امراتهما) شان نسر . وهذا النقش يكشف عن زواج المرأة لاكثر من رجل فى اليمن العديم وهذا النوع من الزواج يدعى زواج المشاركة أو الرهط يشترك فيه عدة رجال بزوجة واحدة .

ويشير نقش ثالث يسجل شراء بعض الاشخاص لمنزل حسب القواعد والقوانين المرعية التى كانت سائدة فى عهد الملك. شهرياجل يهرجب من ملك قتبان وعمه الوصى على العرش فرع كرب ، والتى تباركها الآلهة ، النقش يعدد الآلهة ، ويستخلص الدارس من النقش معلومات عن آلهة قتبان وعن بعض المبانى وتفصيلاتها أى غرفها وملحقاتها، ونظام تسجيل العقارات .

ولدينا من نقوش الحروب، وفيها الكثير من المبالغة، ومنها نقش من عهد الملك شمر يهرعش. نقشه ريمان ذو خرفر قائد مدينة صعدة (عاقب) يذكر فيه أن ملكه المذكور بعثه إلى وسط الجزيرة لغزو مالك بن كعب ملك الأزد (ازد السراة) مرتين، ثم واصل سيره بعد ذلك إلى قطوسف وكوك مدينتى فارس والى أرض تنوخ وعاد من مهماته كلها بسلام.

ونقوش القبور تشير إلى قبور علية اليوم فتذكر اسم صاحب القبر وربما ترسم أيضاً صوراً لبعض القرابين المقدمة كالبخور وغيره .

ولدينا مجموعة طيبة تلقى الضوء أيضاً على علاقات الجزيرة العربية بالقوى المجاورة . فتشير بعض النقوش إلى علاقات عرب الشمال مع الأشوريين والبابليين ويعود اقدمها إلى عهد الملك الأشورى شلنصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ق.م).

وآخر إلى عهد نابوسنيد (٥٥٥ - ٥٣٩ ق.م) آخر ملوك الدولة

البابلية (كلدانية) . وفى نقش يوضح العلاقة بين الملك أشوربا نيبال ٦٦٨ / ٦٣٣ ق.م ونعرف من النقش أن الملك قد قام بحملة على يوانع ملك العربية وذلك لتجاهله له وعدم ارساله الجزية المقدرة عليه، ويصف الملك الأشورى سير تلك الحملة وتفاصيل المعركة ويختم نقشه بانه يذكر أنه انتصر على يوانع وسكان العربية الذين ثاروا معه وانه سحق هؤلاء الثوار – وأحرق خيامهم، أما يوانع نفسه فقد فر الى أرض النبط.

ويستخلص الباحث من هذا النص العلاقة بين الأشوريين والعرب فى شمالى شبه الجزيرة العربية، والعلاقة عموماً كانت لصالح الآشوريين وان هذا الملك كان ربما شيخ لقبيلة قوية أو لمجموعة قبائل ، وكان على علاقة طيبة مع الانباط فى الغرب.

ويوجد لدينا نقش آخر عثر عليه فى مصر من العصر البطلمى (٣٠١ – ٣٠٠ ق.م) ودون بالخط العربى على تابوت التاجر المعينى زيد ايل ، ويتحدث هذا التاجر عن معاملاته مع كهنة المعابد المصرية ،فكان يقدم لهم مقادير من المر وقصب الطيب مقابل اقمشة مصرية، وقد استخدم سفينة فى استيراد هذه السلع العربية ، كما تشير إلى دين عليه يستحق الاداء فى شهر هاتور، ويذكر انه قد وفى لكل ديونه فى شهر كيهك وينهى التاجر حديثه بنوع من الدعاء إلى الآلهة يبدو فيه انه يبهتل اليها لكى تضفى حمايتها على تابوته ويجمع فى هذا الدعاء بين الإله المصرى أوزير حابى وآلهة مسقط رأسه . ويستخلص الدراس من هذا النقش عدة

أمور منها مايلقيه من ضوء على نشاط اليمنيين التجارى فى مصر ابان العصر البطلمى ، وعلى حركة استيطانهم فى مصر واندما جهير فى الحياة المصرية، ويشير أيضاً إلى أن الملاحة البحرية فى البحر الأحمر لم تكن حكراً على البطالمة وانما شاركهم فيها اليمنيون .

ولدينا نقش ثالث له أهمية وهو نقش النمارة من عام ٣٢٨م. منقوش بالخط النبطى . وهذا النقش أول نقش وصل الينا مكتوب العربية وبا لخط النبطى، والنقش يخص أمرئ القيس أحد ملوك الحيرة والنقش يلقى الضوء على اصل المناذرة ملوك الحيرة ويقدم الكثير من الافتراضات الجيدة فى قضية خلاقية هى أصل الانباط ويرجح الرأى القائل بأن الانباط عرب وليسوا آراميين.

ولدينا نقش رابع يعود تاريخه إلى عام ٥١٦م. كتب باسم الملك معد يكرب بمناسبة حملته ضد المنذر الثالث ملك الحيرة، وهذا النقش يساعدنا على معرفة العلاقات الدولية السائدة فى ذلك التاريخ والصراع الدولى بين القوى الكبرى بين الفرس والروم والاحباش واليمنيين والمناذرة .

جملة القول أن هذه النقوش تمثل عادة أدق المصادر فى تصويرها للحقائق التاريخية من غيرها من النصوص ، ولكن هذه النقوش تكون عادة أقل شمولاً من حيث اعطاء صورة متكاملة للمجتمع ككل أو لفترة زمنية على شئ من الطول. فالنقش دائماً يتناول حدث واحد وقد لايزيد عن بضعة سطور ونود أن ننوه إلى أننا ينبغى الا نأخذ كل ماورد بها على

أنها حقائق مسلم بها وما يمكن أن نثق به منها تلك النقوش التى تتحدث عن المعاملات القانونية التجارية لتسجيل عقار أوصفقة تجارية أو تقديم قربان لإلمه أو لعدد من الآلهة ، اما عن النقوش التى لا ينبغى علينا أخذ ماورد بها من معلومات كحقائق مسلم بها تلك النقوش التى تتحدث وتسجل منجزات واعمال حاكم ما أو ملك ما إذا كان الأمر يتعلق بانتصارات احرزها على خصومه أو اعدائه فالملوك والحكام يميلون إلى المبالغة والمغالاة فى تمجيد انفهسم واعمالهم ومن تلك الاخبار ماذكره الملك تجلات بيلبسر الثالث (٧٢٧/٧٤٤ق.م) عن اجتياحه لخمس عشرة مدينة للملك العربى، وهنا يجب أن نتوقف قليلا فهذه المدن قد لاتكون فى الواقع اكثر من تجمعات بسيطة من الخيام) كذلك حين يذكر هذا الملك انه قتل (ربما يقصد غنم) من الملكة شمس ملكة بلاد العرب ٣٠ الف جمل فاننا يجب أن نتوقف مرة أخرى فالملكة ليست ملكة لكل بلاد العرب، وانما هى رئسة لقبيلة أو ربما لعدد من القبائل المتحالفة على اكثر تقدير و ٣٠ الف جمل هو عدد مبالغ فيه دون شك فى مثل هذه الدائرة الضيقة، وهذا ما نستخلصه من مقارنة نقوش أخرى ، فلدينا نقش يذكر فيه الملك سنحاريب ٧٠٤/١٨١ ق.م إذ غنم هذا الملك من ملكة عربية الف جمل فقط ، وفى نقش آخر من عهد الملك اسرحدون ٦٨٠ / ٦٦٩ ق.م يتحدث عن ٥٠ جملا و ٦٥ جملاً .

وتقدم لنا الرقم المسمارية معلومات طيبة عن الصلات التجارية بين ممالك بلاد الرافدين (مدينة أور) ومدينة مارى والتى يعود اقدمها إلى

١٩٥٩ق.م . ومراكز الحضارة فى شرق الجزيرة العربية وخاصة مع دالمون ومع ماجان وملوخا. وهذه الرقم عثر عليها فى بلاد الرافدين. ومنها نذكر النص التالى على سبيل المثال .

قل لـ - أيا - ناصر

هذا ما يقوله نانى (Nani) ،حينما جئت الينا اخبرتننى قائلاً : ، أنا سوف أعطى جميل سين (bcanil - sin) (حين يأتى) سبائك نحاسية من النوع الفاخر، وتركت ولكنك لم تنفذ وعدك لى ، فقدمت سبائك رديئة إلى رسولى سيت سين (Sit - sin) وقلت له ، إذا اردت أن تأخــذها فخذها، واذا لم ترد أخذها فاتركها وانصرف ،

ماذا ترانى أكون فى نظرك حتى تعامل شخصاً مثلى بهذا الازدراء؟ لقد ارسلت العديد من الرسل، وهم رجال محترمون مثلنا، ليجمعوا البضاعة بأموالى (المحفوظة لديك) ولكنك عاملتنى معاملة مزرية حين قمت بطردهم واعتدهم خالى الوفاض عدة مرات. (وأيضاً) عبر أراضين غير صديقة (وانى اتساءل) هل هناك بين التجار الذين يتاجرون مع ، أنا اليك تلمون) (Inanaliktelelmuun)

من أقدم على معاملتى بهذه الطريقة ؟

إنك أنت وحدك الذى يعامل رسولى (رسليى) بازدراء (كل ذلك) على أساس أنى مدين لك بمينا واحدة من الفضة (لذا) فإنك تعطى نفسك

الحق بأن تتكلم بهذا الاسلوب ، بينما أنا (من جهتى) قدمت إلى القصر نيابة عنك ١٨ تالين من النحاس، كما قدم ايضاً شوقى آبدم (Sum a bum) بالمثل ١٨ تالين من النحاس ، اضافة إلى ماكتبناه ؛ نحن الاثنين، على رقيم مختوم ليحفظ فى معبد (الإله) شمس، فكيف عاملتى أنت من اجل النحاس؟ لقد احتفظت بحافظة نقوذى فى أراض عدوة، والآن (يجب) عليك أن تعيد (أموالى) كاملة – وعليك أن تعنى (من الآن فصاعداً) أننى لن أقبل أى نحاس ردئ يأتى من قبلك وسوف (من الآن فصاعداً) اختار وأستلم السبائك فرادى فى فنائى ، (كما أنى) سوف أمارس (ضدك) حقى فى الرفض لأنك عاملتنى بازدراء » .

وتم الكشف عن رقم ونصوص بالمسمارية فى البحرين وتقدم لنا معلومات عن العلاقات والصلات بين الأموريين ودالمون ، وتعود إلى النصف الأول من الألف الثانى ق.م وتقدم لنا النقوش الاخمينية « الفارسية» المكتوبة باللغة العيلامية معلومات عن منطقة الخليج وان بعض مناطقها قد خضع للنفوذ الاخمينى، وهذه النقوش عثر عليها فى مدينة بريسبوليس، ومن هذه المناطق ماجان (ماكا) وتشير النقوش المصرية المكتوبة بالهيروغليفية الى هينمة الدولة الأخيمينة على اقليم هجر.

وتم الكشف عن نقوش وحروف المسند من جنوب شبه الجزيرة العربية فى مناطق من شبه جزيرة عمان. وعثر على نقوش احسائية كتبت بخط المسند.

كما تم العثور على بعض النقوش الآرامية فى عمانا القديمة والدور ومليحة وعثر على العديد من النقوش اليونانية فى فيلكة والبحرين وعمانا وكشفت لنا النقوش التدمرية عن وجود صلات بين تدمر وميساية (خراكس) قبل هينمة وسيطرة الساسا نبين على ميسان (حراكس) .

جـ - بلاد الرافدين :

جادت علينا أرض الرافدين بمجموعة ليست بالقليلة من النقوش ويأتى على رأسها الرقم الطينية وتعود بداية تلك النقوش إلى العصر السومرى وكان السومريون هم أول من طوروا نوعاً من الكتابة عرف بالخط المسمارى وظل هذا الخط مستعملاً فى أرض الرافدين وأعالى الشام وعيلام وآسيا الصغرى بعد فترة من زوال نفوذ السومريين السياسى، وقد بدأت النقوش السومرية تصويرية وطوروها فى مدينة اوروك، واستخدم السومريون فى البداية حوالى ٢٠٠٠ اشارة تصويرية، ولكن أخذ هذا العدد يقل تدريجياً نتيجة لتزايد ارتباط الاشارات بالاصوات حتى وصل إلى ٥٠٠ - ٦٠٠ اشارة خلال الالف الثانية . و كان السومريون قد بدأوا الكتابة المسمارية ليس بغرض كتابة قصائدهم وقصصهم أو علومهم، ولكن كان ذلك بغرض تسجيل الاتفاقيات التجارية والمعاهدات مع الدول الأخرى أو لكى يدونوا بها البضائع والمواشى التى يدين بها بعض الأفراد للمعابد أو المسئولين المحليين ... الخ ، وحتى فى القرون اللاحقة أى خلال ازدهار الامبراطوريتين البابلية والآشورية وبقية الدول فى الشرق الأوسط، فإن الكتابة كانت فى المقام الأول تستخدم الغايات عمليه أى أنها

تتعلق بامور التجارة والادارة وشئون الدولة وعموما فقد كان السومريون ومن بعدهم البابليين ينسخون الرقم الطينية فى ورش خاصة ويحفظونها فى المكتبات أو مراكز التوثيق ، والتى كانت تنتشر فى المعابد وفى قصور الحكام وفى المدراس ، وقد تم اكتشاف مكتبات من هذا النوع تحتوى كل واحدة منها عشرات الألوف من الرقم فى مدن كيس وسيبار -- ومن هذه المكتبات مكتبة أشور بانيبال (٦٦٩ / ٦٢٧ ق.م) فقد كان هذا الملك يهتم بنفسه على أن يتم نسخ كل الرقم القديمة ، اذ نجده يقول فى احدى رسائله إلى أحد المسئولين « ابحثوا عن الرقم الطينية التى لايوجد منها نسخ فى بلاد أشور وارسلوها لى، لقد كتبت الآن إلى رئيس الهيكل ومحافظ المدينة فى بورسيا عنك، وعليك الآن بانشاء وان تحفظ الرقم فى مقرك بحيث لايتجرأ أحد على أن يسرق منها شيئا ، وحيثما تجد اى رقم أو أى نص شعائرى يمكن أن يناسب قصرى فخذه وارسله إلى هنا. ونصوص هذه المكتبة يمكن تقسيمها على النحو الآتى . رسائل الحكام والكهنة والتجار، سجلات بيع وشراء البضائع وسجلات اصحاب الديون ، عقود بيع الاراضى ... الخ .

وإذا كان حوالى ٩٥ ٪ من النقوش والرقم الطينية خاص بالأغراض العملية السالفة الذكر فان هذه النقوش والرقم الطينية دونت لنا أدبا رفيعاً لهم واساطيرهم وقوانينهم وفلكهم وبيطرتهم وتاريخهم ورياضيياتهم . ومن اهم الرقم الطينية قوائم الملوك السومرية ، والتى بها ثبت للملوك منذ عصور ضاربة فى القدم وترجع إلى ماقبل عصر الكتابة وتختلط فيها

اسماء البشر والآلهة. واذا كانت الرقم الطينية تقدم لنا مادة غزيرة فان النقوش على الحجر تقدم لنا معلومات قيمة ومن أقدمها النصب التذكارى الملك الأكادى سر جون مؤسس الدولة الاكادية وقص فيه حياته واعماله، والنقش الذى سجل عليه الملك حمورابى قانونه الشهير والذى عثر عليه فى مدينة سوسة عاصمة الدولة العيلامية؛ وعموما منذ زاد استخدام الاحجار فى النقوش ابان العصر الآشورى الثانى وخاصة الامبراطورية الآشورية الثانية.

واستخدم العيلاميون الخط المسمارى فقد عثر على نقوش ورقم طينية واستمر استخدم الخط المسمارى لفترة طويلة ومن أشهرها نقش بهستون وانتشر الخط المسمارى فى اعالى الشام، فقد عثرت البعثة الايطالية الاثرية فى إبلا (تل مارديخ) على مايزيد على ١٧٠٠٠ رقم طينية مدونة بالخط المسمارى ولكن باللغة المحلية اى اللغة الابلية وتعود إلى عصر فجر السلالات الثالث و تحتوى هذه النصوص على معاجم ثنائية اللغة الابلية والسومرية ونصوص أدبية وعلمية واقتصادية وادارية، بالاضافة إلى قوائم باسماء جغرافية وقانونية، ورسائل تاريخية ونصوص اسطورية. وقد عثرت هذه الرقم محفوظة أحد القصور الملكية.

وعثرت البعثة الالمانية فى سوريا بالقرب من الشيخ حماد فى اعالى الخابور على مجموعة من الرقم الطينية مدونة بالخط المسمارى وباللغة الأشورية ويعود تاريخها الى منتصف الالف الثانى ق.م.

وهى نصوص اقتصادية وادارية لاتختلف فى محتوياتها عن النصوص التى تم العثور عليها فى تل على (اتمانى) الواقع قرب الحوجة، هذا بالإضافة إلى الكشف عن تمثال يحمل كتابة مسمارية.

وتشير الرقم الطينية التى عثر عليها في آسيا الصغرى والتى يعود تاريخها إلى مطلع الالف الثانى قبل الميلاد إلى انتشار الخط المسمارى من بلاد أشور إلى الستعمرات التجارية التى انشأها التجار الأشوريون فى كانيش (كول تبه) وحاتوشا (بوغاز كوى) وانكوفا (على شار) وغيرها.، حيث تم العثور على مجموعة مؤلفة من أكثر من ٢٨ الف رقيم طينى مكتوب بالخط المسمارى وباللغة الأشورية القديمة ، وتحتوى هذه الرقم على رسائل متبادلة بين التجار واصحاب (المشاريع) ووكلاتهم) والتى تخص عقد الصفقات التجارية وكافة الأعمال المتعقلقة بالأمور المصرفية، وعقود اقتصادية تتعلق بالمعاملات التجارية والمالية، ومنها منح القروض وتتضمن قيمة القرض والفائدة . الضمان الشخصى (الكنهالة) والوقت المحدد لسداده ووثائق تبحث فى الشئون القضائية كالمنازعات - وقرارات المحاكم بالإضافة إلى وثائق تخص الأحوال الشخصية وغيرها.

وتشير الرقم الطبيعى الخاصة بالتجار الى أن عدداً كبيراً من التجار فى آسيا الصغرى كانوا يجيدون اللغة الآشورية وكانوا يفضلون كتابة الرسائل إلى وكلائهم التجار فى آشور بانفسهم، وكانوا يكتبون بلغة بسيطة لاتتجاوز مقاطعها ١١٥ علاقة وهذه العلامات كانت تدرس إلى

الاشخاص المعنيين لتساعدهم على القراءة والكتابة .

وانتشر الخط المسماري بين الحوريين والميتانيين في القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد، فقد عثر على أربعة آلاف رقيم طيني في يور غـان تبـه (نوزي) وكـوروخـاني (Kurree hani) (تل الفخـار) وتتضمن على عقود زواج وتبني وميراث وعقود اقتصادية واداريه ورسائل متبادلة بين الافراد . وفي أوجاريت رأس شمرا بالقرب من اللاذقية على الساحل السوري، وهي مدينة ذات موقع استراتجي حيث تلتقي عندها الطرق التجـارية ومـا يصـاحبـهـا من تيـارات حـضـارية، والتـجـار والدبلوماسيون والكهنة وغيرهم من أصحاب الحاجات والغايات من مصر وبلاد الحيثيين والبابليين الأشوريين والموكنيين والقبارصة قد أوجدوا في اوجاريت تجمعا شرقيا (حضوراً متميزاً وبارزاً في شوارع المدينة. حيث تبادلوا المنافع وفي نفس الوقت التعرف على حضارات غير حضاراتهم.

وقد عثرت البعثة الفرنسية برياسة شيفر ١٩٣٩ على رقم طينية بلغة أوجاريت ولغات أحزى مثل الاكادية والمصرية والحورية والحيثية، كانت أوجاريت تقيم معها علاقات تجارية ودبلوماسية، وكان الاوجارتييون قد بسطوا الحروف المسمارية الى حد كبير ووصلوا بعددها إلى ثلاثين فقط، وبهذا فقد كانوا قد وضعوا واحدة من اقدم الكتابات الصوتية في العالم اي تلك الابجدية التي تعود إلى القرين الخامس عشر قبل الميلاد. وعثر على هذه الرقم في بناية كانت مقراً ومكتب لرئيس الكنهة في أوجاريت. وهذه

الرقم تحتوى على موضوعات دينية وأدبية ومعاجم ورسائل متبادلة التربية حاكم (لدينة وحاكم قبرص وعدد آخر من الشخصيات الهامة فى تلك الفترة، وعثر فى الالاخ (تل العطشانه فى سوريا) على رقم طينية تعود الى القرن الرابع عشر ق.م وتضم معاجم لغوية ونصوص أدبية.

وقد. عثر على رسالة مدونة بالخط المسمارى أرسلها احد الملوك الكنعانين إلى فرعون مصر وقد عثر عليها فى تل العمرانة واستخدم كاتبها فيها اللغة الاكادية وضمنها بعض المفردات الكنعانية التى كانت قريبة الشبه بالمفردات العربية.

وانتقل الخط المسمارى فى أوائل القرن التاسع قبل الميلاد إلى منطقة أورارتو فى ارمنية فقد تم العثور على مجموعة من الرقم الطينية المدونة بهذا الخط وتحتوى على عقود اقتصادية وادارية وقضائية وقسم كبير منها يشبه الى حد كبير الرقم التى عثر عليها فى الوركاء وبابل والتى تعود الى نهاية القرن الرابع ق.م.

ووصلتنا نصوص مدونه بالخطين المسمارى والآرامى ويعود تاريخها الى القرن السابع ق.م

كما عثر على رقم طينية من القرن الثانى ق.م من العصر الهلينستى دونها اليونان الذين حلوا ببابل وتكشف عن محاولتهم تعلم اللغة البابلية وقدرتهم على استنساخ بعض النصوص المكتوبة بالسومرية والاكادية

وهذه النصوص التعليمية المدرسية التى كتبت كانت ثنائية اللغة فقد كـ ت بالخطين المسمارى السومرى والاكادى والخط اليونانى.

واذا كان الخط المسمارى قد انتشر فى مناطق مختلفة من بلاد الشام فقد عثر المنقويه على العديد من النقوش الفينيقية والعبرية والآرامية الغربية بلهجاتها النبطية والتدمرية والآرامية اليهودية والآرامية السامرية والآرامية الفلسطينية المسيحية . ولدينا العديد من النقوش الفينيقية نذكر منها نقش الملك احرام .

نقل النص إلى حروف عربية :

١- أ ر ن ذ ف ع ل ‹أ›ت ب ع ل ب ن أ ح ر م م ل ك ج ب ل

ل أ ح ر م

أ ب هـ ك ش ‹ب›ت هـ ب ع ل م .

٢- و أ ل م ل ك ب م ل ك م و س ك ن ب س ‹ك›ن م و ت م أ

م ح ن ت

ع ل ي ج ب ل و ي ج ل أ ر ن ذ ن ت ح ت س ف ح ط ر

م ش ف ط هـ ت هـ ت ف ك

ك س أ م ل ك هـ و ن ح ت ت ب ر ت ع ل ج ب ل و هـ أ

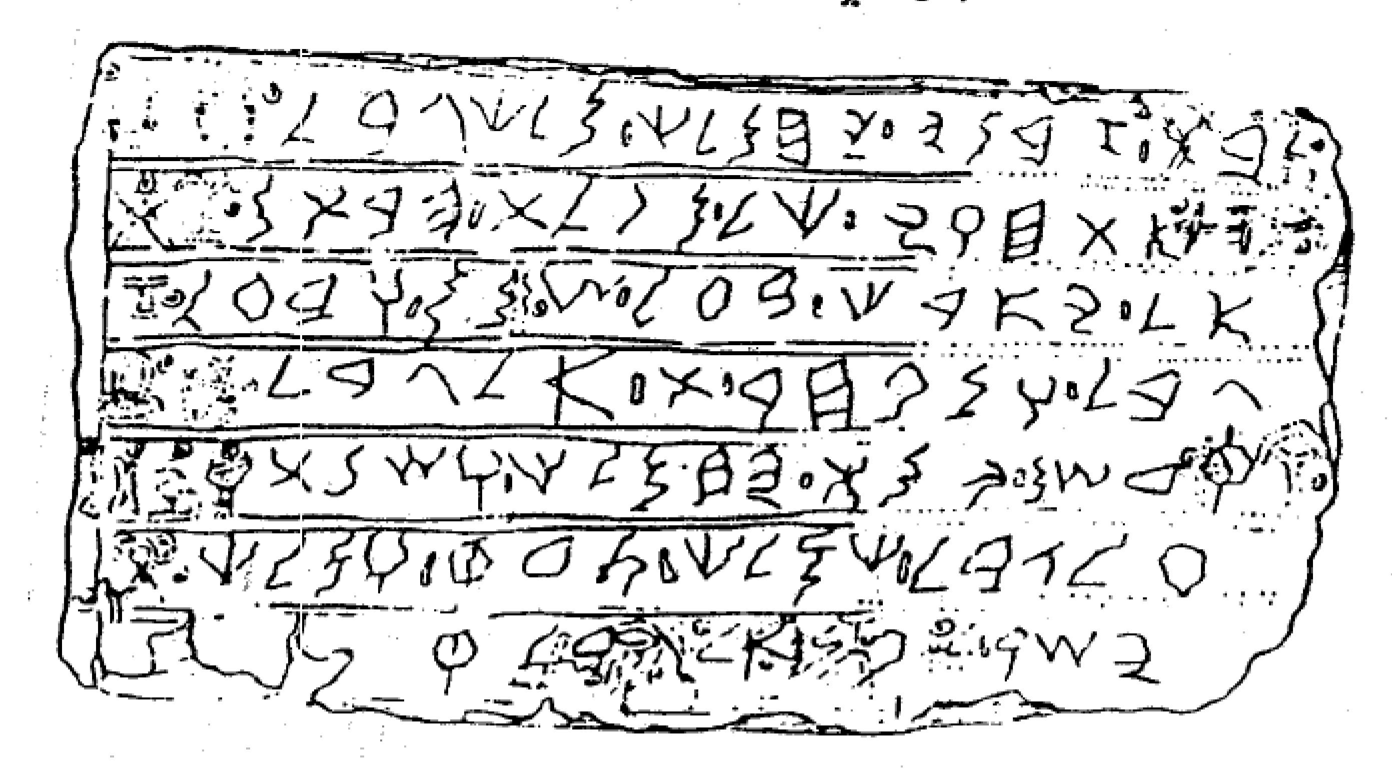
ي م ح س ف ر هـ ل ف ف ش ب ل .

ل د ع ت

هـ ن ي ف د ل ك

ت ح ت ذ ن[١] .

نقش يحيملك Yehimilk
(حوالي ١٢٠٠ ق. م)[1]



١- ب ت ذ ب ن ي ي ح م ل ك م ل ك ج ب ل

٢- هـ أت ح و ي ك ل م ف ل ت هـ ب ت م

٣- أل ي أ ر ك ب ع ل ش م م و ب ع ل ‹ت›

٤- ج ب ل و م ف ح ر ت أ ل ج ب ل

٥- ق د ش م ي م ت ي ح م ل ك و ش ن ت و

٦- ع ل ج ب ل ك م ل ك ص د ق و م ل ك

٧- ي ش ر ل ف ن أ ل ج ب ل ق ‹د ش م هـ أ›[1]

ترجمته إلى العربية :

١- المعبد الذي بناه (أعاد بناءه) «يحيملك» ، ملك جبيل

٢- وكان قد رممّ كل آثار (خرائب) ومعابد

٣- الآلهة «بعل شمين» وربة

٤- جبيل «ومفخرت» (ابن) إلهة جبيل

٥- المقدسة ، ويطيل أيام يحيملك وسنواته (حكمه)

٦- على جبيل ، لأنه ملك عادل وملك

٧- مستقيم على مرأى من آلهة جبيل المقدسة .

١٣- ص . و أ ن ك . ت م ك ت . ت م ش ك ب م . ل ي د . و هـ م ت . ش ت .

ن ب ش . ك م . ن ب ش . ي ت م . ب أ م . و م ي . ب ب ن .

١٤- ي . أ ش . ي ش ب . ت ح ت ن. و ي ز ق . ب س ف ر. ز . م ش ك ب م

أ ل . ي ك ب د . ل ب ع ر ر م . و ب ع ر ر .

١٥- م . أ ل . ي ك ب د . ل م ش ك ب م . و م ي . ي ش ح ت . هـ سُ فَ ر .

ز . ي ش ح ت . ر أ ش . ب ع ل . ص م د . أ ش . ل ج ب ر .

١٦- و ي ش ح ت. ر أ ش . ب ع ل. ح مَ ن. أ ش. ل ب م هـ . و ر ك ب أ ل .

ب ع ل . ب ت [1] .

ترجمة نقش كلمو :

١- أنا «كلَمُو» بن «حيا» .

٢- وأصبح «جَبّر» ملكا علي «يادي» ولم يحقق شيئا .

٣- ثم كان «بمه» (باني)ولكنه لم يفعل شيئا ، ثم كان أبي «حيا» ، ولكنه لم ينجرز شيئا ، ثم كان أخي .

٤- «شـأل» ولكنه لم يفعل شيئا ، وأما أنا «كلمو» بن «تما» (تمت ، نسبة إلى أمه؟) . فقد حققت .

٥- مالم يحققه السلف . كان بيت أبي في وسط ملوك أقوياء ،

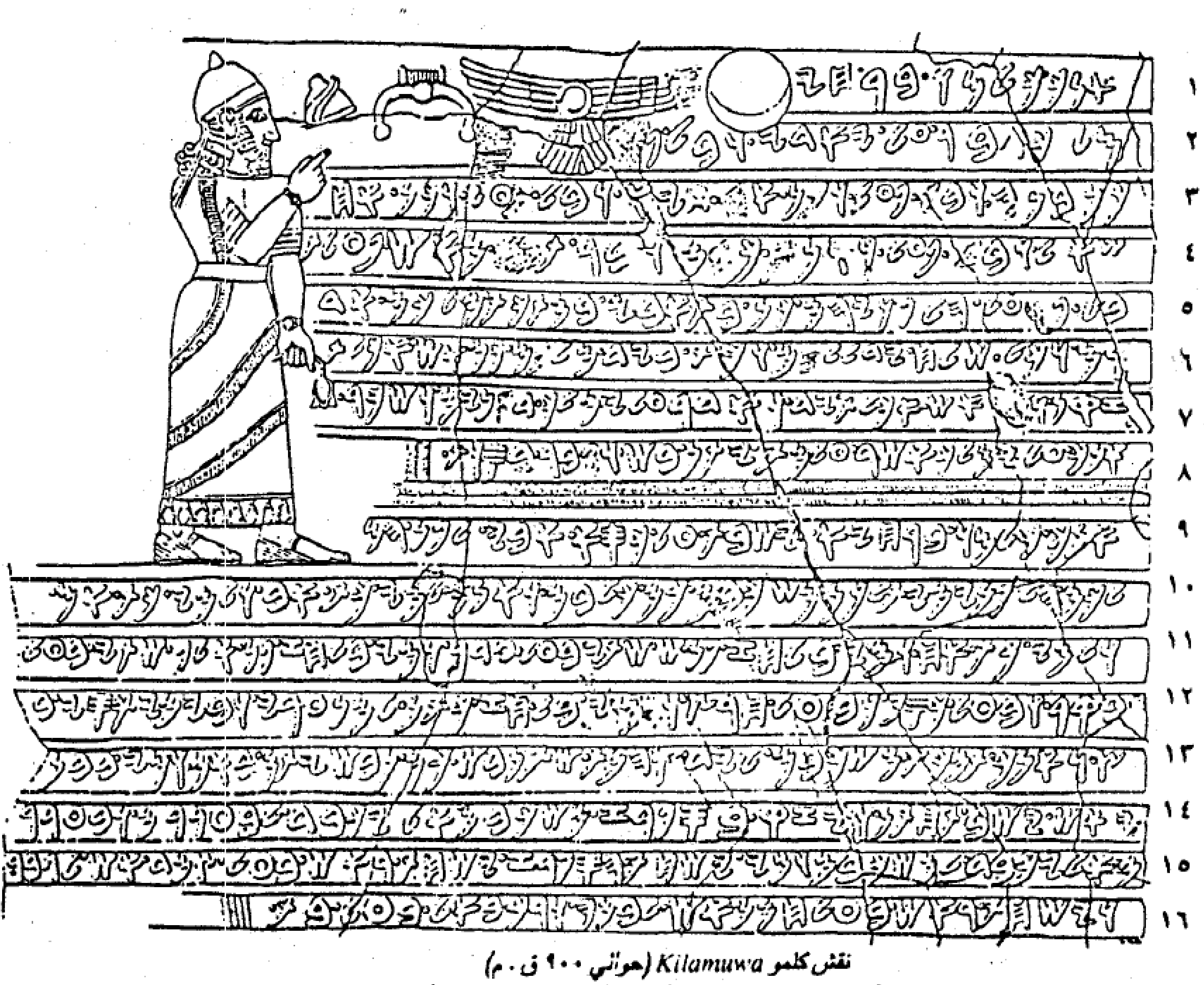
٦- وكلهم مدّوا أيديهم ليُدمروه ، وكنت في أيدي الملوك كما لو أكلت النار

٧- لحيتي أو أحرقت النار يدي ، وهزمني ملك «الدَنينيين» .

٨- فاستعديت عليه ملك آشور ، كما لو كانت الفتاة تعطي بشارة والرجل يعطي ثوبا (وهذه العبارة كناية على أن «كلَمُو» كان يدفع الجزية لملك آشور لحمايته).

نقش كلمو(١) Kilamuwa

(حوالي عام ٩٠٠ ق. م)



نقش كلمو Kilamuwa (حوالي ٩٠٠ ق. م)
نقلا عن كتاب حبسون جـ ٣ النقوش الفينيقية (في زنجيرلي)

ونقش كليمو (Kilamuwa)

٩- أنا كلمو بن حيا جلست على عشر آبائي في مواجهة .

١٠- الملوك السابقين . وكان أهل «مشكب» MSKBM يئنون كالكلاب ، أما أنا فكنت أبًا لبعضهم وأمًا للبعض الآخر ،

١١- كما كنت أخا للبعض . ومن لم ير وجه شاة جعلته صاحب قطيع ، ومن لم ير وجه ثور جعلته صاحب قطيع

١٢- من البقر ، وصاحب فضة وصاحب ذهب ، ومن لم ير كتّانا منذ شبابه ، ففي أيامي سيُكسي

١٣- بالكتان . وقد حميت أهل «مشكب» بيدي حتى سكنوا نحوي سكون اليتيم إلى أمه . وعندما يخلفني أحد أبنائي

١٤- (على العرش) ويتلف هذا النقش ، فربما لايحترم (أهل مشكب) المشكابيون أهل بعررم ، وقد لايقدم أهل بعررم الاحترام

١٥- لأهل مشكب . أما إذا أتلف غريب هذا النقش فإن «بعل صمد» إله «جبر» سيدمر رأسه ،

١٦- وربما يدمر رأسه كذلك «بعل حامون» إله «بمه» و «ركب إيل» سيد العرش (سيد الآلهة) .

ونقش تبنت Tabnit ملك صيدا

نقش تبنت Tabnit (حوالي ٣٠٠ ق.م) من النقوش الفينيقية المتأخرة في صيدا
نقلا عن كتاب جبسون ، جـ ٣ النقوش الفينيقية

نقل النص إلى حروف عربية :

١- أن ك . ت ب ن ت . ك هـ ن . ع ش ت ر ت . م ل ك . ص د ن م . ب ن .

٢- أ ش م ن ع ز ر . ك هـ ن . ع ش ت ر ت . م ل ك . ص د ن م . ش ك ب . ب أ ر ن .

٣- ز . م ي . أ ت . ك ل . أ د م . أ ش . ت ف ق . أ ي ت . هـ أ ر ن . ز . أ ل . أ ل . ت

٤- ف ت ح . ع ل تـَي . و أ ل . ت ر ج ز ن . ك . أ ي . أ ر . ل ن . ك س ف . أ ي . أ ر < د > . ل ن .

٥- ح ر ص . و ك ل . م ن م . م ش ر < د > . ب ل ت . أ ن ك . ش ك ب . ب أ ر ن . ز . أ ل . أ ل . ت ف ت

٦- ح . ع ل ت ي . و أ ل . ت ر ج ز ن . ك . ت ع ب ت . ع ش ت ر ت . هـ د ب ر . هـ أ . و أ م . ف ت

٧- ح . ت ف ت ح . ع ل ت ي . و ر ج ز . ت ر ج ز ن . أ ل . ي [ك] ن . ل [ك] . ز ر ع . ب ح ي م . ت ح ت . ش م

٨- ش . و م ش ك ب . أ ت . ر ف أ م(١) .

ترجمة نقش تبنت إلى العربية :

١- أنا تبنت كاهن عشترت ملك صيدا (الصيدونيين) ابن

٢- «إشْمُنْعَزَرْ» كاهن عشترت ملك صيدا . اضطجع في هذا التابوت .

٣- مهما كنت فلعنتي على كل إنسان يخرج هذا التابوت ... لا . لا .

٤- تفتحه عليّ وتزعجني ، فلم يجمعوا لي فضة (فليس عند فضة) ولا .

٥- ذهبا ولا نفائس على الإطلاق لأضطجع في هذا التابوت .. لا .. لا تفتحه .

٦- عليّ ولا تزعجني ، ولاتُثِر سُخط عشترت (بهذا العمل) ، فإذا فتحته

٧- عليّ وأزعجتني ، فلن تكون لك ذُرية في الحياة تحت الشمس .

٨- ولا مضجع بين الأموات .

وعثر المنقبون على العديد من النقوش بالعبرية نذكر منها نقش قناة سلوان

١- (ت م ت.) هـ ن ق ب هـ . و ز هـ . هـ ي هـ . د ب ر . هـ ن ق ب هـ .

ب ع و د (هـ ح ص ب م . م ن ف م) .

٢- هـ ج ر ز ن . أ ش . أ ل . ر ع و . و ب ع و د . ش ل ش . أ م ت . ل هـ ن

(ق ب . و ي ش م) ع . ق ل . أ ش . ق

٣- (ر) أ . أ ل . ر ع و . ك ي . هـ ي ت . ز د هـ . ب ص ر . م ي م ن

<و> (ع د . ش م أ) <ل> . و ب ي ت . هـ .

٤- ن ق ب هـ . هـ ك و . هـ ح ص ب م . أ ش . ل ق ر ت . ر ع و . ج ر ز ن .

ع ل . (ج) ر ز ن . و ي ل ك و (٠) .

٥- هـ م ي م . م ن . هـ م و ص أ . أ ل . هـ ب ر ك هـ . ب م أ ت ي <م . و>

أ ل ف . أ م هـ . و م <أ> .

٦- ت. أ م هـ . هـ ي هـ . ج ب هـ . هـ ص ر . ع ل. ر أ ش . هـ ح ص ب <م.>

ترجمة نقش قناة السلوان إلى العربية :

١- (أكمل حفر أو هذا) النفق . وكان هذا خبر النفق بينما (يرفع النحاتون)

٢- معاولهم جنبا إلى جنب ، في حين (بقي) ثلاثة أذرع (وهنا سُمع) صوت رجل

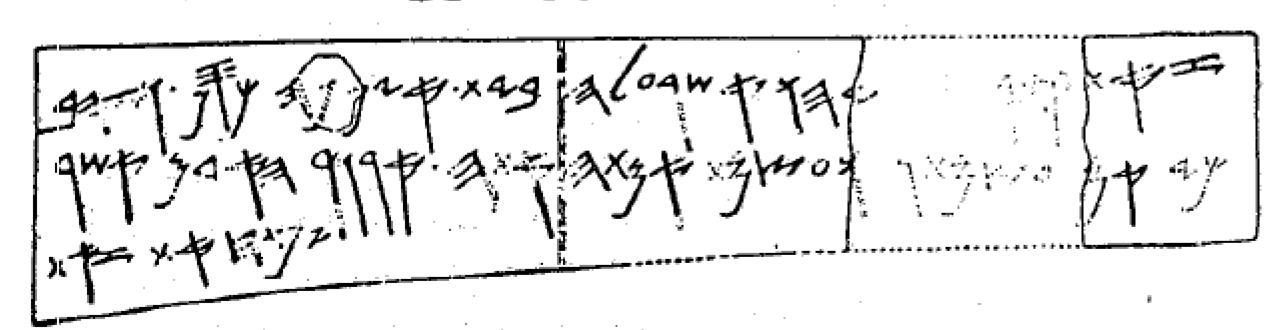
٣- (ينادي) زميله من خلال ثغرة (شق) في الصخرة تمتد من اليمين (إلى اليسار) وفي هذا اليوم .

٤- تقابل النحاتون بمعاولهم رجلا مقابل رجل حتى تدفّق .

٥- ماء النبع إلى البركة مسافة مائتين وألف ذراع (حوالي ١٧٠٦ قدم) .

٦- (في حين) كانت الصخرة بارتفاع مائة ذراع فوق رؤوس النحاتين[1] .

النقش الجنائزى لسلوان



النقش الجنائزي لسلوان (حوالي ٧٠٠ ق . م)
نقلا عن كتاب نافيه Naveh ص ٦٨

كتابة النقش بحروف عربية :

١- ز أ ت (ق ب ر ت . ش ب ن) ي هـ و . أ ش ر . ع ل . هـ ب ي ت . أ ي ن . ‹ ف › هـ . ك س ف . و ذ هـ ب .

٢- (ك ي) . أ م . (ع ص م ت و) و ع ص م ‹ت› . أ م ت هـ . أ ‹ت› هـ . أ ر و ر . هـ أ د م . أ ش ر .

٣- ي ف ت ح . أ ت . ز أ ت .

ترجمة النقش إلى العربية :

١- هذا (القبر الذي بنا) ه مشرف البيت (وزير القصر) . لايوجد (هنا) فضة وذهب .

٢- (فقط رفاته ورفات) أَمَتَهُ (زوجته من العبيد) معه . ملعون الإنسان الذي .

٣- يفتح ذلك (القبر) .

ونقش ميشع

نقش ميشع ملك مؤاب حوالي ٨٥٠ ق . م
نقلا عن كتاب ليدزبارسكي «النقوش السامية الشمالية ، جـ٢ لوحة رقم (٣٠)

٧- وأرأ . بهـ . وببتهـ . ويسرأل . أبد . علم . ويرش.
عمري . أت . أ <ر> .

٨- ص . مهـدبأ . ويشب . بهـ . يمهـ . وحصي . يمي .
بنهـ . أربعن . شت . ويش .

٩- بهـ . كمش . بيمي . وأبن . أت . بعلمعن . وأعس .
بهـ . هـأشوح . وأب <ن.> .

١٠- أت . قريتن . وأش . جد . يشب . بأرص . عطرت .
معلم . ويبن . لهـ . ملك . ي

١١- سرأل. أت. عطرت. وألتحم. بقر . وأحزهـ . وأهـرج.
أت . كل . هـع <م . م>

١٢- هـقر . ريت . لكمش . ولمأب . وأشب . مشم . أت .
أرأل . دودهـ وأ <س>

١٣- حبهـ . لفني . كمش . بقريت . وأشب . بهـ . أت .
أش . شرن . وأت . أ <ش .>

١٤- محرت. ويأمر . لي . كمش . لك. أحز . أت. بنهـ . عل.
يسرأل . وأ

١٥- هـلك . بللهـ . وألتحم . بهـ . مبقع . هـشحرت .
عهـ . هـصهـرم . وأح

١٦- زهـ . وأهـرج . كل <هـ> . شبعت . ألفن < . > ج <ب> رن .
و (جر) ن . وجبرت . و <جر>

١٧- ت. ورحمت . كي. لعشتر. كمش . هـحرمتهـ . وأقح .
مشم . أ (ت . ك)

١٨- لي . يهـوهـ . وأسحب . هـم . لفني . كمش . وملك .
يسرأل . بنهـ < . > أت < . > .

٧- فانتقمت منه ومن بيته (أسرة عِمري) ومن إسرائيل وأهلكتهم إلى الأبد ،
ورث عمري كل أرض

٨- «مهْدَبا» وسكن بها في أيامه ونصف أيام ابنه (أو نسله) أربعين سنة ،

٩- ولكن كموش استعادها في أيامي ، وبنيت بعل معُون . وأنشأت بها (بِركة) .
وبنيت (مدينة) .

١٠- قرْيتان (الآن قُرَيَّات) ، واستوطن أهل جاد (سبط من أسباط بني إسرائيل)
في أرض عطرت منذ زمن بعيد وحَصَّن ملك

١١- إسرائيل (مدينة) «عطرت» (الآن عطّاروس) لنفسه ، ولكني (أي ميشع)
حاربت المدينة وأخذتها وقتلت أهلها ،

١٢- إرضاء لكموش ومؤاب واستعدت من هناك هيكل دوده (Daudah דודה)
وسحبته

١٣- أمام كموش عند «قرْيت» وأسكنت بها أهل «شرّان» وأهل

١٤- «محَرتْ» . فقال لي كموش اذهب وخُذ «نبُو» من إسرائيل .

١٥- فذهبت ليلا وحاربت بها من مطلع الفجر وحتى الظهر وأخذتها

١٦- وقتلت كل من فيها ، سبعة آلاف رجل وامرأة سواء من أهلها أو من الغرباء

١٧- أو من الجواري ، وقدمتهم قُربانا «لعَشْتَر كموش» ، وأخذت من هناك أواني

١٨- يَهْوِه (الرب) وأحضرتهم إلى كموش . وبعدئذ حصّن ملك إسرائيل

١٩- (مدينة) «يَهَصْ» واحتلّها بينما يحاربني ، (ولكن) كموش طرده من أمامي .

٢٠- وأخذت من مؤاب مائتي رجل من زعمائها وتوجهت بهم (سَيّرتُهم) إلى
«يهَصْ» وفتحتها (واستوليت عليها) .

٢١- وضممتها إلى ديبان . كما أعدت بناء «قَرْحَه» وأسوار «يعَارين» .

٢٢- وأسوار عُوفل ، كما أصلحت أبوابها وأبراجها .

٢٣- (وكذلك) بنيت قصر الملك وأنشأت بركتين داخل

٢٤- المدينة . ولم يكن هناك بئر داخل مدينة «قَرْحه» ، فقلت للشعب اعملوا

٢٥- بئرا (خزانا للمياه) في بيت كل واحد منكم ، وقد حفرت قنوات في «قَرْحَه» بمساعدة أسرى

٢٦- إسرائيليين . كما بنيت (مدينة) «عرعر» ومهدّت الطريق إلى «أرنون»

٢٧- وأعدت بناء «بيت باموث» لأنها دُمِّرت ، كما أعدت بناء «بُصرى» لأنها كانت خَرِبَة .

٢٨- ... مع خمسين رجلا من ديبان لأن كل ديبان قد خضعت لي، وأنا أصبحت

٢٩- مَلِكًا على مائة مدينة ضممتها إلى مملكتي . وأعدت أيضا بناء (مدن)

٣٠- «مهْدَبا» و «بيت دبلتان» وبيت بعل مَعُون وقُدتُ (سَيَّرْتُ) ‹ رعيتي › إليها

٣١- ‹ من أجل › أغنام البلاد (ومدينة) و «حُورُنان» واستقروا بها .... و ...

٣٢- ... فقال لي كموش انزل وحارب «حورنان» ، فنزلت

٣٣- ‹ وحاربت المدينة واستوليت عليها › ‹ وأقام › كموش هناك في أيامي (فترة حكمي) ... ومن ثم ....

٣٤ - ٣٥ ..... وأنا ....

ولدينا العديد من النقوش المكتوبة باللهجة (النبطية وهى لهجة آرامية وكما سبق أن ذكرنا فقد وجدت نقوش نبطية فى شمالى شبه الجزيرة العربية (ومدان صالح على، كما عثر على نقوش نبطية فى شبه جزيرة سيناء وفى وادى النيل و لدينا نقوش ثنائية اللغة بالبنطية واليونانية وعثر المنقبون ايضا على العديد من النقوش التدمرية الآرامية، ولدينا منها بعض النقوش ثنائية اللغة التدمرية الآرامية واليونانية .

(١) نقش تدمري:

١- .... ش ن ت ٣٦٢

٢- ص ل م ا / د ن هـ / د ي / ز ب د و ل / ب ر / أ ب ي هـ ن

٣- ب ر / ز ب د ب و ل / ب ر / ل ش م ش / ب ر / م ك ن ا

٤- ر ب ا / د ي / م ن / ف ح د / ب ن ي / م ت ب و ل / د ي

٥- أ ق ي م و / ل هـ / ت ج ر ي ا / ت د م ر ي ا

٦- د ي / ب ا س ف [س] ن ق ر ط / ك ل هـ ن / س ف و ن

٧- .... ك ل / ص ب و / د ن ف ل ا.

الترجمة:

".... في سنة ٣٦٢ (= ٧٠ / ٧١ م.) اقيم تمثال زبديبول بن أبيهان بن زبديبول بن ليشمش بن مكنا الكبير، من قبيلة (فخذ) بني متابول، (على يد) التجار التدمريين الذين كانوا في اسبسنقرط (سباسينو كراكس)، وباتفاقهم جميعا (على ذلك) مهما حصل (أو تحت أي ظرف من الظروف)." (٢)

أ- النص اليوناني : (٢)

1- Ζαβδιωλον Ογηλου του Αμ.

2- μαθου του Ααχει Παλμυρηνου

3- οι απο Σπασινου Χαρακος αναδ

4- αντς Παλμυρηνοι εμποροι

5- τειμης χαριν

الترجمة :

"لزبديبول بن عجيلو (؟) بن أمّاث (؟) التدمري، (أقام له هذا التمثال) التجار التدمريون الذين قدموا (معه) من سباسينو كراكس تكريما له ."

ب- النص التدمري :

١-ص ل[م]ا / د ن هـ / د ي / ز ب د ب و ل /

٢-[ب ر] / ع ج[ي ل و] / ب ر / [ع م ت] / ب ر ....

٣-د ي / م ن / ب ن ي / م ع ز ي ن / د ي / ا ق ي م و ل هـ / ت ج ر ي[ا]

٤-[ت د م ر ي ا / د ي / س]ل ق و / م ن / ك[ر ك / ا س ف س ن ا] .

٥-[ل ي ق ر هـ / ب ي ر ح / ا]ب [ش ن]ت / ٣[٩]

٦- ٢

الترجمة :

"هذا التمثال لزبديبول [بن] عجيلو (؟) بن [عمّات (؟)] بن .... من بني معزين الذي (أقامه) له التجار التدمريون الذين قدموا معه من كراكس سباسينو تكريما له، في شهر آب في سنة ٣٩٢ (اغسطس ٨١ م .)" (١)

(٦) نقش يوناني تم العثور عليه في مستوطنة أم العماد الواقعة في الصحراء، جنوب شرق تدمر، ومسجل عليه:

1- Ἔτους...........

2- ἡ βουλὴ καὶ ὁ δῆμος (Σόαδ)ον Βωλιάδους

3- τοῦ Σοάδου τοῦ Θαιμισάμσου, εὐσεβῆ καὶ

4- ἱλόπατριν, καὶ ἐν πολλοῖς καὶ μεγάλοις καιροῖς

5- γνησίως καὶ ἱλοτείμως παρστάντα τοῖς

6- ἐμπόροις καὶ ταῖς συνοδίαις καὶ τοῖς ἐν Ὀλογασάδι

7- πολείταις, καὶ ἐπὶ τούτοις ἐπιστολᾷ θεοῦ

8- Ἀδριανοῦ καὶ τοῦ θειοτάτου αὐτοκράτορος

9- Ἀντωνεινοῦ υἱοῦ αὐτοῦ μαρτυρεθέντα,

10- ὁμοίως καὶ διατάγματι Πο βλικίου Μαρκέλλου

11- καὶ ἐπιστολᾷ αὐτοῦ καὶ τῶν ἔξης ὑπατικῶν,

12- καὶ ψηίσμασι καὶ ἀνδριᾶσι τειμηθέντα ὑπὸ

13- βουλῆς καὶ δήμου καὶ τῶν κατά καιρὸν συν-

14- οδιῶν καὶ τῶν καθ᾽ένα πολειτῶν, καὶ νῦν τοῦτον

15- μόνον τῶν πώποτε πολειτῶν ὑπὸ τῆς

16- πατρίδος διὰ τὰς συνεχεῖς καὶ ἐπ ἀλλήλους

17- εὐποίας τεσσάρων ἀνδριάτων ἐν τῷ

18- τετραδείῳ τῆς πόλεος ἐπὶ κειόνων δημοσίοις

19- ἀναλώμασι κατηξιωμένον, καὶ ἄλλων

20- ἀνδριάντων τριῶν ἔν τε Σπασίνου Χάρακι

21- καὶ ἐν Ὀλογασιάδι καὶ ἐν Γεννάη καταλύματι συν-

22- συνοδιῶν ὑπὸ βουλῆς καὶ δήμου, καὶ κτίσαντα

23- ἐν Ὀλογάσιάδι ναὸν τῶν Σεβαστῶν καὶ καθι-

24- ερώσαντα...

25- ˇκαὶ ἰ) πίστεῶς ἰ) καὶ μεγαλὄῤοσύνης ἕνεκᾶ ἰ)

26- πἂνυ(ἰ) πᾶσὰν ἐνχειρισθέντα δυναστείαν

27- στωτο..................................ειρω............................

28- σ στασι...

الترجمة :

"في سنة [. . . . .]، (١) المجلس والشعب (كرموا) سوادوس بن بولايديس بن سوادوس بن ثايميسامرس، الرجل الورع الذي يحب وطنه، والذي في العديد من المناسبات المهمة حمى في شرف وكرم مصالح التجار والقوافل ومواطنيه الموجودين في ڤولوجيسياس، إضافة إلى أنه مدعوم برسالة من الإله هادريان، وابنه المقدس جدا الإمبراطور أنتونيوس، وكذلك (كان مدعوما) بمرسوم ورسالة من پوبليسيوس مارسيللوس، ومن القناصل المنتصرين. (وسوادوس) تم تكريمه بمراسيم وتماثيل من المجلس والسكان ومن أولئك الذين سافروا معه في كل وقت ومن كل المواطنين كل على حدة، (بل دائما من) كل فرد من المواطنين، (كما) كُرم على يد بلده لإحساناته (وتبرعاته) المستمرة والمتبادلة، عن طريق إقامة اربعة تماثيل له على حساب النفقة العامة، على أعمدة في ميدان المدينة . إضافة إلى ثلاثة تماثيل اخرى في سباسينو كراكس وڤولوجيساس وجينايس، على حساب نفقة أولئك الذين سافروا معه والمجلس والسكان . كما أسس وأهدى معبدا لاغسطس في ڤولوجيسياس؛ (وختاما فهذا كله) لكرمه العظيم وإحسانه الممتاز . "(٢)

والشخص نفسه، وجد له نقش تكريمي آخر، باللغة اليونانية، في معبد بعلشمين بتدمر، مسجل عليه :

1- Σοαδον Βωλιαδους τοῦ Σοαδου ˇεὐσεβῆ καὶ

2- ᾽ιλόπατριν καὶ ἐν πολλοῖς καὶ ˇμεγάλοις

3- Αιρανου υἱὸς οἱ ἀπὸ Σπασινου

4- Χαρακος, τειμῆς χάριν

الترجمة :

هذا "[تمثال جوليوس (يوليوس) ماكسيموس (سيناتور) المنطقة] (والذي اقامه له) ماركوس اولپيوس ابجاروس بن إيرانوس، وأولئك الذين قدموا معه من سباسينو كراكسوس (كراكس)، تكريما له ."

وبعد أن عرضنا لنقوش بلاد الشام ننتقل للحديث عن النقوش اليونانية والرومانية) ونبدأ أولاً بالحديث عن النقوش اليونانية وهى تزيد على ١٠٠,٠٠٠ نقش.

وقدمت لنا الرقم الطينية فى كل من كريت فى العصر البرونزى وبلاد اليونان الهيلادية معلومات طيبة عن حضارة عالم بحرايجة ، فقد كان أول ظهور للكتابة فى كريت والتى بدأت تصويرية وتطورت من النقوش التصويرية إلى المجموعة الخطية الأولى ثم المجموعة الخطية الثانية زمن ازدهار الحضارة الموكينية، والمجموعة الخطية الأولى ماتزال مغلقة على الباحثين ، بينما نجح العلماء فى قراءة المجموعة الخطية الثانية ووجدوها مكتوبة بلغة يونانية عتيقة ، وعثر على آلاف الرقم فى موكيناى، وبيلوس وكنو سوس ، وتقدم لنا هذه الرقم الطينية معلومات قيمة عن الحياة الاقتصادية والدينية فى عالم بحرايجه ، فقد سجلت ، العمال العاملين فى القصور الملكية وسجلات بأنواع الحيوانات التى كان على الرعاة أن يسلموها للحاكم أو لزعيم القرية، ثم سجلات الحاصلات الزراعية الموهوبة للآلهة، كما تحوى نصوصاً أدبية ودينية.

والجدير بالذكر أن هذه الكتابة قد انقطعت فى بلاد اليونان عقب الغزوات والهجرات الكبرى التى اجتاحت بلاد اليونان وقضت على مراكز الحضارة الموكينية ، وبعد استقرار الاحوال فى بلاد اليونان وقيام المدن الدول فى العصر الأرضى تبنى اليونانى الابجدية الفينيقية والكتابة بها وبدأ العثور على النقوش اليونانية وهذه النقوش تضم نصوص المعاهدات

بين الدول اليونانية وقوانين بعض هذه الدول، وقرارات بعض حكامها، والنقوش التى تحتوى على معلومات على ماكانت تحصله أثينا من حلفائها كضرائب ثم من اعضاء حلف ديلوس أو المدن الدول الداخلة فى الأمبراطورية الاثينية، وهذه القوائم الضريبية تلقى الضوء على سياسة اثينا الخارجية وهى سياسة توسعية فى بلاد اليونان وطورت علاقاتها مع حلفائها على فترات مختلفة .

ولدينا نقوش يونانية تسجل وقائع تاريخية متسلسلة فى تاريخ بلاد اليونان مثل نقش باروس الرخامى، ونقش جورتين الكريتية الذى يسجل القانون «المدنى والوراثة والتبنى والهبات والرهونات ... الخ) والقانون العام.

وتقدم لنا نقوش المراثى معلومات قيمة عن احوال الحياة الاجتماعية والدينية اليونانية.

ولدينا العديد من النقوش من العصر الهنيستى والرومانى، وجدت فى ليبيا ومصر وسوريا واليمن والبحرين وفيلكه بالكويت وبلاد الرافدين . وسبق لنا التنويه عنها .

وتم الكشف عن مجموعة ضخمة من النقوش اللاتينية وهى تزيد على ١٠٠,٠٠٠نقش هذا بالإضافة إلى نقوش يونانية تتعلق بالحضارة والتاريخ الرومانى، ويلاحظ أن اقل النقوش عدداً هى التى يعود تاريخها الى العصر الملكى ثم يليه فى العدد العصر الجمهورى ويزداد العدد فى العصر الامبراطورى الباكر والمتأخر، .

وتتنامى اعداد تلك النقوش كل عام مع محاولة الآثاريين فى ايطاليا وفى الولايات الرومانية، وبعضها وصلنا سليما وبعضها الآخر وصلنا مبتوراً مشوها، واغلبها نقوش قصيرة أو سطور قليلة، وأقلها من النقوش المطولة . تغطى معلومات النقوش كافة مناحى الحياة فى روما وولاياتها . ويمكن تقسيمها وفقا لمحتوياتها على النحو الآتى : نقوش جنائزية واقدمها تلك المراثى المدونة عى قبور وتوابيت آل سكيبيو.، ونقوش الاهداءت للآلهة والارباب ، ونقوش تكريم كبار الشخصيات، ونقوش علامات الحدود للاملاك العقارية وخاصة الزراعية والتى كان يضعها مساحو الاراضى، ونقوش البطاقات ، بطاقات الضياقة ، وبطاقات المهرجانات والتى تمثل رقم المقعد وتخول لحاملها دخول المسارح والملاعب وحلبات المبارزة، ومشاهدة المهرجانات العامة، ثم بطاقات الدعوة للحضور الحفالات والولائم والمآدب العامة والتى يوجهها الامبراطور والجماعات الدينية الى أعضائها، وبعض النقوش عبارة عن بطاقات تسمح لحاملها الحصول على امتيازات وبطاقات عسكرية، ونقوش العقود العامة والخاصة، ومنها المعاهدات وقوانين الجمعيات والمجالس الشعبية، وتوصيات مجلس الشيوخ ومراسيم الأباطرة ودساتير تنظيم المستعمرات ، أو البلديات المتمتعة بالحكم الذاتى وعقود العمل أو قرارات المجالس البلدية فى المستوطنات والبلديات والمقاطعات وقرارات الجمعيات الخاصة والروابط والاتحادات وقوانين المعابد واجابات النبؤات .. الخ وعقود خاصة بالافراد كالهبات والوصايا والحسابات أو عقود البيع والكفالة المدونة على اللوحات الخشبية والمطلية بالشمع.

ومن النقوش الرومانية نقش انقرة وهودرة النقوش اللاتينية ويعرف باعمال المؤلة اغسطس، ولاغنى لدارس فترة حكم اغسطس من دراسة ومعرفة محتوى هذا النقش، كما يقدم لنا نقش الاسعار للامبراطور دقليديانوس معلومات هامة على محاولة هذا الامبراطور دمج الولايات المختلفة وتوثيق صلاتها بالدولة وازالة الفوارق بين الولايات .

جمعة القول أن النقوش تلقى لنا اضواء باهرة عن كافة مناحى الحياة بالنسبة للشعوب المختلفة.

وننتقل الآن للحديث عن البردى باعتبار مصدراً هاما للمعلومات عن تاريخ مصر عبر عصورها المختلفة وغيرها من الاقطار.

٣ - دراسة علم البردى : (Papyrologg)

هنى كلمة علم البردى حسب الاشتقاق اللغوى دراسة كافة الأوراق البردية (papyri) المكتوبة بأية لغة وأى خط ، ولكن إذا لم يحدد معناها بصفة مميزة فيقال مثلا علم البردى : الهيروغليفى، الهيراطى، الديموطى، القبطى، الآرامى، فأنها لا تشمل عادة سوى أوراق البردى المكتوبة باللغة اليونانية أو اللاتينية، على أن الكلمة إذا كانت من جهة أضيق فى مفهومها مما تقضيه الاشتقاق اللغوى، فهى من جهة أخرى أوسع فى مدلولها لانها تشمل كل ما هو مكتوب باللغة اليونانية أو اللاتينية على الرق والشقف والخشب وما الى ذلك، مما عثر عليه فى مصر ولا يستثنى من ذلك سوى علم النقوش على الحجر أو البرونز . وفى ضوء ذلك

فلم يكن ورق البردى هو مادة الكتابة الوحيدة المستعملة فى بلدان العالم القديم ولكنه كان الأكثر شيوعاً، فقد استخدم الانسان القديم فى هذا العصر الرق (Vellum) وكسر الفخار والألواح الخشبية، لم يبق من البردى المكتوب إلا القليل خارج مصر فقد عثر عليه فى فلسطين ودورايوربوس وهيركلونيوم فى ايطاليا، ولكنه قليل مقارنة بما عثر عليه فى مصر فى بقاعها المختلفة وان كان جنوبها اكثر جوداً من شمالا للعوامل المناخية . ويلى البردى كسر الفخار فى الشيوع وخاصة فى مصر وشاع استخدامه فى جنوبها اكثر من شمالها . ولعل السبب فى ذلك هو انخفاض مستوى معيشة أهل الجنوب عن أهل الشمال . والرق بدأ استخدامه فى مصر ابتداء من القرن الثانى الميلادى وزاد هذا الاستخدام إبان العصر الرومانى المتأخر ولكن بقى استخدام المصريين لورق البردى على نطاق واسع .

ويعد علم البردى بحق توأم لعلم النقوش فبينهما علاقة وثيقة من حيث السمات والكثير من المصطلحات والرموز العديدة المطبقة فى كل منهما، وهناك بعض الموضوعات التى يمكن اعتبارها بمثابة القاسم المشترك بينهما ،. بيد أن علم البردى بز علم النقوش وأصبح له الغلبة فى مستهل سنى القرن العشرين فمنذ مطلع القرن العشرين تركزت اهتمامات الباحثين عليه، وأخذ منذ ذلك الحين يفيض بظلاله على علم النقوش بعد أن كان للأخير القدح المعلى طوال القرن التاسع عشر .

وأصبح ما يقدمه لنا علم البردى بمثابة الينبوع والكنز لطالبى العلم والمعرفة بكافة فروعها، فيجد فيه دارسو اللغة وفقهها وآدابها ضلتهم بما

يقدمه لهم من نصوص جديدة مفقودة لكتاب كبار، ويجد به علماء الفلسفة ودارسوها كنزاً ثمينا بما يقدمه لهم من مادة عن المدارس الفلسفية المختلفة، ويجد فيها دارسو الفلك والتنجيم منهلاً ينهلون منه مادة عما كان يدور من أفكار فلكية وتنجيمية فى العصور القديمة، ويقدم البردى السحرى والنبؤات مادة طيبة لدارسى السحر والديانة مادة طيبة لدارسى السحر والديانة، ويقدم للأطباء الثقافة الطبية السائدة فى مصر خصوصاً والعالم القديم عموما، كما يقدم لدارسى الهندسة والعمارة معلومات طيبة عن علم المساحة وفن تخطيط المبانى وعدد طوابقها، ويزود علماء وفقهاء القانون بمادة قانونية ثرية تحل لهم معضلات قانونية تواجههم بين الحين والحين وأخيراً وليس آخراً فأنها تقدم مادة طيبة للمؤرخين عن حياة الناس الاجتماعية والأقتصادية والحضارية التى لا يجدها المؤرخ فى مصادره الأدبية .

ويقسم علماء البردى اليونانى واللاتينى إلى قسمين رئيسيين وهما البردى الأدبى والبردى الوثائقى ولكن هذا التقسيم يقع بينه بردى شبه أدبى أو متفرع من البردى الأدبى ، مثل النصوص المدرسية والبردى السحرى والابراج والنبؤات والخطابات التى تظهر مهارة أدبية مؤكدة وما شابه ذلك ، وبعيداً عن هذا النوع من البرديات فان كل البرديات يمكن وضعها فى قسم من القسمين السابقين، اما وفقا لمحتواها فى المقام الأول، أو على اساس طريقة كتابها فقاعدة كتابة الكتب والكتابة الأدبية هى الكتابة بحروف مفردة، والكتابة بأحرف متصلة (رقعة) فى الوثائق الرسمية والخاصة . ومع ذلك سنجد تداخل بين الاقسام الثلاثة، وهذا يخلق

حالات خاصة التى لا يمكن ويلاحظ أن البردى الوثائقي هو الأكثر شيوعا فكانت نسبته ١٠ – ١ بالنسبة للبردى الأدبى .

والبردى الأدبى يقسم إلى قسمين أولهما : النصوص الأدبية الجديدة التى تعرفها منه فقط وكانت مفقودة ولا يعرف عنها شيئا لكتاب كبار، وثانيهما: النصوص المعروفة من مخطوطات العصور الوسطى . وعمق لنا القسم الأول معلوماتنا ومعارفنا حول الآداب اليونانية، ولكن لا يصدق نفس الشيءعلى الآداب اللاتينية، والقسم الثانى منه قدم لعلماء اللغة مادة غنية فى نقد المصادر، وعموما فان كلا القسمين قد أديا إلى نتائج باهرة وهى على النحو الآتى : انها اعطتنا وما تزال تعطينا نتائج ومعلومات اساسية عن الكتب القديمة فى مجالاتها كما تقدم لنا أدلة فريدة بشأن المدارس الفكرية والثقافية فى مصر ابان الفترة اليونانية الرومانية أى من غزو الاسكندر لمصر وحتى فتح العرب لها .

ويقدم لنا البردى الأدبى بعض الأعمال المفقودة لكبار كتاب ومفكرى اليونان مثل باكخوليديس (Bacchylides) وتيموثيوس(Temotheus) وكيركيداس (Cercidas) والفيلسوف خروسيبوس (Chrysippus) ، وهيسيودوس وارخيليوخوس (Archelochas) وألكمان، والكايوس وسافو واسخيلوس وسوفوكليس ويوربيديس، وهوبيريديس (Hyperides) الخطيب . ومن اهم الاكتشاف التى كتبها ارسطو دستور الاثنيين، وميناندر وكاليماخوس .

قصارى القول أن البردى قدم لنا معلومات ومعارف من أعمال

مفقودة لهؤلاء الكتاب والمفكرين اثرت معارفنا عن جانب من تراث اليونان الفكرى الذى كان مفقوداً وتم التعرف عليه واسترجاعه .

وإذا كان البردى يقدم لنا بين الحين والحين معلومات عن أعمال وكتابات بعض الكتاب فان البردى يقدم لنا أيضا معلومات ضافية عن نصوص كانت معروفة من مخطوطات العصور الوسطى .

ونود أن نشير إلى أن البردى اللاتينى يقدم لنا ولكن بشكل قليل مقارنة بالبردى اليونانى بعض أو جانب من أعمال الكتاب والمفكرين الرومان مثل شيشرون وفرجيل وسالوست ولوكيان ويقدم لنا . دساتير جايوس وبابينانوس .

والبردى الوثائقى : يقدم لنا فيض من المعلومات وهذا البردى يختلف فى طبيعته ومحتوياته وهذا يصعب علينا تصنيفه تصنيفا دقيقا إلى انواع وليس هناك اختلاف بين انواعه فقط بل أيضا نجد اختلافات بينه فى نفس النوع من الوثائق بين مختلف الفترات ، وعموما فقد قسمه نفر من العلماء إلى اقسام هى على النحو الآتى : ١ – القوانين واللوائح : فقد حفظ لنا البردى عدداً غير قليل من الوثائق ولكن الكثير منه يكون هاما من وجهة نظر المؤرخ ، اذ يعطينا ويقدم لنا عدداً من القرارات الملكية والمراسيم البطلمية، وعدد كبير من الدساتير والمراسيم والقرارات والخطابات والأحكام الامبراطورية من الفترة الرومانية، وبعض النصوص من العصر الرومانى المتأخر وبشكل رئيسى من عهد جستنيان . ونذكر هنا على سبيل المثال وثيقة الجنومون للايديولوجوس والتى يرجع تاريخها

الى القرن الثانى زمن انطونينوس بيوس على الرغم من أنها تضم قوانين تعود الى الفترة السابقة، ودستور كاركلا . ويعطينا هذا القسم من البردى القوانين المختلفة وتطبيقاتها مثل القانون الخاص بالأفراد والأسرة، وقانون الممتلكات والألتزامات والقانون الجنائى ، واجراءات التقاضى .

البـردى الأدارى : ويحتـوى هذا القسم على كل أنواع الوثائق الرسمية، التقارير ، والخطابات السيارة، التنظيمات، والسجلات والقوائم والشهادات وما شابه ذلك، وهذه الوثائق ترتبط بادارة الشئون العامـة التى تدير كل مظاهر الحياة فى مصر، وتقدم تفاصيل حول النظام الادارى ابان الفترات المختلفة .

البـردى المالى : وهذه البـرديات ترتبط بشكل وثيق ببـردى المجموعة السابقة وتظهر أهمية خاصة للدخل ابان فترة الألف عام من غزو الاسكندر الى الفتح العربى ويكشف لنا هذا البـردى عن ان أهداف الادارة كـانت فى المقـام الأول الحـصـول على أعلى دخل من النظام الضريبى وعقود الالتزام لجباية بعض الضرائب والدخول، وقوائم جباة الضرائب وإيصالات المدفوعات الضريبية ... الخ .

بردى التقـاضى : وهذه المجـموعـة من البرديات ترتبط بادارة العدالة، مثل الاتهامات والبلاغات للقبض، وسجلات الدعـاوى القانونية، والأحكام وما شابه ذلك ،.

بردى ووثـائق الجـيش والاسطول : وهذا البردى يضم عـادة

برديات لاتينية، ويتعامل مع أوجه الحياة، وحدات الجيش ، وافراده فى مصر ابان العصر الرومانى والتنظيم العسكرى، هبات الجنود ووصاياهم ... الخ

وثائق الأفراد الموجهة لموظفى الادارة : وهذه الوثائق تمثل اكبر قدر من الوثائق، وتشتمل على الاعلانات للميلاد والوفاة، والاحصاء واعلانات الملكية، طلبات ترخيص مزاولة الحرفة أو المهنة أو طلبات لفتح وقراءة وصية ... الخ . واعلانات الاحصاء مثيرة للاهتمام، فتقدم مادة ثرية حول تكوين وتركيبة البيوت والأسرة، وعدد الأطفال، والسن المعتاد للزواج، وزواج ذوى القربى، واعلانات الممتلكات لحفظ مسار تاريخ ملكية الأرض، وتساعد المؤرخ فى بحث بناء نظام الأرض، وأخيراً وثائق الفحص للابناء وفقا لرغبة الأب ، وتفحص الوضع المالى والاجتماعى للولد بغرض ضمان قبوله فى الطبقة المميزة ومن ثم الأعفاء من الضرائب.

عقود بين الأفراد : وهذه الفئة تضم مجموعة كبيرة من الوثائق وقد اكد بعض الباحثين على ٤٠ نوعاً منها ومنها عقود الزواج والطلاق، وقضايا الطلاق والتبنى والوصايا، وتقسيم الممتلكات، وبيوع المنازل والأرض وعقود التأجير والمشاركة وعقود العمل والرهن .... الخ .

وثائق النقل والتجارة : وهذه الفئة تضم مجموعة من حسابات وسجلات التجار متضمنه قوائم السلع، وأوامر التسليم والدفع للبنوك وللأفراد، ووثائق النقل والشحن للبضائع والسلع .

وثائق حول حياة الوثنيين : لدينا مجموعة من الوثائق البردية حول ممارسة والقيام من قبل الكهنة بتولى المهام الدينية فى الاعياد الدينية، والجنازات واجراء الطقوس والشعائر الدينية، والأبراج والنصوص السحرية واللعنات والصلوات وما شابه ذلك .

وثائق حول حياة المسيحيين : وهذه الوثائق توضح لنا مراحل وظروف انتشار المسيحية فى مصر، وتشمل على وثائق التضحية ابان اضطهاد ديكيوس وسجلات الكنائس والأديرة والصلوات .... الخ .

الخطابات الخاصة : وهذه الفئة من الوثائق تمثل اكبر مجموعة لدينا وتشتمل على العديد من الملفات الأسرية وأهمية هذه الخطابات والمراسلات الخاصة تجعلنا نفهم الأحوال الاجتماعية وأمور الحياة اليومية بتفصيلاتها الدقيقة من حياة خاصة ومناسبات اجتماعية ودينية مثل عقد القران والاحتفال باعياد الميلاد أو خطابات التوصية وخطابات الوثنيين والمسيحيين .

وثائق الاتحادات والروابط : وتغطى هذه الفئة من الوثائق مختلف اوجه نشاط الروابط وقوانينها وسجلات قراراتها وقوائم اعضائها .

وثائق اخرى : وهى وثائق تشمل على انشطة الأطباء العموميين، ووصفاتهم الطبية .

جملة القول ان هذه الفئات من مجموعات البردى تقدم لنا فيضيا دافقا من المعلومات عن مختلف أحوال مصر والمصريين من اجتماعية واقتصادية وفكرية وادارية وقانونية ... الخ .

وهذه المعلومات تميل إلى الدقة والصحة فى الغالب الأعم وتبعد عن الزيف والتحريف والتهويل ، ومع ذلك فينبغى الحذر من بعض الوثائق ومن معلوماتها مثل البلاغات والشكاوى للشرطة والجهاز القضائى ، فبعضها يميل الى التهويل والزيف وعدم دقة معلوماته .

العملات والمسكوكات :

مر النشاط الاقتصادى للانسان بعدة مراحل أولاها مرحلة الاكتفاء الذاتى حيث كانت الأسرة أو القبيلة تنتج ما تستهلكه، وثانيتهما أقتصاد التبادل والقايضة حيث تم فيها تبادل ما زاد عن احتياجات الانسان من منتجاته من سلع فائقة عند طرف آخر وهو فى احتياج اليها، وثالثتها استخدام بعض الشعوب والأقوام للحيوانات كنقود لتقدير قيمة السلع الأخرى ، فاستخدم اليونان والرومان الثيران بينما استخدم العرب الجمال، ورابعتها استخدام الانسان، مع زيادة انتاجية وتطور تجارته، المعادن كنقود لتعبر عن قيم السلع والخدمات افضل مما سواها من الأشياء الأخرى حيث انها لا تتلف ولا تمرض ويسهل تخزينها وتشكيلها بالحجم والشكل المطلوبين لتعبر عن واحدت القيمة لمختلف السلع والخدمات، كما أن حجم النقود أصغر بكثير من النقود السلعية، كذلك لا تتطلب تكلفة للاحتفاظ بها . وانتشرت النقود المعدنية فى المعاملات، وبمرور الوقت تعود الناس على التعامل باطمئنان بهذه النقود المعدنية فزادت ثقتهم بها واكتسبت صفة القبول العام .

وفى البداية اتخذت العملة شكل القضبان والسفافيد المعدنية عند

اليونان والرومان، وهذه القضبان والسفافيد أصبحت معيارية فكانت السلطات الرسمية تقوم بختمها كضمان لنقائها ومع ذلك ولفترة طويلة استمر تداول تلك القضبان والسفافيد بالوزن، وكان التالنت هو مقياس الوزن عند اليونان ويعتبر الأوبل من بين أصغر الوحدات النقدية اليونانية وهو مشتق على الأرجح من لفظة اوبليوس (Obelos) بمعنى سفود - قضيب حديدى والدراخمة هو الوحدة النقدية اليونانية وتعنى فى أصلها ستة سفافيد المشكلة وعموما فقد عرفت النقود للمرة الأولى فى آسيا الصغرى والرأى التقليدى يرى أن أول من سك العملة هو مملكة ليديا ولكن الكشف الأثرى قدم لنا كنز من العملة يعود تاريخه الى فترة أقدم من التاريخ الوارد لدى هيرودت وبالنسبة للرومان فإن أقدم عملة بدائية هى عبارة عن كتل من النحاس الخام والتى كانت غير محددة الشكل أو الوزن ولا تحمل أى علامة (aes rude) ويرجع تاريخ استخدامها من قبل الرومان الى ما قبل القرن الثالث، غير أن اقدم عملة مرسومة ظهرت فى روما هى تلك العملة النحاسية أو البرونزية والمخلوطة بقليل من الرصاص (aes signatum) إذ أنها سكت حوالى عام ٣٠٠ ق . م ، وكان القصد منها أن تحل فى المعاملات محل المقايضة بالمواشى (Pecus) ولذلك رسمت عليها صور ثيران أو اغنام (nota pecudum) ومن ثم عرفت النقود عند الرومان باسم (pecunia) وكانت كل قطعة منها عبارة عن قضيب (as) يزن حوالى خمسة أو ستة أرطال ويبلغ طوله قدم (as = pes) واما سمكه فغير معروف وعموما فاننا لا نعرف إن كانت هذه العملة رسمية أو غير رسمية .

وعموما فان القضبان سواء فى اليونان أو فى روما قد تطور شكلها فيما بعد وتحولت إلى نقود رويداً رويداً ، وقد سجل لنا الكتاب القدامى رأيهم فى العملة؛ فيحدثنا ارسطو عن تلك النقود بقوله بأنها نشأت لمواجهة احتياجات التجارة والتبادل فهى الواسطة التى يتم بها تبادل السلع والخدمات وهى فى نفس الوقت مقياس لتقييم هذه السلع والخدمات، بينما يميز اكسينيفون بين الثروة والنقود بقوله « الثروة تمثل مجموع الأموال فى مختلف الصور مع السلع والخدمات ، وأن هذه الثروة مرتبطة باشباع الحاجات ، بينما النقود سواء من الذهب أو الفضة لا تشبع حاجة وكلها تعبر عن قيم الثروة وفى نفس الوقت قادرة على التحول إلى شكل من الأموال » وقد افاض اكسينيفون فى ذكر مزايا الفضة وانها تتمتع بثبات كبير فى سعرها، ثم جاء من بعدهما نفر من الكتاب مثل بلينى وسنكا وشيشرون تحدثوا عن البلاء الاجتماعى الذى يصيب المجتمع من انحراف النقود عن تأدية وظائفها والتحول الى الاقراض بالربا فيذكر بلينى مزايا الذهب من حيث دوامه وعدم قابليته للتلف مع سهولة تشكيله وقابليته للتجزئة .

وعموما فان استخدام الانسان القديم للعملة شكل نقلة كبرى فى أموره اليومية وسهل حركة التجارة الداخلية والخارجية على حد سواء .

والعملة تمكن المؤرخ من أن يستقى معلومات قيمة نجملها على النحو الآتى :-

١ - ان العثور على كنوز من العملة التى تنتمى إلى دولة ما أو مجموعة دول (كاحدى المدن اليونانية أو دولة روما فعلاً) فى اراضى غير

اراضيها يشير إلى قيام نشاط تجارى لهذه الدولة فى تلك الاراضى . وكشفت لنا التنقيبات الأثرية عن وجود كميات كبيرة من العملات المضروبة فى ولايات الامبراطورية الرومانية فى عصرها المتأخر فى مصر وفى مقابل ذلك كشفت لنا التنقيبات الاثرية خارج مصر عن ندرة وشحة العملات الاسكندريه فيها وهذا يمكن الباحث من الوصول الى نتيجة مؤداها أن ميزان المدفوعات التجارية كان لصالح مصر حيث انها كنت تصدر أكثر مما تستورد . كما أن العثور على كنوز من العملة الرومانية فى الهند يكشف لنا عن ازدهار التجارة بين الامبراطورية الرومانية والهند .

٢ – ان العملة والمسكوكات تعبر عن الأوضاع الاقتصادية واستقرارها أو تدهورها أو انكماشها، ويمكننا معرفة ذلك من خلال وزنها وحجمها ونوع معدنها . فإذا كانت العملة ذات حجم ووزن ونقاء لمعدنها ونقص هذا الوزن والحجم ونقائها فان هذا يشير الى عدم الاستقرار وتذبذب الأسعار وتضخمها . ويمكننا أن نستخدم عملات الامبراطورية الرومانية فى قرونها الأولى كدليل على ثبات الأسعار بينما ابتداء من النصف الثانى من القرن الثالث تدهورت قيمة العملة نقص سعرها أو قوتها الشرائية مما أدى الى تضخم أقتصادى هائل وحاولت الدولة جاهدة الحد منه ولكن لم تجد محاولتها فى اعادة الأمور الى نصابها . وهذا الوضع بالتالى قد خلق ظواهر جديدة فى المعاملات والعمليات التجارية مثل الحصول على الأجره عينا بدلاً

من النقد، أو استخدم المعادن النفسية كوسيلة للسداد وذلك نظراً لثبات اسعارها إلى حد ما .

٣ – أن صور الملوك والحكام المضروبة على العملة تعطينا فكرة عن ملامح شخصياتهم خاصة فى انه فى تلك العصور التاريخيه كان يسود مذهب التصوير الواقعى للاشخاص، وهذا المذهب نزع إلى تصوير الشخصية كما هى لا كما ينبغى أن تكون، وتبعا لهذا ففى الغالب فقد اتفقت صور ملك أو حاكم ما مع التفصيلات التى أوردتها لنا المصادر الأدبية . بيد أنه ينبغى التنويه أن الأهم من الصور بالنسبة لنا هو الشعارات المصورة أو المكتوبة إلى جانب الصورة وهذه الشعارات تلقى عموما أضواء باهرة على التاريخ السياسى، وتزداد قيمة العملة فى تعريفنا بسنوات تولى الحكم لبعض الملوك ومن ثم فهى تساعد فى ضبط وتصحيح بعض الأخطاء فى المصادر الأدبية.